السبت 28 نيسان 2018
العدد 3454 السنة الثانية عشرة
samedi 28 avril 2018 no 3454 12ème année

40 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

- يونيسبو
ماكبث الأزمنة الصناعية
- أحمد خير الدين
التاريخ بلسان الشعب
- جريمة الفجر في غرناطة
قتلة لوركا بالأسماء

صراع العبادي ـ المالكي: آخر أيام «الدعوة» في الحكم؟ [20]

سلامة يعدّل هندساته المالية [8]

انتخابات 2018

- «بروفا» انتخابات المغتربين: إنجازٌ ناقص
- تحطيم الأوهام: نصف بيروت لخصوم الحريري
- «المستقبل» شمالاً: محاربة ميقاتي بـ«السلفيات»

[2 ـ 7]

بدأت أمس المرحلة الأولى من اقتراع المغتربين بإدارة غرفة عمليات في وزارة الخارجية والمغتربين (مروان طحطح)

الحدث

قمة الكوريتين
الجنوب ينتظر «التوقيع» الأميركي
26

رياضة

النجمة والعهد
الحبّ المستحيل
14

10
تحقيق
دكاكين المدارس
استثمار جيد في عادات سيئة

12
تحقيق
مباراة العلوم
مخترعون صغار يحرّرون أحلامهم

22
سوريا

تنشيط خطوط واشنطن ـ أنقرة

24
اليمن
تولر لـ«أنصار الله»
أوقفوا الصواريخ نوقف اجتياح الحديدة

انتخابات 2018

«بروفا» انتخابات المغتربين: إنجاز ناقص

نُظّمت، أمس، المرحلة الأولى من انتخابات المغتربين اللبنانيين في ستّ دول عربية، على أن تُستكمل غداً الأحد في البلدان الأوروبية والأميركية. نجحت الدولة اللبنانية في إقرار حقّ اقتراع المغترب، وقامت وزارة الخارجية، بالشراكة الكاملة مع وزارة الداخلية، بجهد تقني كبير، ولو أنهما بالغتا في التظهير والتكبير

ليا القزي

لا يعلم أحد لما وصلت تلك السيّدة إلى وزارة الخارجية في قصر بسترس في الأشرفية، فيما مشكلتها في مكان آخر. المرأة المتّقدة في العمر، ترفعُ صوتها طالبةً أن يُحلّ ملفّها لدى الضمان الاجتماعي. انشغل عددٌ من العاملين في «الخارجية» بقصتها، فيما الكلّ منشغلٌ في الداخل بمواكبة اقتراع المغتربين في ستّ دول عربيّة (سلطنة عُمان، الإمارات، الكويت، السعودية، قطر، ومصر). أحد عناصر قوى الأمن، يحاول تقبيل السيدة على جبينها، وإقناعها بمرافقته للاتصال بالأشخاص المعنيين. انتهت «البلبلة»، وعاد الجميع إلى النقطة الأساس: انتخابات للمغتربين اللبنانيين، تجرى للمرّة الأولى منذ الاستقلال، وقد انطلقت أولى مراحلها يوم أمس. فخورون هم المسؤولون في «الخارجية» بهذا «الإنجاز». يظلّون يسألون عن رأي الموجودين، بالعملية، مُنتظرين (بطبيعة الحال) جواباً إيجابياً. ولا مانع في زمن الانتخابات النيابية، من «تذكير» الرأي العام، بأنّ ما حصل يصبّ في خانة «إنجازات العهد». وللتأكيد على أهمية هذا الحدث، أتت زيارة الرئيس ميشال عون، بعد ظهر أمس، إلى «الخارجية». ثمّ، لحق به وزير الداخلية نهاد المشنوق.

على الشاشة الكبيرة، في البهو العريض، نقلَ مُباشر لـ32 قلم اقتراع موزّعين على الدول العربية الستّ. انطلق التصويت، منذ السادسة صباحاً، في توقيت بيروت... ليُقفل آخر الصناديق عند الحادية عشرة مساءً (في مصر). افتُتح النهار، بحديثٍ لوزير الخارجية جبران باسيل... و«سيلفي» التقطها لنفسه أمام الشاشة. «رايح أعمل رياضة، إذا رجعت وكان بعدكم، منتروق سوا»، قال باسيل للحضور في قصر بسترس. ولكن قبل خروجه، الجولة ضرورية داخل «غرفة العمليات»، بقيادة مدير الشؤون الاقتصادية السفير بلال قبلان. هنا، يتمّ رصد المخالفات داخل أقلام الاقتراع، ومتابعة عدد المقترعين. طاولة الوسط، تقاسمها قبلان مع مستشارة رئيس الحكومة سعد الحريري لشؤون تطوير الإدارة، ومستشارة وزارة الداخلية، الدكتورة لينا عويدات، مُمثل عن وزارة الداخلية، مُمثل عن هيئة الإشراف على الانتخابات، ممثل عن الجمعية اللبنانية من أجل ديموقراطية الانتخابات (LADE)، وعددٌ من الديبلوماسيين. زوّار» وزارة الخارجية مرّوا تباعاً على هذه الغرفة، كالمراقبين من الاتحاد الأوروبي ووفد من هيئة الإشراف. وقد أتى إلى بسترس، مُتفقداً، النائبان الجبيليان «المتنافسان» سيمون أبي رميا ووليد خوري، كلّ بشريط لاصق. من الأمور/ العراقيل التي واجهت فريق العمل، ورود رقمين لبطاقة هوية أحد الناخبين، أو وجود خطأ في أحد البيانات. لم يكن يُسمح للمغترب بالاقتراع، قبل الاتصال بغرفة العمليات والأخذ بتعليمات وموافقة لينا عويدات. توضح الأخيرة: «أننا هنا كسند من أجل الاستفسار في ما خصّ لوائح الشطب. وتوصيات الوزير المشنوق بأن يكون الحصول على الداتا المطلوبة مُتاحاً للجميع». وتقول إنّ فرز صناديق الاغتراب سيكون «مُعقداً، فبعض الأقلام تضم صناديق أكثر من دائرة، واحتمال وجود 29 لائحة».

خرم حزب الله وحركة أمل من متابعة الناخبين عبر وضع مندوبين لهما وتنظيم ماكينة حزبية (مروان طحطح)

يقول أحد الديبلوماسيين، «سنترك لمن يخلفنا كُتيباً عن كيفية إدارة انتخابات المغتربين. تعلّمنا كثيراً من هذه التجربة، ومن الطبيعي أن يكون هناك بعض الأخطاء، فنحن نُجرّب شيئاً للمرة الأولى». منذ ستة أشهر، وفريق العمل في قصر بسترس، يجهد من أجل إنهاء التجهيزات اللوجستية. الفريق كان بكامل جاهزيته، مواكبةً لاقتراع المغتربين في الدول العربية. خليّة نحل في قصر بسترس، «خلصنا 3 الفجر (أمس)، وعُدنا الخامسة صباحاً».

ليس من السهل، إقرار اقتراع المغتربين وإيجاد آلية لذلك، بعد سنوات من ممانعة قوى سياسية عدة لهذا «الحقّ». في هذا الشقّ، يُعتبر ما حصل «سابقة». ولكن، «بالغت» وزارة الخارجية والمغتربين في وصف العمليّة بالإنجاز الذي لا مثيل له في العالم. بالنتيجة، لبنان استلحق نفسه بأمر تشهده بقيّة بلدان العالم، حيث تُنظّم انتخابات للمغتربين.

في فترة بعد الظهر، لم تكن نسبة الاقتراع قد تخطّت الـ50 في المئة. عُدّ هذا الأمر «انتكاسة»، ودليلٌ على أنّ اللبنانيين في «الانتشار» لم يشعروا بأنّهم معنيون بالاستحقاق الانتخابي. السبب أنّه يُفترض بالـ1261 لبنانيا في الدول العربية الستّ، الذين اختاروا طوعياً تسجيل أسمائهم للاقتراع، أن يتوجهوا إلى البعثات اللبنانية بكثافة. وإلّا، لماذا بادروا إلى تسجيل الأسماء من الأساس؟ تحدّث البعض عن ردّ فعلٍ من الناخب المغترب على التحالفات، وأسماء المرشحين. فيما البعض الآخر، ذكر احتمال بُعد المسافة الجغرافية بين مسكنه ومركز الاقتراع. مع تقدّم ساعات المساء، بدأت ترتفع نسبة الاقتراع، لتُسجّل أكبر نسبة في الدوحة ومسقط. ولكن، حتى لو لامست النسبة النهائية 65،67% في المئة، لا يُعتبر التزاماً بالانتخابات. ولا يُمكن التحجّج بالسرعة التي رافقت التحضير للعملية أو أنها التجربة الأولى، فالمغتربون قزّروا، من خلال تسجيلهم، الاقتراع.

انتخابات المغتربين لم تخلُ من «عدم المساواة» بين الأحزاب والماكينات. بدا واضحاً، من خلال الشاشات، أنّ الأكثر تنظيماً وتعبيراً عن حضورهم هم مندوبو القوات اللبنانية. ماكينة مُنظمة، عملت على نقل الناخبين إلى البعثات. طبيعي، فالخليج «ملعب» حزب سمير جعجع. كان هناك حضورٌ أيضاً للائحة الجنبلاطية في الشوف وعاليه، وللتيار الوطني الحرّ. في حين أنّ حزب الله وحركة أمل، حُرما بسبب الموقف الخليجي منهما من متابعة الناخبين عبر وضع مندوبين لهما وتنظيم ماكينة حزبية، خوفاً من ملاحقة الأجهزة الأمنية لمناصريهما. أضاء، سابقاً، الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله على هذه الإشكالية، من دون أن يتم إيجاد حلّ لها. «الإنجاز» لا يُستكمل من دون ضمان ممارسة الحقوق السياسية للناخبين في الاغتراب.

بين «الخارجية» والـLADE: كذبٌ... وتوضيح

خلال اليوم الانتخابي، حصلت مشادة بين الكادر في وزارة الخارجية، ومندوبة الجمعية اللبنانية من أجل ديموقراطية الانتخابات. التي وُضعت تحت ضغط الأسئلة المتكررة. فبعد أن انتشر خبرُ إضافة أسماء، ناخبين على لوائح الشطب بخطّ اليد في قنصلية دبي، أعلن الأمين العام لـ«الخارجية» السفير هاني شميطلي أنّه «تأكدنا من القنصل العام وهذه شكوى كاذبة وغير دقيقة وغير موجودة، وقد حصلت إضافات بخطّ اليد على لائحة أحد المندوبين». كما صدر بيانٌ عن الـLADE، يوضح أنّ مراقبة الجمعية في دبي وجود أسماء على القوائم الانتخابية غير مُدرجة على لوائح الشطب، فأُضيفت بخطّ اليد. قبل أن يتبيّنَ «أنّ الأسماء التي تمّت زيادتها قد أضيفت على لوائح المندوبين وليس لوائح الشطب».

المخالفات الأخرى التي رُصدت، هي تجديد جواز سفر في شكل فوري في أبو ظبي، تصوير اللائحة التي جرى التصويت لها في جدّة، و3 ناخبين في الكويت كانوا قد تسجلوا إلكترونياً ولم يجدوا أسماءهم على لوائح الشطب.

عون من الخارجية: إنّه إنجاز

قال الرئيس ميشال عون بعد تفقده انتخابات المغتربين إنّ «من يزور وزارة الخارجية، يمكنه أن يلاحظ التقنية المحترفة التي تُستعمل لمتابعة مجرى الانتخابات. إنه إنجاز، حتى على المستوى العلمي، أن نصل في لبنان إلى تنظيم الانتخابات التي تحصل في 40 دولة، بهذه التقنية». ووصفها بأنّها «من الأرقى في العالم». مُهنئاً «واضعي الفكرة ومنفذيها على الأرض، وفي 40 دولة، وقريباً في العالم بأسره». أما الوزير نهاد المشنوق، فاعتبر أنّها «تجربة حديثة تتّسم بالشفافية ولم نتلق شكاوى أساسية».

من جهته، اعتبر باسيل أنّ «ما يحصل بمثابة سابقة في تاريخ لبنان، وهو أمر بالغ الأهمية بالمعنى السياسي». وأضاف أنّ الانتخابات «تدحض أي مقولة بعدم قدرتنا على إجراء عمليّة انتخابية في لبنان، إذ إننا ربطنا العملية الانتخابية في 40 دولة في العالم بلبنان، بكلفة زهيدة. وبالتالي، يمكننا إصدار بطاقة ممغنطة».

تحطيم الأوهام

نصف بيروت لخصوم الحريري

حسن عليق

يخوض الرئيس سعد الحريري الانتخابات مطمئناً إلى قوته. في حسابات ماكينته، أسوأ نتيجة سيحققها تياره هي الحصول على 21 نائباً. مقارنة بالعدد الحالي لأعضاء كتلة المستقبل (33 نائباً)، يكون الحريري أول الخاسرين من النسبية. إلا أن رئيس الحكومة لا ينظر إلى الأمر من هذه الناحية. فهو سيحتفظ، في حال تجاوزه عتبة العشرين نائباً، بلقب رئيس أكبر كتلة نيابية. كما أنه سيبقى «السني الأقوى»، والمرشح الأول لرئاسة الحكومة، وسيكسر «شائعة» أنه «الأول بين متساوين في الطائفة السنية»، ليقول: أنا الأول، والفارق تاسع بيني وبين الآخرين.

لكن، تحت هذا العنوان الكبير، ثمة معارك «صغيرة» يخوضها الحريري، خسارتها تلحق به ضرراً معنوياً كبيراً: معركة «الدائرة السنية الأكبر في لبنان»، أي دائرة الشمال الثانية (طرابلس ـ المنية ـ الضنية)، حيث يواجه خصميْ: نجيب ميقاتي بهدف محاصرته، وأشرف ريفي لكسره؛ معركة الحصول على مقعدين في صيدا ـ جزين؛ معركة الحصول على مقاعد غير سنّية، ومسيحية بالدرجة الأولى؛ والأهم مما سبق، معركة الزعامة في بيروت، وتحديداً، في دائرة «بيروت الثانية».

أهمية النسبية أنها ستلغي نتائج الانتخابات النيابية التي أجريت في الأعوام 2000، و2005، و2009. لم تعد بيروت «زي ما هيي». غازي كنعان ليس هنا ليهندس للحريري قانوناً يناسبه، وتحالفات تسمح له بحسم المعارك. يقف رئيس التيار الأزرق اليوم ليواجه الحقيقة كما هي: نصف بيروت لا تؤيده.

في حسبة بسيطة، يمكن أن تصل نسبة التصويت في «بيروت 2» إلى أكثر من 46 في المئة: نحو 50 في المئة عند الناخبين السنة (106 آلاف مقترع)؛ نحو 50 في المئة عند الناخبين الشيعة (38 ألفاً)؛ ونحو 30 في المئة لدى المسيحيين (15 ألفاً)؛ ونحو 50 في المئة عند الدروز (2500)؛ ليبلغ عدد المقترعين نحو 162 ألفاً (الحاصل الانتخابي، الذي تحتسب على أساسه المقاعد). وإلّا، فإن أي حاصل، فهذا يعني تقاسم المقاعد وفق الآتي: 6 مقاعد للائحة المستقبل، 4 مقاعد لقوى 8 آذار، ومقعد للمخزومي.

ما ينقذ الحريري من هذا السيناريو، هو حصر التمثيل بلائحته وبلائحة 8 آذار (ألا تفوز أي لائحة أخرى بأي مقعد). وهنا، سيحصل (في حال تحقيقه الأرقام المذكورة أعلاه) على 7 مقاعد، ليبقى لخصومه 4 فقط.

لكن، ثمة سيناريوات أخرى، يمكن وصفها بسيناريوات الرعب للحريري. «عمودها» ألا تصل نسبة التصويت السني إلى 50 في المئة، وعدم تمكّن اللائحة الزرقاء من الحصول على 65 في المئة منهم، وأن تتجاوز 4 لوائح الحاصل: «المستقبل»، 8 آذار، مخزومي، و«المجتمع المدني» أو «سلام ـ الجماعة»، مع الأخذ في الاعتبار أن اللوائح الثلاث الأخيرة ستقاسم المستقبل أصواته، وستخفض بالتالي نسبة تصويت الناخبين السنة له. في هذه الحالة، قد يتراجع عدد الفائزين من لائحة الحريري إلى 5!

ماذا يعني ذلك؟ ثمة واقع لا يمكن تجاوزه. حتى لو فاجأت النتائج رئيس الحكومة نفسه، والعاملين في ماكينته الانتخابية، وكل شركات الاستطلاع، وقضى الأسبوع المقبل منفقاً المال، وشاداً عصب جمهوره، وساعده الحظ بعد إسقاط كافة الأصوات التي صبّت للوائح التي لم تبلغ الحاصل، وتمكّن من حجز 7 مقاعد، فسيبقى الواقع البيروتي يؤرقه: نصف ناخبي العاصمة ليسوا معه. وهنا الهدف الأول للنسبية: تحطيم الأوهام التي بناها النظام الأكثري.

(مروان طحطح)

سيناريوهات الرعب: تراجع عدد الفائزين من لائحة الحريري إلى 5!

بالتالي، لن يكون بمقدور الحريري الحصول على أكثر من 65 في المئة من أصوات المقترعين السنّة، أي أقل من 70 ألف صوت. فباستثناء لائحتي 8 آذار وحركة الشعب وحلفائها، سيغرف الآخرون من صحن «المستقبل».

وإذا أضيف إلى سلة التيار الأزرق نحو ألفي صوت شيعي، و5 آلاف صوت مسيحي، ونحو 2000 صوت درزي، فستصبح النتيجة نحو 80 ألف صوت كحد أقصى، في مقابل نحو 80 ألفاً لخصوم الحريري: قوى 8 آذار، فؤاد مخزومي، «المجتمع المدني»، صلاح سلام ـ الجماعة الإسلامية، أشرف ريفي، حركة الشعب والمرابطون وحلفائهما، وبقية اللوائح.

80 ألف صوت ستمنح «المستقبل» 6 مقاعد.

أما لائحة 8 آذار، فيمكن أن تحصل على نحو 35 ألف صوت شيعي، و10 آلاف صوت سني، و5 آلاف صوت مسيحي، أي ما مجموعه نحو 50 ألف صوت.

بدوره، يمكن أن يحصل مخزومي على 15 ألف صوت (على رغم أن بعض التقديرات ترجّح عدم فوز لائحته). وإذا لم تؤمن بقية اللوائح غالبية الماكينات، لن يكون بمقدور الحريري الحصول على أكثر من 65 في المئة من أصوات المقترعين السنّة، أي أقل من 70 ألف صوت. فباستثناء لائحتي 8 آذار وحركة الشعب وحلفائها، سيغرف الآخرون من صحن «المستقبل».

وإذا أضيف إلى سلة التيار الأزرق نحو ألفي صوت شيعي، و5 آلاف صوت مسيحي، ونحو 2000 صوت درزي، فستصبح النتيجة نحو 80 ألف صوت كحد أقصى، في مقابل نحو 80 ألفاً لخصوم الحريري: قوى 8 آذار، فؤاد مخزومي، «المجتمع المدني»، صلاح سلام ـ الجماعة الإسلامية، أشرف ريفي، حركة الشعب والمرابطون وحلفائهما، وبقية اللوائح.

هل تهدي «8 آذار» مقعداً لـ«المستقبل»؟

تشكو لائحة 8 آذار في دائرة بيروت الثانية من عطب بنيويّ. فهي غير مكتملة: لا يوجد فيها مرشح درزي ولا أرثوذكسي، كما أنها تركت 3 مقاعد سنية شاغرة. هذه المقاعد الشاغرة تعرّض اللائحة لخطر خسارة مقعد فازت وهما مقعدان شاغران. فيؤولان حكماً إلى اللوائح أخرى (المرجّح أن يكون «المستقبل»)! وفق هذا السيناريو (وإن كان صعب التحقق، لكن غير مستحيل)، ستحصد لائحة 8 آذار على 3 مقاعد فقط، على رغم نيلها 4 حواصل.

(الأخبار)

عيد العمال: في الشارع كما في الصناديق

بمناسبة عيد العمّال في الأول من أيار، دعا الحزب الشيوعي اللبناني للمشاركة في تظاهرة يوم الثلاثاء المقبل، انطلاقاً من وطى المصيطبة ـ ساحة الشهيد جورج حاوي، الساعة 11 صباحاً.

وتوجّه الحزب الشيوعي في بيان إلى عمال لبنان وكادحيه، «لنكون صوتاً واحداً في الشارع كما في صناديق الاقتراع في السادس من أيار، من أجل إقامة الدولة الوطنية الديموقراطية، دولة الرعاية والعدالة الاجتماعية على أنقاض الدولة الطائفية المذهبية، تأمين حقوق العمال والمستخدمين والأجراء وأصحاب الدخل المحدود. بناء اقتصاد وطني منتج يوقف هجرة الشباب ويضمن حقوق المرأة، بديلاً من مسلسلات مؤتمرات باريس، التي أفقرت اللبنانيين وشرّعت الخصخصة والفساد وزادت حجم الدين العام. تحقيق الخدمة العامة والحقوق الاجتماعية في الكهرباء والمياه ورفع الحد الأدنى والسلم المتحرك للأجور والضمان الصحي وحق السكن والتعليم الرسمي عالي الجودة».

(الأخبار)

«فرنسَبنك» يُصدِر أوّل سندات خضَراء

أعلن مصرف فرنسبنك خلال مؤتمر عُقد في مقره الرئيسي في منطقة الحمرا بحضور رئيس مجموعة فرنسَبنك عدنان القصّار ورئيس مجموعة المؤسسات المالية لمنطقة أوروبا والشرق الأوسط وشمال إفريقيا - مؤسسة التمويل الدولية مانويل ريس-ريتنا والمديرة التنفيذية لمنطقة جنوب وشرق المتوسط - البنك الأوروبي لإعادة الإعمار والتنمية جانيت هكمان إصداره سندات خضراء لتعزيز الاقتصاد الأخضر، وتشجيع المشاريع الصديقة للبيئة، والمساهمة في مكافحة تغيّر المناخ، ليكون بذلك المصرف الأول في لبنان ومنطقة المشرق العربي الذي يُقدِم على هذه الخطوة.

سوف يتبع هذا الإصدار الأول بقيمة ٦٠ مليون دولار أميركي سلسلةُ سندات خضراء تأتي ضمن برنامج شامل بقيمة إجمالية تبلغ ١٥٠ مليون دولار أميركي. وإن مؤسسة التمويل الدولية IFC، العضو في مجموعة البنك الدولي، والمستثمر الرئيسي في برنامج السندات الخضراء لفرنسبنك، اكتتبت مبلغ ٤٥ مليون دولار أميركي في الإصدار الأول، كما حصلت على موافقة مجلس إدارتها لاستثمار مبلغ إضافي بقيمة ٣٠ مليون دولار أميركي في البرنامج نفسه، ليصل إجمالي مشاركتها إلى ٧٥ مليون دولار. كما قام البنك الأوروبي لإعادة الإعمار والتنمية EBRD بالاكتتاب بمبلغ ١٥ مليون دولار أميركي كأول مشروع إقراض للبنك في لبنان، بعد توقيعه مع فرنسبنك اتفاقية خط تمويل تجاري بقيمة ٥٠ مليون دولار أميركي في ١٥ آذار ٢٠١٨ في بيروت.

في هذا السياق، قال رئيس مجلس إدارة فرنسبنك عدنان القصّار إن «هذا البرنامج الريادي للسندات الخضراء يعزّز مكانتنا كمؤسسة مصرفية بارزة في تمويل الطاقة المستدامة في لبنان. ويندرج إصدار سنداتنا الخضراء، وهو الأول من نوعه في لبنان ومنطقة المشرق العربي، ضمن استراتيجيتنا الخضراء التي بدأنا بتنفيذها منذ حوالى عقد من الزمن، وهي تتمثّل في دعم استثمارات القطاع الخاص في تحسين كفاءة استخدام الطاقة وتطبيق تكنولوجيات الطاقة النظيفة في القطاع الصناعي والمباني الخضراء ومشاريع الطاقة المتجددة. إن اكتتاب IFC وEBRD يعكس مدى ثقة هاتين المؤسستين الدوليتين بمصرفنا وبلدنا».

انتخابات 2018

برّي رئيساً دائماً: استثناءٌ يصنع القاعدة

ليس ثمة ما هو معروف ومحسوم وقاطع سلفاً منذ ما قبل انتخابات 6 أيار بكثير ــ وإن هو موعده بعدها ــ سوى مسألة واحدة: نبيه برّي رئيساً للبرلمان المنتخب

نقولا ناصيف

لا ريب في ان رئيس المجلس نبيه برّي صاحب الولاية الاطول في لبنان، وبين العرب، وقد يكون في العالم. لكنه ليس وحده صاحب الولاية الطويلة. عمره على رأس السلطة الاشتراعية، 26 عاماً حتى الآن، يساوي اكثر من ثلث عمر استقلال لبنان منذ عام 1943. لم يسبق لرئيس للجمهورية او الحكومة او مجلس النواب ان استمر سنين طويلة كهذه بلا انقطاع، من غير ان يجبه منافساً أو يفكر احد في مرشح سواه، او تقول طائفته انها لا تريده. لم تقل ذلك ايضاً الطوائف الاخرى.

ما هو مأثور ان بطريرك الموارنة، في الغالب، صاحب الولاية الاطول على رأس سلطة في لبنان. باستثناء الياس الحويك الذي دامت حبريته 33 عاماً، فإن أياً من البطاركة المتعاقبين لم يستمروا اكثر من 25 عاماً على مرّ القرن المنصرم: انطون عريضة (23 عاماً) وبولس المعوشي (20 عاماً) وانطون خريش (11 سنة) ونصرالله صفير (25 عاماً). في ظل الاستثناء حتى، لم يعمّر رئيس للجمهورية اكثر من تسع سنوات ـ طويلة في الاصل ـ على رأس ولاية ثلثاها دستوري والثلث الثالث ملتو بفعل التجديد تارة والتمديد طوراً، كبشارة الخوري والياس هراوي واميل لحود. لم يكن رؤساء الحكومات اقل حماسة الى الولاية الطويلة، وقد راودت رفيق الحريري فكرة غير مسبوقة ـ غير واقعية لرئيس للحكومة ينبثق تعيينه من مجلس النواب ـ بمناداته بتكريس ولاية ثابتة مستقرة لرئيس الحكومة في نص دستوري، اسوة باستقرار ولايتي رئيسي الجمهورية والمجلس. مع ذلك عُدَّ الرئيس الراحل صاحب الولاية الاطول في حياة سياسية هي الاقصر بين اسلافه لم تدم اكثر من 13 عاماً، بترؤسه الحكومة في عشر سنوات منها.

الا ان وجود نبيه برّي على رأس خمسة برلمانات متعاقبة (1992 ـ 2018) استثناءٌ يصنع قاعدة جديدة، يصحّ معها القول حقاً ان الزيت يمكن ان يختلط بالماء، بيد ان الزيت يبقى زيتاً والماء يبقى ماء. شأن ان يكون الرجل حكَماً وخصماً في آن. يُؤخَذ بإفتائه، ويسعه في الوقت نفسه رفع المتاريس.

منذ بدء تطبيق اتفاق الطائف مروراً بعقدين ونصف عقد من الزمن، اضحى نبيه برّي اشبه بقوس ارتكاز يدور من حوله النظام برمته. يتغيّر الآخرون جميعاً ويشارك هو في تغييرهم، لكنهم يظلون يدورون بإزاء هذا القوس. حجج وفيرة على مرّ السنين المنصرمة راحت تبرّر ضرورة ان يبقى في منصبه، كما لو انه حاجة للجميع: مرة هو «الشعبي» الاكثر تمثيلاً سياسياً لطائفته رغم وجود حزب الله الى جانبه. مرة هو الحليف الاكثر وثوقاً به من سوريا في وقت كان كل مَن في السلطة حينذاك في صلب التحالف معها. مرة انه الاقدر عبر البرلمان على انتظام السلطات الدستورية والحؤول دون خروجها على الخيارات الاستراتيجية في شقيها الداخلي والخارجي. مرة هو المفاوض الشيعي الوحيد في ادارة توازنات اللعبة الداخلية قبالة الياس هراوي ورفيق الحريري. مرة هو المحاور الوحيد الصالح مع الخارج بإزاء ما كان يُنعت به حزب الله قبل التحرير شأن ما بعد عام 2000. مرة هو حامل سر دمشق الذي كان يحتاج الحلفاء اليه. مرة هو ناظم لعبة المشاركة في السلطة ابان الترويكا وفي كل التعيينات منذ رسم زيحاً بين أن يأخذ الجميع او لا احد يأخذ. عبّرت عنها عبارته منذ ما قبل ترؤس المجلس واستمرت بعده: «مَن يحضر السوق يبيع ويشتري».

26 عاماً في عمر البرلمان هي اكثر من ثلث عمر الاستقلال (مروان طحطح)

كان ذلك قبل اجلاء سوريا جيشها عن لبنان عام 2005. منذ ذلك العام لم يتغيّر الدور وأُضيف اليه: مرة هو الشيعي الوحيد الذي يتحدّث معه الغرب ولا يسعه الا ان يعرّج عليه. مرة هو الشيعي غير الايراني. مرة هو داعية التصالح الإيراني ـ السعودي. مرة هو الضامن الفعلي لدور حزب الله في السلطة وشريكه الحقيقي عند الاحتكام الى السلاح لمنع ابتداء المقاومة او التعرّض لسلاحها، ولا يتردد في ان يكون الشريك الحقيقي في 7 ايار 2008 وفي الوقت نفسه نافذة على التسوية السياسية الحتمية التي تلته. مرة هو ابواب الحوار الوطني عندما تكون موصدة بين الجميع وتُراس طاولتها مرتين. لكنه ايضاً موصد ابواب البرلمان ـ حينما يقال انه يحمل مفاتيحه ـ عندما يختل انتظام علاقة السلطات بعضها ببعض. وضع بذلك معايير غير مسبوقة اقربها اثنتان على الاقل: عندما رفض مثول حكومة فؤاد السنيورة امام المجلس بعد استقالة وزرائها الشيعة مجرّداً اياها من شرعيتها الدستورية فاضحت سابقة، وعندما قال بـ«التوافقية». مفتي الجمهورية كذلك عندما يُدعى الى تخريج تسويات تتوخى غض النظر قليلاً ـ او كثيراً ـ عن القوانين والدستور في سبيل انتظام الاستقرار وتوازن يرضي الجميع.

منذ انتخابه في المرة الاولى، الى اليوم، مغازي شتى كثرت دلالاتها على مرّ السنوات التالية:

اولاها، انه اول رئيس للبرلمان في تاريخ لبنان يأتي اليه، وهو طرف رئيسي في الحرب اللبنانية شارك في معظم فصولها، على نحو مكمّل لانتخاب اول رئيس للجمهورية منخرط في الحرب هو بشير الجميل عام 1982 ثم من بعده شقيقه امين الجميّل. بذلك سجّل تعاقب هؤلاء سابقة لم يعد يُنظر اليها على انها احد محرّمات تقاليد الحياة السياسية اللبنانية في ما مضى: ان تكون على رأس السلطة شخصية محايدة، غير ضالعة في اقتتال اهلي. منذ السابقة عام 1982، مروراً بتكريسها عام 1992، بات وجود شخصية حزبية منبثقة من شارع شعبي امراً واجباً كي ينتظم التوازن السياسي الداخلي.

رغم انه اضحى رئيساً للسلطة الاشتراعية، لم يتخلّ يوماً عن الموقع الاصل، رئيساً لحركة امل منذ عام 1980، وفي الوقت نفسه صاحب خيارات تجعله طرفاً منخرطاً في معادلة الخلافات والانقسامات السياسية، مقدار ما هو رئيس لبرلمان يضم الأفرقاء المتنافرين، ويحاول استيعاب تناقضات الخارج في الداخل.

ثانيها، رغم الاجماع على دوره بعد كل مرة يصير الى انتخابه رئيساً للمجلس، لم يكن الانتخاب نفسه يحظى بالضرورة بالاجماع. امر رافق دورات الانتخاب الخمس تقريباً، واقترن دائماً بواقع المرحلة. في اول انتخاب له في 20 تشرين الاول 1992 نال 105 اصوات من 125 مقترعاً بينما حصل منافسه محمد يوسف بيضون على 14 صوتاً الى 5 اوراق بيض وورقة واحدة ملغاة. كانت تلك المرة الاولى والاخيرة يواجه تنافساً ـ وإن غير متكافئ ـ في مرحلة صعود الدور السوري السياسي والعسكري في لبنان، في اول انتخابات نيابية عامة بعد 22 عاماً من الانقطاع. على ان الانتخاب التالي أُجري في ظل استقرار المعادلة السياسية ـ وقد اضحى رفيق الحريري في صلبها بترشحه للمرة الاولى للنيابة ـ فحاز نبيه برّي 122 صوتاً من 126 مقترعاً في جلسة 22 تشرين الاول 1996 الى 4 اوراق بيض. في انتخاب 17 تشرين الاول 2000 نال 124 صوتاً من 126 مقترعاً الى رفيقين بيضاوين. على ان الانتخابين التاليين حضرا في ذروة شرخ وطني بين قوى 8 و14 آذار، وكان رئيس المجلس رأس حربة في الفريق الاول، في مرحلة لم تقتصر على اغتيال رفيق الحريري، بل كان الطرف الآخر من خيطها المشدود استهداف سلاح حزب الله من خلال القرار 1559 الذي رفعته قوى 14 آذار شعاراً مكمّلاً لاستثمار الاغتيال. في انتخاب 28 حزيران 2005 نال 90 صوتاً من 128 مقترعاً الى 37 ورقة بيضاء وورقة لباسم السبع. تكرّر مقابل كمّ من اوراق بيض او اقتراع لسواه ما بين 37 و38 صوتاً. في المرتين استبق انتخاب رئيس المجلس تعهّد اصوات في قوى 14 آذار، وتيار المستقبل، راحت تقول بديل من نبيه برّي الى حدّ ذهاب سعد الحريري الى السيد حسن نصرالله يطلب منه التخلي عن تأييده بأي مرشح آخر يختاره بنفسه، بما في ذلك نائب في حزب الله. كان الجواب قاطعاً: وحده مرشح الطائفة الشيعية.

> رئيس للبرلمان ورئيس لحزب، طرف وحكم في آن

> كسر شوكة رفيق الحريري عندما رفض منحه صلاحيات اشتراعية

ثالثها، بعيد انتخابه للمرة الاولى رئيساً للمجلس، سمع اللبنانيون والنواب الجدد والقدامى عبارة غير مألوفة، اذ قال في مستهل خطابه «باسم الله»، قبل ان تدرج لاحقاً. قبل يومذاك ان الرجل اتى الى المنصب مع طائفته وحزبه ومفرداتهما وانظمتهما. ثم كانت الصدمة الثانية عام 1994 حينما دعا الى تأليف الهيئة الوطنية لالغاء الطائفية السياسية، قبل ان يتراجع عن نص ملزم اورده الدستور، اذ اكتشف ان المسلمين كالمسيحيين ضدها. مذذاك بدأ الرجل ـ وقد نُظر الى انتخابه عام الرقم نفسه بعد اربع سنوات في ظل استمرار الانقسام، في انتخاب 25 حزيران 2009 بنيله 90 صوتاً من 127 مقترعاً الى 28 ورقة بيضاء و3 اوراق ملغاة و3 اخرى لعباس هاشم وورقة لعقاب صقر وورقة لغازي يوسف وورقة لصبري حمادة. بذلك لم يعتد الرجل على الاجماع على انتخابه، الا ان اليوم التالي لهذا التصويت مختلف تماماً.

وقد لا يكون من باب المصادفة ان انتخابي عامي 2005 و2009 استقرا على التصويت له بـ90 صوتاً، في وكان رئيس المجلس رأس حربة في الفريق الاول، في مرحلة لم تقتصر على اغتيال رفيق الحريري، بل كان الطرف الآخر من خيطها المشدود استهداف سلاح حزب الله من خلال القرار 1559 الذي رفعته قوى 14 آذار شعاراً مكمّلاً لاستثمار الاغتيال. في انتخاب 28 حزيران 2005 نال 90 صوتاً من 128 مقترعاً الى 37 ورقة بيضاء وورقة لباسم السبع. تكرّر مرشح الطائفة الشيعية.

ثالثها، بعيد انتخابه للمرة الاولى رئيساً للمجلس، سمع اللبنانيون والنواب الجدد والقدامى عبارة غير مألوفة، اذ قال في مستهل خطابه «باسم الله»، قبل ان تدرج لاحقاً. قبل يومذاك ان الرجل اتى الى المنصب مع طائفته وحزبه ومفرداتهما وانظمتهما. ثم كانت الصدمة الثانية عام 1994 حينما دعا الى تأليف الهيئة الوطنية لالغاء الطائفية السياسية، قبل ان يتراجع عن نص ملزم اورده الدستور، اذ اكتشف ان المسلمين كالمسيحيين ضدها. مذذاك بدأ الرجل ـ وقد نُظر الى انتخابه عام 1992 حينما دعا الى تأليف الهيئة الوطنية لالغاء الطائفية السياسية، قبل ان يتراجع عن نص ملزم اورده الدستور، اذ اكتشف ان المسلمين كالمسيحيين ضدها. مذذاك بدأ الرجل ـ وقد نُظر الى انتخابه عام 1992 ـ الى عقد صفقة مع القاعدة الجوهرية للنظام، ثم لا يلبث ان يسهر هو بالذات عليها: في احايين كثيرة موازين القوى وعلاقات الطوائف بعضها ببعض هي التي تسيّر النظام، لا النصوص والصلاحيات ولا الدستور حتى. استقرار هذه العلاقات في صلب الاستقرارين السياسي والامني. اذذاك بات نبيه برّي في غير الصورة التي طبعت دوره طوال عقد الثمانينات.

هو الرجل الذي نادى في عهد امين الجميّل بالحسم العسكري، وبتقصير ولاية رئيس الجمهورية وكان وزيراً في حكومته، الذي اشتبك مع الافرقاء جميعاً تقريباً في صدامات الحرب: وليد جنبلاط والقوات اللبنانية وحزب الله والشارع السنّي في بيروت والفلسطينيين والجيش حتى. الرجل ايضاً الذي كسر شوكة رفيق الحريري منذ اليوم الاول لترؤسه اولى حكوماته عندما رفض منحه صلاحيات اشتراعية، وناوأ التمديد للياس هراوي عام 1995. الرجل نفسه يمسي الآن ملاذ وليد جنبلاط ويحتضن سعد الحريري على وفرة «النقار» ـ والعبارة له ـ مع والده الراحل، الذي ينقّز من فؤاد السنيورة، ولا تستغني القوات اللبنانية عن التقرّب منه. يصادق امين الجميّل، ولا ينسى مرة بعد اخرى ان يذكّر بدوره في إسقاط 17 ايار فاتحة تقويض حكم الرئيس. هو ايضاً رئيس المجلس الوحيد الذي وقف في طريق انتخاب رئيس للجمهورية هو ميشال عون وجهر بالتصويت ضده، بعدما اعتاد اسلافه على المباهاة باضطلاعهم بادوار ساهمت في انتخاب رؤساء.

وقد يكون، في قرارة نفسه، «اقترف» خطايا تاريخيين من دون ان يجهر بهما لكنهما علّام حتماً: عندما دافع عن انتخاب اميل لحود عام 1995 ثم تحمّس لانتخابه عام 1998، قبل ان يكتشف غداة جلسة 15 تشرين الاول، في اول لقاء بالرئيس المنتخب، الصدمة حينما اخطره اميل لحود انه لا يقرأ الجرائد ولا يهتم بها. ردّه المقتضب: اوف. هو ايضاً وراء اقتراف ثان حينما برّر الاحتكام الى المادة 74 لانتخاب ميشال سليمان رئيساً للجمهورية عام 2008، مفتتحاً سابقة تبقى لاحقاً ان لفكتها باهظة.

الولاية الأطول قياساً بالأسلاف

ليس نبيه برّي الوحيد صاحب الولاية الطويلة قياساً بأسلافه: صبري حمادة 14 سنة متقطعة مع بشارة الخوري وفؤاد شهاب وشارل حلو، كامل الاسعد 16 سنة بينها 14 سنة متواصلة مع سليمان فرنجيه، عادل عسيران 5 سنوات متواصلة مع كميل شمعون، حسين الحسيني 8 سنوات بلا انقطاع في عز سني الحرب والانقسام. حتى اتفاق الطائف كانت الولاية سنّة، من ثم اصبحت من عمر المجلس، فانتخب في خمسة برلمانات متعاقبة طوال 26 عاماً، وصولاً الى سادسها الوشيك غداة السادس من أيار 2018.

مصيْلح التي لا تشيخ

فراس خليفة

كان الوقتُ ظهراً في مصيلح. رياح ربيعيّة خفيفة تُحاكي «الأخضر المتدرّج إلى الأصفر»، اللّون المعتمَد للوائح حركة أمل وحزب الله. يعود «اللّون» إلى مصيلح في مواسم الانتخابات. يستنفر «فريقُ العمل». ينسّق «رجال الرئيس» نبيه برّي مواعيده والإجراءات اللوجستيّة والأمنيّة. يستمدّ هؤلاء نفوذهم من وجودهم على مسافة قريبة من مكتب «دولتو». يتحرّكون على إيقاع «الباب العالي». يَخرُج من مكتب الرئيس ضابط برتبة عالية أنهى للتو لقاءه به، فينادي برّي من الباب: «وينهن جماعة الأمريكيّة؟». يستقبلُ صبيّة وشاباً من الجامعة الأميركية في بيروت جاءا يعرضان عليه مشروعاً أكاديمياً. بعدها، تدخل عائلة صغيرة ولا تمكث أكثر من دقيقة واحدة، يليها وفدٌ نسائي من «أمل». تمتلئ «قاعة أدهم خنجر» باكثر من أربعمئة شخص من وفود بلدية واختيارية من مناطق النبطية ومرجعيون وبنت جبيل وحاصبيا. يخرج الرئيس مرّة أخرى، ولكن إلى القاعة الأحبّ إلى قلبه هذه المرّة. في الصورة المثبتة خارجاً يقف أدهم خنجر «فقيد العرب ضيف سلطان باشا الأطرش»، شاهراً سلاحه. على منبر «لبنان الأمل» يقف نبيه برّي مزهوّاً بعد ثلاثة عقود من وقفته الأولى في المكان ذاته أمام جمهور المهنّئين بفوزه بأوّل انتخابات نيابية بعد الحرب الأهلية. يمارس الرجل «العبته المفضّلة» في إدارة المعارك الانتخابية، شاهراً «أسلحته» لخوض ما يصفه بـ«العرس الديمقراطي».

يُحدّث برّي الحضور المتنوّع عن «جذور العائلة اللبنانية الواحدة»، ويؤكد «أن الجنوب صخرة الوحدة الوطنية». يخاطب رؤساء المجالس البلدية والاختيارية بالقول: «إنتوا إلكن فضل عليّ». يعرف برّي كيف يخاطب هذا العدد من رؤساء بلديات ومخاتير في لقاء واحد. تضجّ القاعة بأحاديث القُرى وأهلها. الدور عليهم الآن وفقَ «النظام». أوّل الكلام المختار من «العرقوب» شدّد على «هوية المنطقة المقاومة». يفتتح رئيس بلدية عيترون «سوق عكاظ» المطالب الخدماتية، مستفسراً عن زيادة أسعار التبغ والرُّخص والضمان الاجتماعي.

> نقل برّي مصيلح من مجرّد قرية صغيرة مغمورة إلى اسم معروف بدلالة سياسية كبيرة

بمازحه برّي: «هالزيتونات اللي كانوا عاوّل الضيعة كانوا حلوين زجعوا ازرعوهن». يحذّر رئيس اتحاد بلديات بنت جبيل من احتمال إغلاق مستشفى بنت جبيل الحكومي، فيما يشير رجل آخر إلى «سوء توزيع أموال البلديات». يأخذ مختار بلدة الخيام الدور ويثير إشكالية «التأخير المتعمّد في استخراج بطاقات الهويّة»، فيساله برّي: «معو خبر علي حسن خليل وتوسعة الطريق بين كفرشوبا وسوق الخان. يعقّب الرئيس برّي: «ويِنّوي محمد سرور؟ عيطولو، وخلّوه يعمل ملف بالموضوع».

منذ عام 1992 حتى الآن، لم تتغير لائحة المطالب المحلية. يطالب رئيس بلدية «الميري» بحسبة خضار في النبطية، ويشكو آخر مزاولة القاضي العقاري للنبطية دوامه الرسمي في صيدا. يطرح رئيس بلدية «انصار» ملف المشاعات وطريق أنصار ـ ابو الأسود وأزمة الكهرباء. يطالب رئيس بلدية «الخلوات» بسرايا حكومية في حاصبيا، ويسال آخر عن تعويضات مجلس الجنوب لأهالي كفرشوبا. يُحدث بعض الحضور جلبة في القاعة المكتظّة. يمازحهم برّي: «يا إخوان بعدني ما رفعتش الجلسة». ينبري أحدهم مخاطباً برّي: «دولة الرئيس، منتمنّى إنو نرجع نشوفك هون عطول». يردّ برّي: «أنا غبت عن الجنوب لأسباب أمنية، ولكن ضلّيت عم إستقبل الناس ببيروت». انتهى اللقاء، ومثله لقاءات أخرى، بوعود كثيرة «بما أستطيع تنفيذه أو متابعته»، على ما يقول برّي، وأيضاً بتقديم «شوكولا لبنان الأمل». غداً يوم آخر!

> بالموضوع». رئيس بلدية حاصبيا يطرح مشكلة تصريف زيت الزيتون. أحد مخاتير حاصبيا يقول له: «نحنا السُّنّة بهالمنطقة ما إلنا غيرك يا دولة الرئيس»! يلفت رئيس بلدية كفرحمام إلى مجموعة مطالب تتعلق بشجر الصنوبر ومشكلة الصرف الصحّي

«غرفة عمليات» انتخابية

الطريقُ إلى مصيلح تمرُّ بـ«أوتوستراد الإمام موسى الصدر» الذي لم يُنجَز نهائياً بعد. يشكو الجنوبيون فحارق النفايات على جانبَي الأوتوستراد، وعتمةَ الطريق ليلاً. قبل أسبوعين أضاء مرشّحون ومناصرون لائحة المنافسة في «الزهراني ـ صور» شُموعاً وأعلنوا الظلام ـ أيضاً. في الطريق إلى مصيلح تحضر شعارات «القوات» و«التيار الحر» الانتخابية ولوائح أخرى معارضة لـ«الثنائي». قد تكون حملة «أمل» الانتخابية هي الوحيدة التي استخدمت صوَر مواطنَين عاديَين بدل صور مرشّحيها الذين لم يتغيّر معظمهم منذ سنوات طويلة.

من منزله في مصيلح، يدير برّي معركته الانتخابية في كل الدوائر، ويطلق مواقف شبه يومية خلال فترة «معسكره» الانتخابي. في مصيلح أيضاً (مجمّع الرادار) تُتّخذ اللجنة الانتخابية لـ«الحركة» في منطقة الزهراني مقرّاً لها، حيث يترشّح برّي منذ لم يعد الجنوب دائرة انتخابية واحدة. «يُحوّل» الرجل كلّ الملفات والتقاءات إلى مصيلح في مثل هذا «الموسم». يمضي معظم يومه «العادي» متنقّلاً بين مكتبه والقاعة الكبرى. أخيراً، أشار رئيس حركة «الأمل» في أحد لقاءاته الانتخابية إلى أهميّة توزيع الصوت التفضيلي على مرشّحي لوائح «الأمل والوفاء»، من دون الإشارة إلى الآليّة المتّبعة. لكن مصادر في اللجنة الانتخابية الحركية تقول لـ«الأخبار» إن آليّة توزيع الصوت التفضيلي «ستعتمد على سجلّات نفوس المواطنين، لا على أساس هذه البلدة أو تلك». تؤكد المصادر ذاتها «أن رفع نسبة الاقتراع يوم الانتخابات إلى أقصى حد هو هدف أساسي بالنسبة إلينا»، مشيرة إلى أن الماكينة الانتخابية الحركية «ستتمكّن من إصدار النتائج خلال ساعة من بدء عملية فرز الأصوات».

مصيلح أو «ديوانية المطالب»

لا ينجح «حرش مصيلح» في إقناع امرأة أربعينيّة بتعذّر مقابلة «دولته». تصرُّ المرأة على موقفها كمَن قرّر أن يحقّق «فوزاً معنوياً». تقول: «غيري مش أحسن مني، وعندي مشكلة بس هوي بيحلها». يسمح الحرس لها بالدخول، ولكن إلى ما يُعرف اصطلاحاً بـ«مكتب العميد سرور». يجول الرّجل الموكلة إليه مهمّة ضيافة القهوة. قرب الباب الموصل إلى مكتب «العميد»، يُدوّن رجُل آخر مواعيد جديدة ويدقّق في أسماء الأشخاص والوفود. يحضر مواطنون من بلدات جنوبية قريبة أو بعيدة، وكثيراً ما تجمع الحاجة إلى «الواسطة» أشخاصاً من ضيعة واحدة في المكان ذاته من دون علم الطرف الآخر. يعتذر سرور من الحاضرين: «لا تواخذونا تأخّرنا شوي فوق مع دولة الرئيس». اكتسب الرجل ثقة الجميع هنا. إنها خبرة سنوات طويلة من التعامل مع الناس والملفات الخدماتيّة. يشير المقربون من برّي إلى أنّ سرور كان حاضراً دائماً إلى جانب المرحوم الرائد يعقوب ضاهر الذي يُعدّ أوّل من نظّم هذه الآلية، ومن ثم مع النائب هاني قبيسي، قبل أن يصبح المكتب لاحقاً معروفاً باسم العميد سرور نفسه. تحضرُ كل المطالب، من طلب وظيفة، إلى مساعدة استشفائية، إلى حفر بئر ارتوازية، إلى تسوية مشاكل عقارية، إلى طلب منحة جامعية أو حل مشاكل قضائية مع المحاكم ومطالب خدماتية متعددة في ما يمكن عدّه «ديوانية المطالب»!

خلال ثلاثين سنة، تجاوزت مروحة خدمات مصيلح الجمهور الحركي. من هنا، لُفسر حساسيّة ملف قضاء جزين الانتخابي لدى الرئيس برّي. هذا «النهج»، وعمره عقود، «ليس سوى تكريس لارتهان اللبنانيين لهذا الزعيم أو ذاك كأحد إفرازات النظام السياسي الطائفي القائم

> الماكينة الانتخابية الحركية «ستتمكّن من إصدار النتائج خلال ساعة من بدء عملية فرز الأصوات»

على المحاصصة»، يقول المعارضون للرئيس برّي. مؤيدو رئيس المجلس يبرّرون الأمر بالفكرة ذاتها أيضاً: «ما دامت تركيبة البلد الطائفية لا تسمح للمواطن بالوصول إلى كامل حقوقه من دون الاستعانة بغطاء من السلطة، فلنا شرف خدمة الناس»!

الدور والموقع و«الزعامة»

على العكس من زعامة آل الأسعد التاريخية، بنى نبيه برّي «زعامته» متكئاً على «تركة الإمام موسى الصدر» ليكرّس لاحقاً زعامته المطلقة داخل تنظيم «أمل» وشبه المطلقة على مستوى الطائفة الشيعية (قبل أن يلمع نجم السيد حسن نصرالله)، مستفيداً من كونه شريكاً رئيسياً في «جنّة السُّلطة» وما تؤمّنه من نفوذ ووظائف وخدمات لا تحصى ولا تعد.

منذ أكثر من ثلاثة عقود، وعلى كتف تلّة صغيرة، وعند مفترق طرق بين صور وصيدا والنبطيّة، اختار برّي أن يبني بيتاً له هناك (صمّمه المهندس عادل نجم)، ناقلاً مصيلح من مجرّد قرية صغيرة مغمورة إلى اسم معروف بدلالة سياسية كبيرة. ومع وصول الرئيس برّي إلى رئاسة المجلس النيابي عام 1992 «تحوّل قصر مصيلح إلى مقر رئاسة ثانية غير مُعلن، إلى جانب عين التينة، وصار بمثابة معبر سياسي إجباري لكل الوفود السياسية المحلية والعربية القادمة إلى الجنوب، فضلاً عن كونه مرجعاً للكوادر والقواعد الحركية»، على حدّ تعبير «حركي» عتيق. يقول الرجُل إن «الشخصية الرئيس برّي دوراً كبيراً في تكريس حضور مرجعية مصيلح»، مشيراً إلى أن «ما يميّز برّي هو تدخله في تفاصيل التفاصيل في كل القرى، وهو يخاطب كل شخص بلغته، يحصل ذلك مع المختار الآمّي، وكذلك مع الأستاذ الجامعي».

يُقِرّ رجل حركي واكب مراحل كثيرة في مسيرة «أمل» بأن «زعامة مصيلح» أصابها ضمور جزئي بعد عام 2005، ومن ثم في مرحلة ما بعد 2011، بفعل العوامل الأمنية التي حالت دون حضور رئيس الحركة في مصيلح لفترات طويلة، مع الإبقاء على زيارات تذكيرية يُستثنى منها مواسم الانتخابات، ويضاف إلى ذلك بروز عامل مهم جداً، هو صعود نجم حزب الله، وتحوله إلى لاعب إقليمي، فضلاً عن كاريزما السيد حسن نصرالله الاستثنائية. مع ذلك، يضيف الرجل، استطاع برّي أن يحافظ على حيثيته، فضلاً عن أن الحزب لم يطرح نفسه منافساً لحليفه الأساسي على مستوى الدولة.

قضية اليوم

الحريري شمالاً: محاربة ميقاتي بـ«السلفيات»

جولة أخيرة تقود رئيس تيار المستقبل سعد الحريري على مدى 72 ساعة في العديد من مدن وقرى وبلدات دائرتي الشمال الأولى (عكار) والثانية (طرابلس والمنية والضنية) وجزء من الثالثة وتحديداً الكورة

نجلة حمود

هي جولة الـ«سلفيات» الحريرية الأخيرة في الشمال. من بعدها، الاتكال على زنود المرشحين وماكيناتهم وتحالفاتهم وأموالهم. للماكينات الانتخابية مخصصاتها المادية حصراً بالمتطلبات اللوجستية. مسؤولية المذوبين (أكثر من عشرة آلاف) تقع على المرشحين. ضمور المال لا بد من تعويضه. في هذه الخانة، تندرج جولة سعد الحريري الختامية في الموسم الانتخابي الحالي. جولة قياسية بكل معنى الكلمة لم يسبقه أحد إليها. لا والده ولا أي رئيس حكومة منذ الاستقلال حتى الآن. يكاد الرجل يفاجئ نفسه. في عكار وحدها، ستنتظره 17 قرية. رؤساء البلديات والمخاتير المحسوبين عليه في ذروة الاستنفار. الأولوية لتأمين الحشد للزائر الكريم بحضوره «سلفياته». الجولة في عكار تبدأ بنزول مروحيته في أكروم عند الثامنة والنصف صباحاً

> لو نطقت جدران «الكواليتي إن» لافصحت الكثير عن المال الذي كان يصرف هنا وهناك

وتستمر حتى ساعات المساء، ومن المفترض أن يزور خلالها غالبية المناطق العكارية سالحاً وجرداً، من منطقة جبل أكروم، إلى وادي خالد، القبيات، البيرة، الكويخات، حلبا، جبرايل، تكريت، البرج، عكار العتيقة، فنيدق، مشمش، عين الذهب، وصولاً إلى برقايل، ببنين إضافة إلى سهل عكار حيث سينظم لقاءان أحدهما في مطار القليعات، و«مسك الختام» في كفريا في قضاء الكورة حيث تياره منقسم على نفسه منذ سنوات. استهل الحريري، يومه الشمالي الأول من طرابلس، «الصبحية» عند محمد كبارة، كانت «تاريخية»، على حد تعبير «أبو العبد». المحطة الثانية في دار الإفتاء في طرابلس وتخللتها خلوة مع المفتي مالك الشعار و«جمعة» رجال دين. كل محاولات تحييد الشعار باءت بالفشل. أعلنها الأخير بالفم المألن: الحريري «الرجل الأول» و«الأمل الكبير» و«زعيم عظيم» (تعبيرات مأخوذة أو مسروقة من قاموس الشطر الكوري الشمالي). محطته الثالثة كانت في المسجد المنصوري الكبير. كان لا بدّ بالأمس من زيارة مجاملة لمحمد الصفدي، ومثلها غداً لأسعد هرموش. القاسم المشترك بين الأخيرين تقديمهما تسهيلات انتخابية لسعد الحريري. مضى الحريري في جولته. الحشد كان يتنقل من مكان إلى آخر. باب التبانة، البداوي، الميناء. هنا المحطة ـ «الغصة». في هذه المنطقة صديق تاريخي قديم لآل الحريري وللسعودية وقيادتها، اسمه توفيق سلطان (أبو راشد). لا يريد الحريري أن «يبلع» كيف أن هذا الرجل قرر أن يصبح خط الدفاع السياسي الأول عن نجيب ميقاتي خصم الحريرية السياسية الأول في الميدان السني. أطلق الحريري النار على ميقاتي. اتهمه بعرقلة كل مشاريع طرابلس. سنة واحدة من الحكم الميقاتي كانت كفيلة للإطاحة بعشرين سنة من الوعود الحريرية. لم يترك الحريري صغيرة أو كبيرة إلا وحمل مسؤوليتها لـ«الإنقلابي» نجيب ميقاتي. برر هذا الهجوم العنيف بقوله للإعلاميين: «لا أستطيع إلا أن أرد على الحملات الجائرة المنطلقة من مكان قريب من هنا (دارة ميقاتي في الميناء)، والتي تحملنا مسؤولية هذه المشكلة (جبل النفايات)، لأهداف انتخابية».

المفارقة أن ميقاتي الذي يقدم نفسه فجاة شخصية هجومية للجمهور الشمالي، أكمل خطابه بقرار النزول الاثنين إلى الشارع. تشاور مع أركان اللائحة. الرد يبدأ من لحظة مغادرة الحريري. «لن نسكت بعد الآن» قال أحدهم. هم «يريدون شد العصب الانتخابي بالغرائز وكان الأحرى بهم أن يخاطبوا مصالح الناس وحاجاتهم وواقعهم الصعب. نعم لن نسكت بعد الآن حتى يستطيع المواطن الطرابلسي أن يميز بين الأسود والأبيض».

لا صمت انتخابياً في الشمال. في موسم المغتربين أم في موسم المقيمين. من طرابلس، توجه الحريري إلى القلمون. هناك، اختار الرجل أن يتصرف كأنه في دارته في «بيت الوسط». ركب على سطح سيارته المصفحة مئات الأمتار في شوارع القلمون وصال في أحيائها الضيقة. الهدف امتصاص ما فعله «جماعة التيار» مع زيارة ميقاتي الأخيرة لهذه البلدة الشمالية. أرز وماء زهر وورود و«سلفيات» بالطول والعرض ومن زوايا متعددة. لا محظور أمنياً لهكذا انكشاف لرجل غاب عن بلده أربع سنوات بسبب الهاجس الأمني. إنه موسم الانتخابات. لا شيء يقدمّه لأهله هناك إلا حضوره وصورته معهم.

في منتصف الطريق بين القلمون وطرابلس، يقع فندق جميل اسمه «كواليتي إن». فندق اعتاد سعد الحريري وفريقه وماكينته المركزية أن يقيموا فيه في مواسم الانتخابات النيابية والبلدية منذ عام 2005 حتى آخر انتخابات نيابية (2009) وبلدية (2016). هذا الفندق لو كانت جدرانه تنطق لأفصحت الكثير عن المال الذي كان يصرف هنا وهناك. لم يكن الحريري مضطراً لأكثر من زيارة واحدة لكل قضاء في الشمال. الكواشرة في عكار. سير في الضنية. طرابلس. المنية الخ...

مع شح المال، لا بد من تعويض. ما إن وصل الحريري، ليل أمس، إلى الفندق، حتى غطس في حمام طويل. أزال الروائح والعطور وكل ما لحقه في جولاته. المشهد لا بد وأن يتكرر. لا شيء يقدمه لجمهوره إلا «السلفيات». فلتكن محطات جولته عديدة. سيسجل التاريخ أنه أول رئيس حكومة تدخل صوره إلى الكثير من بيوت الشمال. إنها مدرسة انتخابية جديدة. لا بد أن تقرأها أعتى الديموقراطيات وأن تحاول استنساخها. انتخابات بلا أموال. أهلاً وسهلاً بـ«السلفيات».

خافت شوارع القلمون بموكب الحريري و«سلفياته» (دالاتي ونهرا)

تقرير

بعلبك إذا خيّرت: الإنتماء قبل الإنماء

كلما اقترب موعد السادس من أيار زادت أجواء الانتخابات حماوة في دائرة البقاع الثالثة (بعلبك ـ الهرمل). هناك من يطمح إلى خفض نسبة الاقتراع إلى حد حجز هويات مقابل مبالغ مالية. وهناك من يدفع ثمن الصوت التفضيلي حوالي 1500 دولار. وهناك من يريد رفع الحاصل الانتخابي للحدّ من خسارته ومن أرباح منافسيه

غادة حلاوي

قاصد بعلبك لا يحتاج الى دليل. صور المرشحين على طول الطريق ترشده إليها. مدينة الشمس التي تكاد صور المرشحين تحجب اشعتها، لها مع الانتخابات حكاية قديمة متجددة. نكهتها الحالية تجسّدها صور الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله. صور بأعدادها وأحجامها تتفوق على صور المرشحين أنفسهم. لكنها لا تحجب وجود لائحة منافسة بعنوان «الكرامة والإنماء» برأسها المرشح الشيعي الأكثر جدية يحيى شمص.

انتقادات الأهالي لأداء نوابهم الحاليين هي نفسها التي تسمعها في كل مكان عن ضعف الخدمات وانعدام التوظيف وغياب الإنماء. ولكن، مع «دوز» بعلبكي أقوى مرده السلاح المتفلت الذي تعاني المدينة من وطأته. إذ قلّما ينقضي يوم من دون تسجيل اشتباك مسلح يجر التجار على إقفال محالهم والناس على التزام بيوتهم. وكالعادة، تلقى اللائمة دائماً على... حزب الله، الطرف الأقوى. مصادر الحزب تؤكد أن حفظ الأمن لم يكن يوماً ولن يكون من مسؤوليته، غامزة من تقصير متعمّد من بعض الأجهزة الأمنية التابعة لجهات سياسية في تأمين العديد الكافي من العناصر لفرض القانون، حتى تبقى أصابع الاتهام موجّهة الى الحزب. يؤكّد «وجه» بعلبكي أن المطلوب من الدولة هو «القرار». ويضيف: «صحيح أن صيتنا سابقنا، ولكن عندما كان السوريون هنا، كان وجود عنصر واحد من المخابرات على حاجز كفيلاً بحفظ الأمن».

سياسة أم انماء؟

على رصيف الشارع الرئيسي في قلب المدينة، يتسامر شبان امام أحد المقاهي. أحدهم جريح، وآخ لشهيدين، يوافق على أن اعتراضات البعلبكيين حول التقصير في الإنماء والخدمات محقّة. «لكنها ليست مسؤولية نواب المقاومة. بل مسؤولية الحكومة والدولة كلها. مهما قدم النواب لن يفوا المنطقة حقها، ولكن يجب ألا ننسى أنه لولا المقاومة لما كان هناك انماء ولا امن في كل لبنان». يقلّل شاب ثلاثيني من تأثير الانتقادات على الخيارات السياسية في المدينة وقرى بعلبك ـ الهرمل. من وجهة نظره، «أحوال بعلبك افضل من غيرها خدماتيا. البطالة مشكلة عامة». للناس الحق بأن تعترض على غياب الانماء في بلاد بعلبك ـ الهرمل، برأي هادي، «وإذا إجتمع الإنماء والقضية معاً فهذا ممتاز. أما إذا خيّرونا بين القضية والإنماء، فنحن حتماً مع الإنتماء، ولا يمكن أن نعطي صوتنا الا للمقاومة»، مشيراً الى أن «يحيى شمص زلمي ادمي، ولكن بالمعركة ما في حياد: إما مع المقاومة أو ضدها».

يدرك شمص أهمية ما تعنيه كلمة «المقاومة» في خزانها الشعبي الرئيسي، ولذلك حرص في حملته الانتخابية على تضمينها في شعاراته: «حرصنا على المقاومة لكن ولاءنا لبعلبك». الماكينة الانتخابية لشمص تستهدف أساساً الشريحة غير المحازبة وتحديداً تلك التي تصدر عنها تعبيرات إحتجاجية على أداء وزراء المنطقة ونوابها. الهمّ همّان عند شمص: «اقناع الناخبين بالتصويت للائحة ومنحه صوتهم التفضيلي»، بحسب أحد المحسوبين عليه، وفي الوقت نفسه عدم استفزاز هذه الفئة التي تجد صعوبة في «بلع» التحالف مع القوات اللبنانية وتيار المستقبل. لذلك، لا ينفك الرجل يؤكد أن هذا التحالف «انتخابي ظرفي، وليس سياسياً». لكن، هنا تحديداً، تكمن نقطة ضعفه الأساسية. فبالنسبة الى كثيرين، لا تستقيم المقاومة والتحالف مع القوات والمستقبل، خصوصاً أن هذين الطرفين لا يخفيان أن الخرق بمقعد شيعي هو العنوان الأول لمعركتهما. كما يأخذ كثيرون على شمص غيابه عن المنطقة وتفرغه لأعماله الخاصة منذ ترشحه الى الانتخابات النيابية عام 2005.

الرشى الانتخابية

الحديث عن شراء الاصوات في المنطقة بات علنياً. يقول أحد مرشحي لائحة الثامن من آذار إن السعودية إذا قررت دفع مال إنتخابي، فلن يكون ذلك إلا في بعلبك ـ الهرمل للفوز بمقعد شيعي. بما لذلك من رمزية سياسية. ويؤكد أن «بعض المخاتير المحسوبين على لائحة تيار المستقبل يحجزون هويات ناخبين مقابل مئة دولار للهوية الواحدة من أجل خفض الحاصل الانتخابي».

الاتهامات تشمل شمص أيضاً. إذ يؤكد عدد من أبناء العشيرة لـ «الأخبار» أنه يخوض المعركة بكل ما يملك من أسلحة مادية، مشيرين الى عروض لشراء الأصوات «ووصل العرض على الصوت التفضيلي الى 1500 دولار». فيما تؤكد

> رشى مالية لمنع التصويت أو شراء الصوت التفضيلي أو الدفع للانسحاب من المعركة

الأمينة العام لحزب الله ينزل في كل مكان بصوره التي تفوق صور المرشحين أنفسهم (هيثم الموسوي)

المرشحة عن المقعد الكاثوليكي في لائحة «الانماء والتغيير» سهام أنطون أن شقيق شمص، ياسين شمص، اتصل بها عارضاً عليها الانسحاب مقابل تسديد «كل ما انفقته وزيادة»، فيما نصحها مرشح متمول بالانسحاب «حتى ما تتبهدلي من جهة، وحتى نربح في مواجهة حزب الله من جهة ثانية».

هذا «الكلام» يضعه ياسين شمص في خانة «الشائعات»، إذ «لا امكانيات لدينا لشراء الاصوات ولم نصرف قرشا واحدا في هذا المجال». يتابع: «القوات تكفلت بنفقات المرشحين المسيحيين، والمستقبل تولى مصاريف المرشحين عن المقعدين السنيين، فيما تكفل شمص مصاريف المرشحين الشيعة. لم نقبض من أي سفارة كما اتهمونا، ولا علاقة لنا أصلاً بزيارة القائم بالاعمال السعودي (وليد البخاري) إلى المنطقة لا من قريب ولا من بعيد».

فرص عمل إنتخابية!

في البقاع الشمالي، ثمة تسعيرات إنتخابية. بدل تعليق صورة مرشح على سيارتك، تنال قسيمتي بنزين وبطاقتي شحن خط هاتف. تؤمن سيارة تنال مبلغاً محدداً. مندوبو اللوائح تتراوح اجورهم بين 200 و300 دولار. وفيما حجزت لائحة حزب الله وأمل عشرات الآف المندوبين ولائحة يحيى شمص ما يزيد على 5000 مندوب، لم تستطع لائحة «الإنماء والتغيير»، مثلاً، تأمين العدد الكافي من المندوبين لعدم قدرتها على الدفع وخوف البعض من العمل لصالحها خشية أن ينعكس هذا الامر على وظيفته وعائلته. يقول المرشح على هذه اللائحة الدكتور علي زعيتر إن قانون الانتخاب حدد سقف الانفاق الانتخابي بـ 150 مليون ليرة، مشيراً الى أن «لائحتنا بالكاد تصرف عشرة الآف دولار وغيرنا يصرف مليون دولار، فأي قانون هذا الذي ابتلينا به؟».

خمس لوائح انتخابية تتنافس على المقاعد العشرة في دائرة البقاع الثالثة. المبارزة الاساسية بين لائحتين مكتملتين هما «الامل والوفاء» (امل، حزب الله، الحزب القومي، الأحباش، مستقلون) و«الكرامة والانماء» (تحالف المستقبل ــ القوات). وفق توصيف المحامي جاد رزق، فان هاتين اللائحتين هما بالمضمون «لائحة واحدة هي لائحة السلطة». اما لائحتا التيار الوطني الحر و«الارز الوطني»، فتحالفاتهما قائمة على المصالح، فيما تمثل لائحة «الانماء والتغيير»، بالنسبة إليه، «نموذج المعارضة الحقيقية ولو انها غير مكتملة». اللائحة الأخيرة مدعومة من الحزب الشيوعي اللبناني وبعض القوى والشخصيات النقابية المستقلة.

تقرير

هرموش من «الإخوان» إلى «المستقبل» بوعد الوزارة؟

آمال خليل

لن تسلم معظم أحزاب لبنان السياسية من الهزات والارتدادات الانتخابية، قبل السادس من أيار وبعده. الجماعة الإسلامية نموذجاً. تنظيم الإخوان المسلمين ـ فرع لبنان، وجد نفسه في خضم بحر انتخابي هائج. «الربيع العربي» الذي راهنت عليه «الجماعة» لم يأت لمصلحتها. صار البعض ينظر إليها كأنها عبارة عن «بعبع» سياسي. الاستقالة الأخيرة لرئيس المكتب السياسي في الجماعة الإسلامية أسعد هرموش دليل جديد على تشظي البيت الداخلي. أعلنها الرجل الهادئ في شريط مسجل وزع عبر وسائل التواصل الاجتماعي. حاولت القيادة تطويق ذيول الاستقالة التي خالفت أعراف تنظيم «الإخوان المسلمين». أعراف تفترض الكتمان وعدم خروج الخلافات أبعد من البيت الداخلي. في بياناها، عطفاً على خروج الأمر إلى العلن، قالت الجماعة الإسلامية إن أسعد هرموش «يعلم بأن معالجة الأخطاء التنظيمية من صلاحيات القيادة حصراً، وهي ستقوم بواجبها حتماً بعد الاستحقاق الانتخابي». وأشارت إلى أن الخيارات التي تتبناها لا تؤخذ على مقاسات أشخاص أو مناطق أو مجموعات. ورغم كيلها المديح لأسعد هرموش «صاحب الباع الطويل في مؤسسات الجماعة وأنظمتها»، لكنها صوّبت عليه، ملمّحة إلى أسباب أخرى تقف خلف الاستقالة غير تلك التي ساقها في بيانه. أشار بيان التنظيم بوضوح إلى أن هرموش «واكب طيلة الأشهر السبعة الماضية الاستحقاق النيابي وما تم إقراره (قرارات وخيارات على صعيد التحالفات والمرشحين)». تكرر أوساط النائب السابق أسعد هرموش ما قدمه في شريط الاستقالة المصور. هنا استعادة للأسباب: «عزفت عن الترشح نظراً لطبيعة قانون الانتخاب الظالم الذي يفرض تحالفاً انتخابياً يلزمنا ويحاصر ساحتنا بخياراتها الحرة ويصادر إرادتها. ولأن تحالف آخر ساعة لا يحقق المصلحة الإسلامية والوطنية ولا يؤمن نتيجة انتخابية معتبرة، اثرت الصمت. لكن استمرار البعض بالتعرض لموقفي وتحميلي تبعات ومسؤوليات لست مسؤولاً عنها، جعلني أعلن استقالتي».

استقالة هرموش دليل جديد على تشظي البيت الداخلي للجماعة الإسلامية (هيثم الموسوي)

> أوحى هرموش باستقالته انه قيادي في «المستقبل» وليس رئيس المكتب السياسي في «الجماعة»

لم يقتنع رفاق هرموش في المكتب السياسي وشورى الجماعة بأسباب الاستقالة المعلنة. تحدثوا عما سموه «لمسات حريرية واضحة» هي في صلب قرار الاستقالة. استحضروا اعتكاف هرموش، بالطريقة نفسها، قبيل الانتخابات النيابية السابقة (2009)، عندما أصرّ وقتذاك على تحالف الجماعة الإسلامية مع تيار المستقبل. وعندما قرر التيار الأزرق عدم إشراك الجماعة في لوائحه باستثناء العاصمة (النائب الحالي عماد الحوت)، فضّل عدم ترشيح أي من رفاقه في «إخوان لبنان» وتجيير أصوات الجماعة الإسلامية لتيار المستقبل.

في موسم الانتخابات الحالية، عبّر أسعد هرموش عن تمسكه بالتحالف مع تيار المستقبل. هذا المناخ كان موجوداً في الجماعة، لكن المفارقة أن الحريري قرر التبرّؤ من نصيرته الدائمة بناء على تمنيات إماراتية وسعودية ومصرية. تدخل الأتراك مع الحريري ولكنه لم يخالف إرادة «بيت المال السياسي»، على حدّ تعبير أحد قياديي الجماعة الإسلامية. يربط البعض في التنظيم بين عزوف هرموش عن الترشح وبين استقباله أمين عام تيار المستقبل أحمد الحريري الأربعاء الماضي، أي قبيل تعميم فيديو استقالته. أخيراً، «أوحى هرموش بخطوته بأنه قيادي في «المستقبل» وليس رئيس المكتب السياسي في الجماعة التي تخوض الانتخابات ضد المستقبل في أكثر من دائرة، من صيدا إلى عكار مروراً بالشوف وبيروت والبقاع الغربي. تتويج الاستقالة سنشهده اليوم بنزول سعد الحريري إلى دارة هرموش في بلدة السفيرة في الضنية خلال جولته الشمالية. ما هو المقابل الذي وُعد به هرموش؟. يهمس «الإخوان» بأن هرموش «تلقى وعداً من الحريري بتعيينه وزيراً في الحكومة المقبلة... لنتظر ونرَ»!

يرفض الأمين العام للجماعة الإسلامية عزام الأيوبي الذي يدير المكتب السياسي فعلياً منذ أشهر، بعد تفاقم الخلاف مع هرموش، مقاربة الملفات الداخلية عبر الإعلام. عن أزمة هرموش، يكتفي بالآية التي كتبها على صفحته على مواقع التواصل الاجتماعي بعد انتشار استقالة هرموش: «إن الذين يبايعونك، إنما يبايعون الله (...)، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه».

قضية اليوم

«المركزي» يعدّل هندساته المالية: تنامي الحاجة للدولارات

لم يتوقف مصرف لبنان عن التوسّع في تنفيذ هندسات مالية يستهدف منها امتصاص الدولارات من السوق وإعادة تكوين احتياطاته بالعملات الأجنبية، رغم كل الانتقادات التي وجهت سابقاً إلى هذه الهندسات، سواء من أطراف محلية أو من صندوق النقد الدولي

محمد وهبة

يستشعر العاملون في السوق المالية أن «شيئاً ما يجري» دفع مصرف لبنان إلى تزخيم وتيرة امتصاص الدولارات من المصارف، وضغط على أسعار سندات اليوروبوندز التي شهدت انخفاضاً إلى مستويات أدنى من تلك المسجلة في عزّ أزمة احتجاز الرئيس سعد الحريري في تشرين الثاني 2017. ما هي النتائج المتوقعة من النسخة الأحدث من هندسات مصرف لبنان المالية؟ وما هي تداعيات انخفاض أسعار السندات على المصارف؟

قبل بضعة أيام، بدأ عدد من المصرفيين بالتداول في النسخة الأخيرة من الهندسات المالية التي ينفذها مصرف لبنان. يقول مصرفي مطلع، إن مصرف

> **انخفاض بعض سندات اليوروبوندز 12 في المئة يرتّب خسائر على المصارف اللبنانية**

لبنان يعرض على المصارف شراء الدولارات مقابل توظيف مبالغ مالية بالليرة في شريحتين من شهادات الإيداع، الشريحة الأولى تستحق بعد 10 سنوات، والعائد عليها يبلغ 11,7 في المئة، والشريحة الثانية تستحق بعد ثلاثين سنة، والعائد عليها يبلغ 13,4 في المئة.

هذا المنتج الأحدث من منتجات الهندسات المالية يعكس تنامي حاجة مصرف لبنان للدولارات، ولا سيما أن فاعلية الهندسات السابقة لم تعد كبيرة، ما اضطره إلى أن يعدّل في تركيبة المنتج السابق القائم، على أن توظّف المصارف دولاراتها عند مصرف لبنان بعائد يصل إلى 6% في المئة، على أن يمدها، في المقابل، بسيولة مصرفية بالليرة كلفتها تصل إلى 2 في المئة، ولديها الخيار في توظيفها عبر شراء سندات خزينة بآجال تصل إلى 7 سنوات، وبفائدة تصل إلى 7 في المئة، أو توظيفها بشهادات إيداع أيضاً. في المجمل، هذه العملية كانت تمنح المصارف عوائد تصل إلى 12 في المئة، أما المنتج الجديد فهو يرفع هذه العوائد ويتجنّب استحقاقات التوظيفات لديه بالدولار.

هذه الوتيرة الجديدة من الهندسات، تركت انطباعات مختلفة في السوق. فقد رأى أحد المصرفيين «أنها تأتي في سياق طبيعي، نظراً لكون مصرف لبنان بحاجة دائمة إلى الدولارات»، وأن الوضع السياسي قبل الانتخابات النيابية «يتطلب أيضاً تعزيز موجودات المصرف المركزي بالعملات الأجنبية لمواجهة أي طارئ سياسي قد يؤثّر في السوق المالية». هناك رأي مصرفي آخر يستغرب أن يكون مصرف لبنان لديه حاجات كبيرة تضغط عليه إلى درجة تعديل المنتج بهذه الطريقة، ولا سيما أن حاكمه رياض سلامة، كان قد أعلن في اللقاء الشهري الأخير مع جمعية المصارف أنه سيُدرج شهادات الإيداع بالدولار في الخارج، أي إنه سيسمح للمصارف بأن تبيعها وتشتريها في السوق الدولية، أو أن ترهنها للاستدانة.

اللجوء إلى هذه الهندسات ورفع أسعار الفوائد على توظيفات المصارف لدى مصرف لبنان، يعكس قلقاً ما ينتاب مصرف لبنان، ولا سيما أنه في الأسبوعين الأولين من الشهر الجاري، ارتفعت الموجودات بالعملات الأجنبية لديه بقيمة 300 مليون دولار، فيما ارتفعت محفظة السندات لديه بقيمة 700 مليون دولار.

وتعزّزت الهواجس من خطوات مصرف لبنان مع تلقي سندات اليوروبوندز ضربة قوية خلال الأيام الماضية. فبسبب ارتفاع أسعار الفوائد على السندات الأميركية، وتخلّي المستثمرين في الخارج عن السندات الصادرة عن دول تصنّف في خانة الأسواق الناشئة، سجّلت سندات اليوروبوندز اللبنانية المتداولة في الخارج، ولا سيما تلك التي تحمل آجل استحقاق طويل الأمد، انخفاضاً في السعر بلغ أمس 87 دولاراً، أي بتراجع نسبته 12 في المئة مقارنة بسعر الإصدار، فيما هناك سندات أخرى انخفض سعرها إلى 90 دولاراً. وبحسب المصادر، ليست هناك أسباب محلية لانخفاض الأسعار، إلا أنه يرتّب على المصارف التي تحمل هذه السندات خسائر عليها أن تغطّيها بمؤونات. فالمصارف اللبنانية تحمل نحو 18 مليار دولار سندات يوروبوندز، جزء منها مدرج في ميزانياتها للتجارة بأسعار متحركة، وبموجب المعيار المحاسبي الدولي IFRS9 بات على المصارف أن تأخذ مؤونات لتغطية أي خسائر ناتجة من تحرّك الأسعار نزولاً.

وكان يمكن المصارف أن تعوّض هذه الخسائر مباشرة من خلال شراء السندات بالسعر المنخفض، إلا أنه تبيّن أن ليس لدى المصارف سيولة كافية لعمليات من هذا النوع بعدما امتصّ مصرف لبنان وجفّف السوق من الدولارات، وهو يعمل على امتصاص المزيد، فيما تفضّل المصارف أن توظّف الأموال في الأدوات المالية التي يصدرها مصرف لبنان لأنها تحقق عوائد أعلى.

مصرف لبنان يريد تعزيز موجوداته بالعملات الأجنبية تحسباً لأي طارئ سياسي (هيثم الموسوي)

تقرير

عون «متخوف جداً» من مفردات بروكسل

لم تنته بعد تداعيات مؤتمر «دعم مستقبل سوريا» في عاصمة الاتحاد الأوروبي. «الصدمة» التي زُرعت مشاركة الوفد الرسمي اللبناني هناك برئاسة سعد الحريري، تتوالى فصولاً

داود رمال

ما حصل في مستهل جلسة مجلس الوزراء، أول من أمس، عندما أنهى رئيس الجمهورية العماد ميشال عون مداخلته وأعطى الكلام لرئيس الحكومة سعد الحريري، يطرح الكثير من علامات الاستفهام. فقد فضّل رئيس الوفد اللبناني، العائد من بروكسل، الاعتصام بجواب الصمت عن السؤال الرئاسي عن نتائج مؤتمر النزوح، وطلب الحريري الخوض مباشرة في مناقشة وإقرار جدول الأعمال «نظراً لكثرة البنود ولارتباطي بمواعيد سابقة».

لقد درجت العادة أنه في مستهل كل جلسة يُوضع الوزراء في المستجدات السياسية والأمنية والاقتصادية والزيارات الخارجية والمؤتمرات التي يشارك فيها لبنان، ويوضّعون أيضاً في الحركة السياسية الداخلية، ومنها الشخصيات والوفود التي تزور لبنان. لكن مفاجأة جلسة الخميس الماضي تمثلت بأن رئيس الحكومة الذي كان من المفترض أن يضع الوزراء في نتائج مؤتمر بروكسل واللقاءات التي عقدها هناك قبل بدء أعمال المؤتمر، قرر أن يتجاهل المؤتمر ولقاءاته هناك.

هل لهذا الصمت من تفسير؟

لا يجد المعنيون جواباً مباشراً من الحريري الذي من البديهي أن يكون قد أطلع رئيس الجمهورية في الخلوة الثنائية التي سبقت الجلسة على ما دار في مؤتمر بروكسل، المفارقة أن عون، من موقعه الدستوري، قرر قلب الطاولة بإعلان رفضه للبيان الصادر عن الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي «في نقاط محددة»، هي العودة الطوعية والعودة المؤقتة وإرادة البقاء والانخراط في سوق العمل، وكل ما يتناقض وسيادة الدولة اللبنانية وقوانينها، وهذا الموقف مهّد له وزير الخارجية جبران باسيل، في مؤتمر صحافي أعلن فيه الإجراءات والخطوات التي ستتخذ لبنانياً، في مواجهة هذا البيان، متعمداً الإطلالة من منبر القصر الجمهوري لرمزية الموقع الدستوري وخطورة ما يحاك ضد لبنان» على حد تعبير مصادر رئاسية مواكبة.

يميّز المعنيون بين البيان الصادر عن مؤتمر بروكسل والبيان الصادر عن الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة، «فالأول شارك لبنان في صياغته، وصارع محاولاً عدم تثبيت وقائع تُشتمّ منها رائحة التوطين. أما في الثاني، فلم يشارك لبنان، لكونه لم يصدر عن المؤتمر ولم يناقش به أو يعرض عليه، ولا على الوفد اللبناني، وصدر بعد انتهاء المؤتمر باسم كل من الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي، وهو غير ملزم للبنان أو للدول المشاركة في المؤتمر، ورغم ذلك كان الرفض الرسمي اللبناني على أعلى مستوى، أي رئيس الجمهورية الذي هو رئيس كل المؤسسات، ورئيس مجلس النواب نبيه بري، باسمه وباسم المجلس النيابي كسلطة تشريعية».

لا يستبعد المعنيون انفسهم أن يكون صمت الحريري هو في معرض تثبيت موقفي رئيس الجمهورية بوصفه مُعبّراً عن الموقف اللبناني الجامع أولاً، ورئيس المجلس النيابي الذي تحدث باسمه وباسم المجلس ثانياً، وما دام الحريري رئيس أكبر كتلة نيابية في المجلس، يكون ملزماً ببيان بري، وهذا الأمر يعني أنه التوافق رئاسياً على الموقف، وفق أسلوب تدوير الزوايا لبنانياً».

ويكشف المعنيون أن أول توضيح ورد بنحو غير مباشر إلى لبنان كان «حول العودة المؤقتة، إذ هناك التباس لأن المقصود، حسب التفسير الأولي، هم السوريون النازحون داخل سوريا، أي الفقرة 16 من البيان التي تتحدث عن الداخل السوري، إلا أن هذا لا يبدد التخوف اللبناني، لأن رئيس الجمهورية أسمع كل من التقاهم بعد صدور البيان الأوروبي – الأممي أنه متخوف جداً من العبارات الواردة فيه، لذلك انتاب نبيه بري، باسمه وباسم المجلس النيابي كسلطة تشريعية».

> **عون باشر دبلوماسية رئاسية لصدّ محاولة تطويف لبنان بمشاريع ومسميات مرفوضة**

ويكشف المعنيون أن رئيس الجمهورية «باشر دبلوماسية رئاسية لصد محاولة تطويف لبنان بمشاريع ومسميات يرفضها جملة وتفصيلاً، وهو أبلغ، أمس، سفير بريطانيا في لبنان هوغو شورتر «أن رفض لبنان لعدد من العبارات التي وردت في البيان المشترك الذي صدر عن الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة بعد اجتماع بروكسل، يعود إلى أن هذه العبارات ملتبسة وتتناقض مع توجهات الدولة اللبنانية التي تتمسك بالعودة الآمنة للنازحين السوريين إلى بلادهم، ولا سيما إلى المناطق المستقرة أمنياً، وتلك التي لم تعد تشهد قتالاً، وهي كثيرة على امتداد الأراضي السورية».

وشدد «على أن لبنان لم يطرد يوماً نازحين سوريين من أرضه، وهو الذي استضافهم منذ عام 2011 ووفر لهم الرعاية الاجتماعية والتربوية والصحية والإنسانية والأمنية، لكنه في المقابل يسهّل ويشجع الراغبين منهم في العودة إلى بلدهم، خلافاً لما تقوم به جهات دولية تحذرهم من هذه العودة وتعرقل تحقيق رغباتهم»، مؤكداً «أن لبنان الذي يثمّن إيجاباً جهود الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي في مساعدته في مجالات عدة، وكان آخرها في مؤتمري «سيدر» و«روما 2»، فوجئ ببعض ما جاء في البيان، الأمر الذي يستوجب توضيحاً، ولا سيما في ما خص توفير فرص العمل للنازحين السوريين و«اندماجهم» في المجتمعات التي نزحوا إليها، علماً أن نسبة البطالة في لبنان ترتفع يوماً بعد يوم، وقد بلغت حالياً نسبة 46 في المئة في صفوف الشباب اللبناني».

مقالة

إشكاليات المادة 49

مارون عون *

نصت المادة 49 من القانون رقم 79 تاريخ 18 نيسان 2018 (الموازنة العامة والموازنات الملحقة لعام 2018) على ما يأتي:

«خلافاً لأي نص آخر، مع مراعاة الأحكام القانونية المتعلقة بتملك الأجانب، يمنح كل عربي أو أجنبي يشتري وحدة سكنية في لبنان، إقامة طيلة مدة ملكيته، له ولزوجته وأولاده القاصرين في لبنان، على أن لا تقلّ قيمة تلك الوحدة السكنية عن:

ـ 750,000,000 ل.ل. سبعمئة وخمسون مليون ليرة لبنانية في مدينة بيروت.

ـ 500,000,000 ل.ل. خمسمئة مليون ليرة لبنانية في سائر المناطق.

تحدَّد دقائق تطبيق هذا النص بقرار يصدر عن وزير الداخلية والبلديات بناءً لاقتراح المديرية العامة للأمن العام».

إنَّ هذه المادة تثير إشكاليات كثيرة، وعلى غير صعيد، يجب لتبيانها إيضاح النقاط الآتية:

1 ـ ماهية هذه الإقامة، وهل هي مؤقتة أم دائمة؟

لا شكَّ في أنَّ هذه الإقامة هي إقامة دائمة لا مؤقَّتة، وقول العكس لا يعدو كونه ذرّاً للرّماد في العيون، أو هروباً من المسؤولية ليس إلا، وكيف لا والإقامة مربوطة بالملكية ودائمة بديمومتها، وقد تدوم مدى حياة المشتري وحياة زوجه، ما دامت الوحدة السكنية مسجَّلة على اسمَهيما معاً، أو على اسم أحدهما في الدوائر العقارية المختصة، وهل من دائم أكثر من الدائم مدى حياتين؟

2 ـ المصلحة من هذه الإقامة لمن تعود؟

ـ هل تعود للخزينة؟ لا نعتقد ذلك، لأنَّ رسوم التسجيل تدفع مرَّة واحدة، ورسوم الإقامة تدفع سنوياً، وبالتالي مهما بلغت رسوم التسجيل، فلن تعادل في قيمتها رسوم الإقامة السنوية على مرّ السنين، لو لم تعطِ هذه المادة الإقامة الدائمة، التي لا أحد يعلم حتى الآن إن كان يتوجَّب عليها رسم أو لا، وما قيمة هذا الرسم في حال توجَّبه، وفي أيّ قانون يفرض وهو ليس له وجود في قوانين الأمن العام؟

ـ أم هل تعود للبنانيين المحتاجين لشقق للسكن، وبخاصة الشباب منهم الذين لم يهاجروا بعد؟ بالطبع لا، وهم لن يصيبهم من نتائج هذه الإقامة الدائمة، إلا الغلاء الآتي في أسعار الشقق السكنية في المستقبل القريب، والذي يرتبط ارتفاعه بإقبال غير اللبنانيين على الشراء.

ـ فتبقى المصلحة لمن إذن:

ـ لتجّار البناء، أولاً.

ـ ثمَّ للهاربين من جحيم الضرائب في أوطانهم ومن التكاليف الضريبية الصحيحة والمضبوطة بنسب عالية، حيث الإدارات الضريبية ناشطة والضرائب مرتفعة، والتهرُّب الضريبي صعب إن لم يكن مستحيلاً، ثانياً.

ـ وثالثاً، وهو الأدهى، أن يقبل على هذه الإقامة المتهرّبون من المحاسبة الجنائية في بلدانهم، كرجال المافيات وغاسلي الأموال وعصابات تهريب المخدرات والأسلحة والأدوية والمواد الاستهلاكية المغشوشة، وأهل السرقات الكبرى ومروّجي العملات المزوَّرة والعلامات المقلَّدة وسواهم كثير،

ـ ورابعاً، التكفيريون والانتحاريون والانغماسيون وكل من يريد شرَّاً بلبنان، من عصابات التفجير والقتل والإخلال بالأمن والاستقرار، وكثيرون لهم مصلحة في ذلك.

ـ وخامساً، لغير اللبنانيين، الموجودين على الأراضي اللبنانية، القادرين منهم والمدعومين على القدرة، الذين سيقبلون على الشراء طمعاً بالإقامة الدائمة. وغيرهم من الذين يجدون لبنان بلد الحريات التي يتشوقون إليها في أوطانهم، ويرون الحياة فيه، مهما قست، تبقى أفضل من الحياة في أوطانهم بكثير، والعمل فيه أنتج من العمل لديهم وأربح بأضعاف.

3 ـ الإشكاليات التي تثيرها هذه المادة:

أ ـ الإشكاليات القانونية:

1/ أ ـ ما هي مدة هذا القانون؟ وهل هو دائم أم مؤقت؟

إنه قانون دائم، أُقرَّ من ضمن قانون الموازنة الذي مدته سنة واحدة فقط، ما لم يبطله المجلس الدستوري، أو يعدّله قانون آخر، وهذه الديمومة تنذر بعواقب وخيمة على الحجر والبشر، ليس أقلها إرهاق البنى التحتية في البلاد واستهلاكها بأسرع مما هو متوقَّع بكثير، والضغط على اليد العاملة والحلول محلَّها في ظروف قاسية، يعاني فيها اللبناني، عاملاً كان أو رب عمل، من ظلامة في أجره وشحٍّ في مداخيله، ومن بطالة في صفوف شبابه ومتخرجيه، ما يدفعهم إلى الهجرة، لتحلّ محلهم العمالة الأجنبية الرخيصة، وغير الماهرة وغير المدرَّبة، ويفقد الوطن أبناءه ليستقبل أبناء البلدان الأخرى كلاجئين أو كنازحين، وهو ليس في الأصل بلد لجوء، ولم يوقع الاتفاقية الخاصة بوضع اللاَّجئين والعديمي الجنسية.

2/ أ ـ هل الوحدة السكنية المشتراة هي لسكن المشتري الزامياً، أم لا؟ والقانون يتكلم عن شراء وحدة سكنية دون أن يلزم مشتريها بالسكن فيها، بحيث يمكنه تأجيرها أو تركها شاغرة، والحصول على الإقامة.

3/ أ ـ هل فكَّر المشترع عند إقرار هذه المادة في أن المشتري قد يبيع الوحدة السكنية المشتراة بوكالة غير قابلة للعزل ووكالة عادية، أو بعقد بيع لدى الكاتب العدل، أو بهذه الأسناد مجتمعة، لمشترٍ آخر غير مستعدٍ لنقل الملكية على اسمه فوراً، فيستعيدُ المشتري غير اللبناني ماله ويربح الإقامة لسنين وسنين دونما كلفة أو عناء، ولماذا لم يضع الشروط اللاَّزمة لمنع هذا التحايل على القانون؟

4/ أ ـ ما هي آليةُ ضبط القيمة في ضوء النصّ الحاضر؟ وكيف يصار إلى التأكد من صحَّتها ومن قبل من؟ وهل يعتبر بيان القيمة التأجيرية كافياً لهذا الغرض؟

5/ أ ـ ما هي آلية ضبط الثمن؟ وماذا يمنع المشتري من رفعه في تصريحه ليبلغ الحدَّ المطلوب؟

6/ أ ـ ماذا لو تعدَّد المشترون لوحدة سكنية واحدة؟ وهل تعطى الإقامة هنا للجميع أم لواحد منهم وكيف يجري اختياره؟

7/ أ ـ كيف ستُحل ضغوط المطالبة بالإقامة من المشترين السابقين لوحدات سكنية تستوفي الشروط التي يضعها النص؟ فهل يعطى هؤلاء إقاماتٍ؟ أم ترفض طلباتهم؟ وهل من العدل رفضها؟

8/ أ ـ كيف يمكن تحديد دقائق تطبيق هذا القانون بقرار يصدر عن وزير الداخلية والبلديات بناءً على اقتراح المديرية العامة للأمن العام، بدلاً من مرسوم يصدر عن مجلس الوزراء بناءً على اقتراح الوزير؟

9/ أ ـ هل وضعت دراسة جدوى اقتصادية لإقرار القانون؟ ولماذا لم توضع؟ ولمصلحة من جرى التغاضي عن وضعها؟

10/ أ ـ إذا اشترى أحد غير اللبنانيين ارضاً وبنى عليها شقة فهل يعطى إقامة أم لا؟

11/ أ ـ ورثة المشتري هل يحق لهم بالإقامة أم لا؟

12/ أ ـ هل تنتهي إقامة القاصر المحجور عليه لذاته أم لا؟ وكيف تنتهي ومتى؟

13/ أ ـ متى تعطى الإقامة؟ أقبل الشراء أم بعده؟ وإذا كانت تعطى قبل الشراء فما العمل وما الإجراءات التي يجب اتخاذها إذا عزف الراغب في الشراء عن ذلك؟ وإذا كانت تعطى بعد الشراء، فما مصير هذا الشراء إذا رُفضت الإقامة وطلب المشتري الرجوع عن الشراء؟

14/ أ ـ ما مصير إقامات الذين يرتكبون الجرائم ويسبّبون الإخلال بأمن البلاد والعباد؟ هل تُعَدّ ملغاة وكيف؟ وهل تلغى بقرار إداري أم بقرار قضائي؟

ب ـ الإشكاليات الاقتصادية والاجتماعية:

1/ ب ـ ارتفاع أسعار الوحدات السكنية بشكل غير منطقي، يمنع ذوي الدخل المتوسط، من أهلنا وشبابنا، من شراء شقة للسكن، ويمنع عليهم حقهم بالسكن، وهو الحق المكرَّس في الدستور والقوانين المرعية الإجراء.

2/ ب ـ يستتبع ذلك ارتفاع في أسعار الأراضي الصالحة للبناء، يمنع ذوي الدخل المتوسط من الشراء لبناء منزل له ولإفراد عائلته.

3/ ب ـ ارتفاع سوق الإيجارات، الأمر الذي سيقفل الباب بوجه أصحاب الدخل المتوسط للاستئجار للسكن، وبوجه شبابنا للزواج وتأسيس عائلاتهم، بحيث لا يبقى أمامهم إلاَّ الهجرة، تاركين وطنهم للغرباء.

4/ ب ـ ثمار القانون لن يجنيها إلاَّ تجار البناء، والمرتبطون معهم من رجال المال والأعمال، هذا من جهة أولى.

4/ ب ـ ومن جهة ثانية، فثمار هذا القانون المالية ستجنيها بيروت وضواحيها الساحلية القريبة، كبعبدا والمتن الشمالي وكسروان، دون سواها، لأنَّ مستوى الأسعار في المناطق الأخرى، تقلّ بشكل ملموس عن الحد المطلوب، وهذا لمصلحة من؟ وهل من العدل أن تحرم المناطق الأخرى هذه النعم المالية والإنمائية، هذا إذا كان بالفعل هناك نعم مالية وانمائية؟

5/ ب ـ توقَّع مخاطر كثيرة على صعيد المالية العامة وتزخيم عملية التهرُّب الضريبي.

6/ ب ـ توقَّع ازدياد الجرائم الاقتصادية المنظمة.

ج ـ الإشكاليات الأمنية والسياسية:

1/ ج ـ المخاطر الأمنية المرتقبة بعد إعطاء الإقامات، على صعيد الهدوء والاستقرار في البلاد، ومنها:

2/ ج ـ ازدياد الجرائم الإرهابية المنظَّمة.

3/ ج ـ ازدياد الجرائم السياسية المنظَّمة.

4/ ج ـ التأثير سلباً في النظام السياسي في البلد، وزعزعة أسس الوفاق والعيش المشترك بين اللبنانيين.

* باحث قانوني

تحقيق

قد تكون من المرات القليلة التي يمتاز فيها تلميذ المدرسة الرسمية عن قرينه في المدرسة الخاصة. فمنذ العام الدراسي 2013 ــ 2014، طبقت المدارس الرسمية إلى حد كبير قرار وزارة التربية الذي يلزم مستثمري الدكاكين والكافيتريهات تطبيق مواصفات صحية تحت طائلة المساءلة. في المدارس الخاصة، الأمر ليس محسوماً تماماً. اعتماد بعضها للخيارات الصحية لم يلغ تلك غير الصحية. هنا، الأولوية لـ«بزنس»

«بزنس» دكاكين المدارس
استثمار جيد في عادات سيئة

فاتن الحاج

يدق الجرس معلناً نهاية الحصة الدراسية. يتهافت الصغار على دكان المدرسة الخاصة محدثين ازدحاماً شديداً عند بابه. تقع عيونهم على ما يظنونه أشهى من زوّادتهم. يعرض الدكان، بشكل مغرٍ، أصنافاً متعددة، لكنها تفتقر إلى شروط الغذاء الصحي والنظافة في بعض الأحيان. في دكاكين مدارس كثيرة، أطعمة مكشوفة أو ملوّنة اصطناعياً و«جانك فود» ومشروبات غازية وعصائر محلاة وبوظة في عز الشتاء!

مراقبة في المدارس الرسمية

في آلية تلزيم الحوانيت في المدارس والثانويات الرسمية، يطلب مدير المدرسة من طبيب القضاء الكشف على الحانوت وإبداء الرأي قبل حصول الحانوت على الشهادة الصحية. يملأ المرشد الصحي استمارة تقييمية أولى للتأكد من التزام الحانوت بنود العقد ويبلغها إلى لجنة الصحة المدرسية. ويؤمن المرشد المتابعة المستمرة التي تشمل تفقداً ميدانياً للحانوت ومراقبة العمل فيه مرة واحدة في الشهر على الأقل، وكلما دعت الحاجة، ويتابع المشرف الصحي في الوزارة من خلال زياراته الميدانية مراقبة حسن سير العمل ومدى الالتزام بالمواصفات.

كيف يمكن تبرير التناقض بين ما يدرسه الطلاب عن فوائد الأكل الصحي وما تعرضه كافيتريا المدرسة؟ (مروان طحطح)

لا يضمن كثيرون من الأهل أن يأكل أولادهم وجبة الغذاء التي يضعونها لهم في حقائبهم. المهمة تصبح أكثر تعقيداً مع طلاب المرحلة المتوسطة وما فوق. هؤلاء يخجلون من إحضار لفافة الزعتر أو الجبنة أو اللبنة مع ما تيسر من الفاكهة من البيت.

تحتار سناء، وهي والدة لتلميذين في الثالث والسادس أساسي، بين أن تقطع عن ولديها المصروف اليومي لتجنيبهما ما لا ترغب بإطعامهما إياه مع ما يسبّبه ذلك من إحراج لهما بين رفاقهما، وبين جعلهما عرضة لكل هذه الأصناف. أكثر ما يقلقها محتويات السلعة وتاريخا الإنتاج والصلاحية، «إذ يتبادل الأهالي في ما بينهم أحاديث عن منتجات في الدكاكين تخدم 3 أشهر فقط، وصفقات تعقد مع شركات أغذية لشراء سلع باسعار أقل كون صلاحيتها قريبة من الانتهاء». أضف الى ذلك أن هناك مشكلة في طريقة عرض دكان المدرسة لـ«البضاعة»: «إذ توضع المأكولات غير الصحية، المربحة في الغالب، في الواجهة، على حساب السندويشات الطازجة والفواكه والخضار والعصير الطبيعي. حتى المدارس التي توحي بأنها حريصة على تطبيق نظام غذائي متوازن للطفل تفعل الأمر نفسه».

قد يكون التعميم غير جائز هنا. ثمة مدارس استغنت بالكامل عن المأكولات غير الصحية، خصوصاً في دكاكين تلامذة المرحلة الابتدائية وحافظت عليها للكبار فقط، أو أنها منعتها عن الصغار والكبار معاً. لكن، بالنسبة إلى كارول، الأم لأربعة أولاد، النظافة أهم من التركيز على نوعية المنتج نفسه. إذ «ما النفع إذا استبدلت المدرسة المشروبات الغازية بالفواكه والخضار الطازجة، والسكاكر بالسلطات والسندويشات، في حال بقيت الموظفة نفسها التي تعدّ الطعام هي التي تستلم الأموال من الأولاد؟ وهل من يراقب نظافة هذه المنتجات ونوعيتها ومدى ملاءمتها للمواصفات الصحية؟».

بعض المدارس، لا سيما الخاصة منها وتحديداً في المراحل التعليمية المتقدّمة، فتحت، بحسب أحد أولياء الأمور، «سناكات» لبيع كل ما يمكن إدراجه في لائحة الـ«جانك فود». حين اعترض على الفكرة، جاءه الجواب من الإدارة بأن «الأمر اختياري. الأولاد يجدون في المدرسة كل ما يرغبون به ويستطيعون المفاضلة بين الخيارات المعروضة». لكنه يسأل: «هل من السهل منع ولد من شراء أطعمة يحبها؟ القصة نفسية».

> تقدم كبير للمدرسة الرسمية لجهة تغير السلوكيات ونسب البدانة منذ بدء تطبيق برنامج الصحة المدرسية

بين التعليم والسلوكيات الغذائية

يقضي الطلاب بين ستّ وسبع ساعات يومياً في المدرسة حيث ينتظر أن يكتسبوا، إلى جانب التعليم، العادات والسلوكيات الغذائية السليمة. وإلا كيف يمكن تبرير التناقض بين ما يدرسه هؤلاء في مادة العلوم عن فوائد الأكل الصحي، وبين ما تعرضه عليهم كافيتريا المدرسة.

> أطعمة مكشوفة أو ملوّنة اصطناعياً و«جانك فود» ومشروبات غازية وبوظة في عز الشتاء

«إداراتنا تخوض معارك مع الدكاكين لإجبارها على الابتعاد عن كل الملونات والتشيبس والمشروبات الغازية وغيرها». هذا ما يؤكده الأمين العام للمدارس الإنجيلية نبيل القسطا. إلاّ أنّ المشكلة «هي في ما يتناوله التلميذ في البيت. كيف يطلب الأهل من المدرسة أن لا تبيع أولادهم منتجات يسمحون لهم بتناولها خارج المدرسة؟»، مشيراً الى أنّ التنسيق مع الأهل مطلوب، «مع الأخذ في الاعتبار أنّ الأكل الصحي سيكون أكثر كلفة»!

«بزنس» المأكولات الصحية

عام 2012، أصدرت وزارة التربية قراراً حدّد مواصفات المواد التي يمكن عرضها وبيعها في دكاكين المدارس والثانويات الرسمية لضمان وصول الغذاء الصحي والسليم إلى التلامذة. تطبيق برنامج الصحة المدرسية في المدارس والثانويات الرسمية، استغله أصحاب المدارس الخاصة رغم أنه غير ملزم لهم، لجني مزيد من الأرباح. فالانتقال من الـ«لا صحي» إلى «الصحي» يعني مزيداً من الـ«بزنس»، خصوصاً أنّ معظم مستثمري الدكاكين والكافيتريهات في المدارس الخاصة يكونون عادة من «أهل البيت»، على عكس المدارس الرسمية. فيما لا تطّلع لجان الأهل على أي تفصيل عن هذه الدكاكين التي لا يدخل تلزيمها ضمن الموازنات، ولا يعرفون إلى من تلزّم وكيف وبأي أسعار. كل ما يسمعونه أن العملية تجري «على الراس».

يؤكد مندوب مبيعات أن سعر كلفة البدائل الصحية ـ كالخبز المحمص بدل التشيبس أو الـ«وايفر» بدل الشوكولا ـ ليس أكثر ارتفاعاً، لافتاً الى أن تجار الجملة يعطون أسعاراً خاصة للمدارس عندما تكون الطلبيات كبيرة. رغم ذلك، يجري استغلال إصرار الأهالي على اعتماد الخيارات الصحية، حتى أصبحت أسعارها ضعف أسعارها الحقيقية. فتباع قنينة العصير الطبيعي بـ2000 ليرة، والعلبة الصغيرة من سلطة الفواكه بـ 1500 ليرة وعلبة الذرة بـ1000 ليرة.

نجاح في «الرسمي»

قد يكون من بين النجاحات القليلة لوزارة التربية تطبيق قرار تنظيم استثمار الحانوت في الثانويات والمدارس الرسمية وفرض المواصفات الصحية عليه وتقويم هذه المواصفات من خلال زيارات تفقدية دورية. وحدة التربية الصحية والبيئية في مديرية الإرشاد والتوجيه تشرف منذ العام الدراسي 2013 ـ 2014 على ادخال القرار حيز التنفيذ من خلال منع المنتجات غير الصحية وتوفير البدائل للتلامذة. توضح مديرة الارشاد في الوزارة، هيلدا خوري، أنّ «البداية كانت صعبة واستلزمت منا وقتاً حتى نرسي مفاهيم سلامة الغذاء وأهمية تطبيق المعايير الصحية. لكن، اليوم باتت الاستجابة مقبولة، نظراً الى جدية المتابعة». فخلال الزيارات الدورية تنعقد، بحسب خوري، حلقات توعية للأساتذة والتلامذة، كما يجري إشراك الأهل في التشجيع على العادات الغذائية السليمة. وتبدي خوري ارتياحها لنتائج دراسة أجرتها الجامعة الأميركية بالتعاون مع الوزارة على عيّنة من الطلاب في المدارس الرسمية والخاصة منذ بدء تطبيق القرار أظهرت تقدم المدرسة الرسمية بشكل كبير لجهة تغير السلوكيات الغذائية وعدم حصول زيادة في نسب البدانة بين التلاميذ.

> أطعمة مكشوفة أو ملوّنة اصطناعياً و«جانك فود» ومشروبات غازية وبوظة في عز الشتاء

ماذا عن باعة المأكولات المتجولين قرب أبواب المدارس في بداية الدوام ونهايته؟ تجيب خوري: «جرت محاولة لمنع هؤلاء. وهناك توجّه بالتنسيق مع وزارة الداخلية لعدم الترخيص لدكاكين في محيط المدارس».

على الحافة

زيف السياسة من زيف الغذاء

حبيب معلوف

لطالما تناولت الدراسات، حول العالم، الأوضاع الاجتماعية وانعكاسها على نوعية الغذاء. وبينت أن الطبقات الميسورة تحصل على نوعية غذاء أفضل، فيما يترك للفقراء الجوع او الغذاء الرديء.

ولكن، مع التقدم الهائل والسريع، نجحت الشركات، بذكاء كبير، في محو «الطبقية الغذائية» وفي ترسيخ المساواة الزائفة. وبات في إمكان الاهل إرضاء اطفالهم بمدخول يومي قليل جداً، لا يتعدّى دولاراً واحداً، لشراء ثلاث سلع هي الارخص، ولكنها الأوسخ والأكثر انتشارا في العالم: رقاقات البطاطا المقلية (التشيبس) والمشروبات الغازية والسكاكر على انواعها...

هذه السلع تشعر الطفل بالرضا الوهمي مما يخفف من شعوره بالحرمان، لكن الأهم أنها تعطيه شعوراً زائفاً بالشبع. وهي، في الوقت نفسه، تعطي الأهل شعوراً زائفاً بتخفّفهم من عقدة الذنب. إذ يشترون رضى أولادهم بثمن قليل. مع العلم أن كلفة «زوّادة» الغذاء السليم لأطفالنا، مثل التفاح أو الموز والجوز والزبيب ولفافة الزعتر والزيت... لا تزيد كثيراً (أو أبداً) عن كلفة الغذاء المزيف.

كثر من الاهل يعرفون هذه الحقائق، لكنهم لا يقدمون على كسر هذه الحلقة الاستهلاكية الجهنمية. الأسباب عديدة، اقتصادية واجتماعية ونفسية. ففي ظل أوضاع مأزومة، تبدأ بظروف السكن والعمل ولا تنتهي بالظروف الامنية والسياسية غير المستقرة، لن يكون سهلاً التغلب على المغريات التي تفرضها الاعلانات والمنتجات البراقة المعروضة في الأسواق وفي دكاكين المدارس.

العادات الغذائية السيئة مرتبطة بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ايضا. وهي تتغذى من بعضها بشكل ارادي او غير ارادي. فالحالة غير المستقرة في التعليم وفرص العمل، وحالات الطوارئ السياسية والاجتماعية التي يعيشها المواطن في القطاعات الاساسية كافة، كمثل عدم الثقة بمياه الشرب والاضطرار لشراء المياه المعبأة، او عدم كفاية مياه المصالح والاضطرار لشراء مياه الصهاريج، وعدم تأمين الكهرباء والاضطرار للاشتراك في المولدات الخاصة، والشكوك حول الأغذية التقليدية وسلامتها وفي النظام السياسي والإداري وفساده... كلها مؤشرات تدفع الى الاتكال على الرضى الفوري والسريع (الغذاء المزيف السريع) وعدم التفكير بالصحة على المدى الطويل.

أضف الى ذلك، نجاح الشركات الكبرى في التسلل الى عقول أطفالنا وتمكّنها من فرض عادات غذائية عليهم، عبر كل الوسائل من دون وازع، مستغلة غزيرة الـ«بزنس» لدى أصحاب المدارس. فبعض المدارس تلزم الطلاب بشراء القرطاسية، لا سيما مفكرة الطالب الخاصة، من المدرسة وليس من السوق. هذه المفكرة التي يفترض أن يدون الطالب عليها برامجه ونشاطاته اليومية لكي تبقى في ذاكرته، بات الكثير من صفحاتها يُستخدم لتسويق منتجات السكاكر والحليب ورقاقات البطاطا... الرخيصة والمضرّة. وهذه هي اللعبة الأخطر التي تتواطأ فيها المدرسة مع التجار والمسوقين، ومن دون وعي مع الأهل والتلاميذ أيضاً. فيصبح الغذاء الزائف والرخيص جزءاً من ذاكرة التلميذ ووجدانه وحياته اليومية الحميمة!

بعد هذا، هل هناك من يسأل لماذا لا يهتم المواطن (الناخب في هذه الأيام) بمطالبة المرشحين بنظام صحي وغذائي وبيئي افضل او بديل، مكتفيا بمطالب طارئة لوضعه الطارئ، مثل دفع قسط مدرسة او وعد بخدمة او وظيفة؟! من يهن عليه تقديم الغذاء الزائف لأولاده يهن عليه التمثيل النيابي الزائف، وتهن عليه حياته غير الطبيعية في كل المعايير.

تقرير

مباراة العلوم
مخترعون صغار يحرّرون خيالهم

نحو 500 طالب تبارواً في تقديم 180 مشروعاً مبتكراً في النسخة الخامسة عشرة لمباراة العلوم. فيما بدت مشاركة المدارس الرسمية لافتة هذا العام. يجد المشاركون المباراة فرصة ذهبية للتعلم بواسطة المشاريع واكتساب المفاهيم والمعلومات بالممارسة

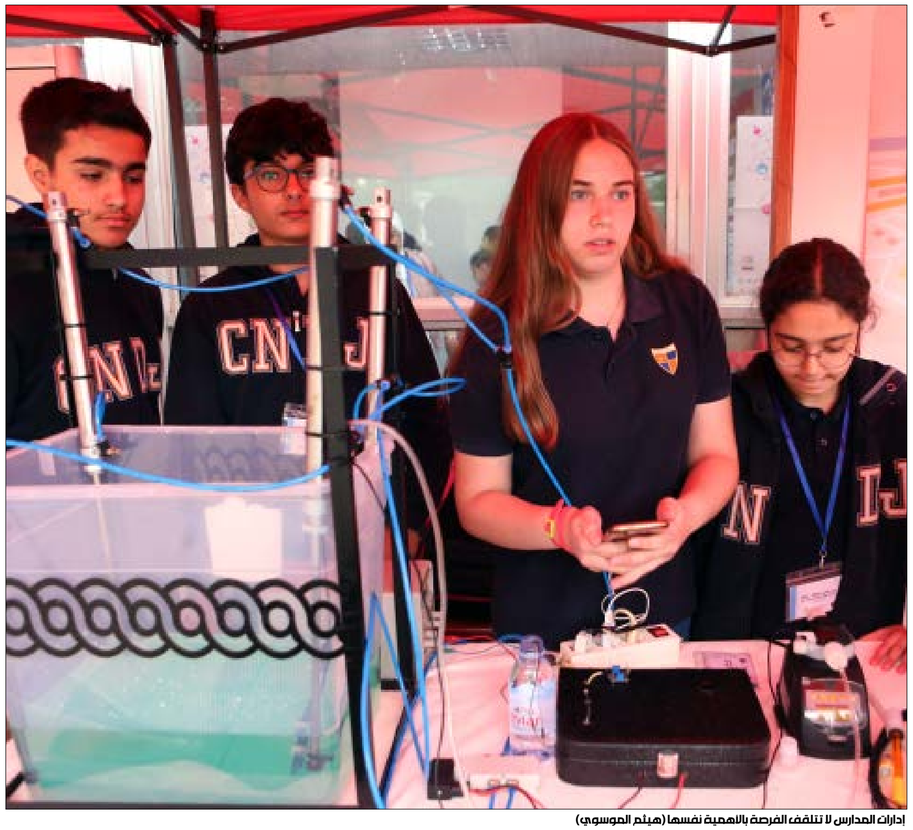
إدارات المدارس لا تتلقف الفرصة بالأهمية نفسها (هيثم الموسوي)

فاتن الحاج

بشغف، نشر التلامذة «اختراعاتهم» الصغيرة في باحة مكتبة كلية العلوم في الحدث. أخيراً، باتوا هنا في قلب «مباراة العلوم»، الفسحة العلمية السنوية، ليحصدوا نتائج عمل استغرق ليالي طويلة شحنوا خلالها طاقاتهم وحرّروا خيالهم خارج إطار المناهج الدراسية. تنافسوا أمام هيئة التحكيم في شرح تفاصيل مشاريع مبتكرة تحاكي حاجاتهم وتبحث عن حلول للمشاكل الحياتية: الصحة، النفايات، التلوث، الكهرباء، الطاقة البديلة وغيرها. «الاختراعات» تنوعت بين تصاميم تشغيلية ونماذج بحثية وإيضاحية تناولت فئات ست: المشاريع التشغيلية والروبوت، تكنولوجيا المعلومات، علم الفلك، العلوم الفيزيائية والكيميائية، الصحة وعلوم الحياة والبيئة والموارد الطبيعية.

التنافس المتاح للجميع من مدارس رسمية وخاصة لا يزال يعكس تفاوتاً في الدعم بين المدرستين. ورغم أنّ إدارات بعض المدارس الرسمية لا تتلقف الفرصة بالأهمية نفسها لجهة توفير الدعم المالي والبيئة الحاضنة، إلا أنّ الطلاب ينخرطون أكثر فأكثر، وأعدادهم تتزايد عاماً بعد آخر.

المتبارون الصغار يفاجئونك بغنى معلوماتهم والمحاججة في شرح أفكارهم. يرى صادق بركة، الأستاذ المشرف على أعمال طلاب سيدة الجمهور، أن المخترعين الصغار يتفاعلون أكثر مع الأفكار، ويحرصون على الوصول إلى نتائج لا يمكن أن يصل إليها المخترعون الكبار، لأنهم يختبرون المجال العملي قبل النظري، بعكس حاملي الشهادات العليا والدكتوراه. طلابه المنخرطون في الأندية العلمية المختلفة في المدرسة (إلكترونيك، روبوت، الاتصالات، فيزياء...) تعاونوا على ابتكار «خزنة رقمية» كل في اختصاصه «max pro» أو maximum protection أو حماية مطلقة. يتولى طالب البكالوريا، رابن نعمة، الحديث عن مشروع استغرق 5 أشهر بنهاراتها وليالـيها، حيث تمكن ورفاقه من إنتاج خزنة تصوّر البصمة بمجرد اللمس وتبعث الصورة إلى صاحب الخزنة، وتسجّل المعلومات المتعلقة بالأغراض التي يودعها صاحبها فيها وتذكره بها إذا اضطر إلى استخدامها. الشباب ينتظرون تسجيل مشروعهم الذي لا مثيل له في العالم، كما قالوا، كبراءة اختراع في وزارة الاقتصاد، ويترقبون التمويل ليصبح قابلاً للاستخدام في المنازل والشركات والمصانع.

بثقة وتحدٍّ كبيرين، يدافع محمد سرحان، الطالب في صف البكالوريا . قسم أول في مدرسة البيادر، عن اختراعه، وهو عبارة عن جهاز مصغّر لتخطيط القلب يضعه المريض على يده تماماً كما جهاز قياس الضغط، ويقرأ المعلومات على التليفون، التي تحوّل في الوقت نفسه إلى الطبيب المعالج. بدا من كلام الشاب أنّه درس المشروع من كل جوانبه لجهة إمكان استخدامه في المنزل. عقد، كما قال، لقاءات مع الصليب الأحمر لدرس اعتماده في سيارة الإسعاف. الأهم في ما يقوله سرحان، القدرة التنافسية للجهاز، وسعره المنخفض والقدرة الكبيرة على تطويره ليصبح قابلاً للتطبيق.

الأستاذ المشرف في مدارس المقاصد، طلال دندشلي، يقول إن بعض المشاريع تحتاج إلى الإيمان بأنّ العمل البحثي

> **المساهمة في معارض دولية بحثاً عن مستثمرين محتملين للابتكارات**

ليس مضيعة للوقت، بل فرصة ذهبية للتعلم بواسطة المشاريع واكتساب المفاهيم الفيزيائية والمعلومات بالممارسة خارج مناهج دراسية انتهت صلاحيتها ووسائل تقليدية لا تبني لدى التلميذ حسّ المبادرة وثقافة العمل البحثي ولا تعزز لديه مهارات المناقشة.

«تجربة ممتعة» أمضاها فؤاد بكار، المشرف على المشاريع في مدرسة أمجاد، مع طلابه الذين اختاروا موضوعاً بحثياً شيقاً وبهم في الواقع كل أسرة وهو التوعية على مخاطر بداية الحصة الدراسية في السابعة صباحاً. انصرف الطلاب، أمجد مراد، لين خطار، حسام أحمدية ويارا حبوب للعمل على دراسة عينة من 100 تلميذ يذهبون إلى المدرسة في السابعة إلا ربعاً، وجرت مراقبة الضغط والسكري والحرارة لهم خلال فترة معينة، فحصل الفريق على نتائج مخيفة لجهة ارتفاع نسبة «الميلاتونين» أو هورمون النعاس في الدم.

في نسختها الخامسة عشرة انتقلت مباراة العلوم من قصر الأونيسكو إلى قلب مجمع الجامعة اللبنانية في الحدث، أو «المكان الذي يشبهنا»، كما يقول رضوان شعيب، رئيس مجلس إدارة الهيئة اللبنانية للعلوم والبحوث (الهيئة المنظمة للحدث)، فاساتذة الجامعة جزء أساسي من هيئة تحكيم المشاريع.

ثمة هدفان للمباراة يتحدث عنهما شعيب، الأول هو السعي إلى المشاركة في ورشة تطوير المناهج الدراسية التي طال انتظارها في المركز التربوي للبحوث والإنماء، لجهة التركيز على إفراد حيّز واسع لإنتاج العلم والمعرفة ومحاكاة ابتكارات الطلاب. والثاني المساهمة في المعارض العلمية الدولية، بحثاً عن مستثمرين محتملين لهذه الابتكارات، وهو الهدف الأول من ربح الجوائز.

جديد المباراة هذا العام هو توسيع بيكار المشاركة لجهة دعوة طلاب المدارس اللبنانية في بلاد الانتشار.

حاضنة أعمال للمخترعين

في سبيل دعم المبتكرين والمخترعين من داخل مباراة العلوم وخارجها، أنشأت الهيئة الوطنية للعلوم والبحوث «حاضنة أعمال» توفر البيئة والإرشاد اللازمين لإطلاق شركات ناشئة. محمد ترحيني، التلميذ في ثانوية جبشيت الرسمية سابقاً والطالب في كلية الهندسة في الجامعة اللبنانية حالياً، يستعد لتحقيق شغفه في خوض مجال ريادة الأعمال وتأسيس شركته الخاصة بتكنولوجيا المعلومات، بالتعاون مع الحاضنة. لا يخفي الشاب أن المشوار طويل ودونه صعوبات كثيرة «لكنني قبلت التحدي وسأنجح».

مفكرة

إضراب معلمي البعثة الفرنسية مستمر... والمجالس التحكيمية هي الحل

(الأخبار)

فاتن الحاج

في أزمة المدارس الخاصة، تُرك الأهالي ولجان الأهل والمعلمون لمصيرهم. فلا من يحكم بين الأطراف المتنازعين، ولا من يمنع إدارات المدارس من اتخاذ تدابير تضر بمصالح «الأسرة التربوية الواحدة»، كما يحلو للمسؤولين تسميتها.

البعثة العلمانية الفرنسية، مثلاً، رفضت سلوك طريق التسوية والمصالحة في مدارسها، فرفعت سقف المواجهة مع المعلمين إلى أبعد حدود، في محاولة للضغط على الأهالي ودفعهم إلى التراجع عن الدعاوى القضائية أمام القضاء المستعجل والمتعلقة بتجميد الزيادة على الأقساط.

نحو 9 آلاف تلميذ في مدارس الليسيه الفرنسية الخمس (الليسيه الكبرى، وليسيه فردان ونهر إبراهيم وطرابلس والنبطية) لازموا منازلهم في اليومين الماضيين، بعدما بدا معلموهم إضراباً مفتوحاً لا سقف زمنياً له حتى الآن، وإن قالوا إنهم سيخرقونه يوم الاثنين فقط لبعض مواد صفوف الشهادات الرسمية، لكون الاستحقاق سابق تصور، والمجلس التحكيمي وحده هو القادر على بتّ كل حيثيات القضية. بحسب تيان، ليس هناك جهة تحكم اليوم بأحقية الزيادة على الأقساط (17% أي بمعدل مليون و700 ألف لكل تلميذ) وتدقق بالمستندات التي تثبت ذلك، ولا سيما أنّ الأقساط باتت تفوق طاقة الأهل، في حين أن «الدراسة التي أعددناها في هذا الخصوص أظهرت أنّ الأقساط ارتفعت بنسبة 105% في السنوات العشر الماضية، أي من العام الدراسي 2006-2007 حتى العام الدراسي 2016-2017». وفي السياق نفسه، ينتظر أن ينفذ الأهل ولجنتهم في الليسيه فردان اعتصاماً، الاثنين المقبل.

اللافت أن المسائل غير مبتوتة حتى في المدارس التي تقع في نطاق جبل لبنان، حيث المجلس التحكيمي التربوي مشكّل وبعقد جلسات قضائية، والليسيه، نهر إبراهيم مثال على ذلك.

أنّ المواجهة مع الإدارة والمعلمين ليست هدفاً للأهالي، فهم من اختاروا مدرسة أولادهم على سابق تصور، والمجلس التحكيمي وحده هو القادر على بتّ كل حيثيات القضية. بحسب تيان، ليس هناك جهة تحكم اليوم بأحقية الزيادة على الأقساط (17% أي بمعدل مليون و700 ألف لكل تلميذ) وتدقق بالمستندات التي تثبت ذلك، ولا سيما أنّ الأقساط باتت تفوق طاقة الأهل، في حين أن «الدراسة التي أعددناها في هذا الخصوص أظهرت أنّ الأقساط ارتفعت بنسبة 105% في السنوات العشر الماضية، أي من العام الدراسي 2006-2007 حتى العام الدراسي 2016-2017». وفي السياق نفسه، ينتظر أن ينفذ الأهل ولجنتهم في الليسيه فردان اعتصاماً، الاثنين المقبل.

اللافت أن المسائل غير مبتوتة حتى في المدارس التي تقع في نطاق جبل لبنان، حيث المجلس التحكيمي التربوي مشكّل وبعقد جلسات قضائية، والليسيه، نهر إبراهيم مثال على ذلك.

«المشاريع الهندسية» في LAU

اختتمت الجامعة اللبنانية الأميركية في جبيل، أمس، نشاطات «يوم المشاريع الهندسية» الذي شهد عرض ما لا يقل عن 60 مشروعاً لطلاب الهندسة من السنة الثانية إلى الخامسة. شملت المشاريع مجموعة من الأفكار، منها آلة لارشاد المكفوفين في سيرهم وأخرى لمعالجة الرطوبة والتعامل مع الانتاج الزراعي وفحص نوعيته ومستوى نضوجه قبل القطاف، إلى الكثير من الروبوتات وأفكار عدّة عن برمجة الكومبيوتر ومحركات السيارات والطاقة الشمسية. وأكد عميد كلية الهندسة، بربر عاقلة، أن «عدداً مهماً من الشركات والمؤسسات في لبنان اعتمدت الكثير من المشاريع التي عرضها الطلاب سابقا وهذا ما يشجع هؤلاء على العمل بجدية».

نقل نظيف في لبنان

«لأن عدد السيارات بات هائلاً في شوارع العاصمة، صار من اللازم إطلاق صفارات الإنذار لوضع الحلول الناجعة لمشكلة أصبحت تهدّد بكارثة بيئية». بهذه العبارة، افتتح نقيب المهندسين جاد تابت ندوة نظمها فرع مهندسي الكهرباء الإستشاريين في النقابة، أمس، تحت عنوان «نقل نظيف في لبنان - السيارات الكهربائية». وتطرّق إلى «دراسات أكّدت أن نوعية الهواء في لبنان تستدعي حالة طوارىء خصوصاً أن نسبة التلوث في المدن ترتفع إلى ذروتها خلال أكثر من 100 يوم في السنة». وأشار الى أن عمليات النقل وحدها «مسؤولة عن انبعاث 23% من الغازات الدفيئة جراء استهلاك الطاقة».

مركز إدارة ما بعد الحصاد

افتتحت وزارة الزراعة، أمس، مركز إدارة تكنولوجيا ما بعد الحصاد ومختبر الحمضيات والموز في صور والجنوب. ومن المفترض أن يساهم هذا المركز في زيادة دخل المزارع وزيادة الصادرات، وبناء قدرات موظفي البحوث والإشراف على المشاركة في منطقة ما بعد الحصاد وانشاء بنى تحتية بحثية وزيادة القيمة المضافة للمحاصيل الزراعية من خلال توفير مراكز توضيب حديثة وتخزين مبرد.

يذكر أن المشروع من تمويل وتجهيز وكالة التعاون الكورية «Koica»، وبلغت كلفته مليونين ومئتي ألف دولار أميركي، فيما اقتصرت مساهمة وزارة الزراعة على تأمين الموقع وإنشاء منشات ما بعد الحصاد.

منبر

اليوم العالمي للملكية الفكرية **اكتشاف الادمغة وتنميتها وحمايتها**

عمر زين*

المؤتمرات والأبحاث وورش العمل حول المرأة العربية وإنتاج المعارف العلمية والتكنولوجية والتحديات التي تواجهها في المجتمعات العربية، ودعم وتشجيع النساء المخترعات، وما تواجهه المرأة العربية في مجال العمل لحماية حقوق الملكية الفكرية والإخراج والتمثيل، والحديث حول الأطر المؤسسية والقانونية لتمكينها من حماية حقوقها... كل ذلك يشير بوضوح الى مدى دور المرأة في الابداع والابتكار في نواح عدة.

ولمناسبة اليوم العالمي للملكية الفكرية، نود ان نطرح أموراً عدة، أولها كيفية اكتشاف المبدعين والمبدعات والمبتكرين والمبتكرات. إذ ان الملايين منهم يبقون مغمورين وتخسر الامة مواهبهم لعدم اتاحة الفرصة لهم. وهذا يفرض علينا تغيير البرامج التعليمية الصفية واللاصفية لتساعد على الاكتشاف المبكر للعقول والعلماء في امتنا. وثانيها تنمية الابتكار والابداع لدى المرأة والرجل من خلال مؤسسات ومراكز متخصصة للبحث العلمي داخل كل دولة عربية وعلى مستوى الامة لإبقاء هؤلاء داخل اوطاننا وليكون لهم الدور الفاعل في تنميتها والنهوض بها. وثالثها العمل للمحافظة على هذه العقول للبقاء في أوطانها وحمايتها من الاستهداف الصهيوني والعنصري الذي يصل الى حد القتل.

لذلك نؤكد على قيام حركة ضاغطة على أصحاب القرار من جميع العاملين في الملكية الفكرية كي لا تبقى مقتصرة على الأفلام والاغاني والكلمات وما يتعلق منها بالأمور التجارية لتأمين تعويضات لاصحاب حق الملكية الفكرية، بل لتشمل ايضاً الحقوق المتعلقة بكل النواحي الحياتية التي لها التأثير المباشر على تقدم الشعوب ونهوض الدول وحمايتها وصيانة استقلالها، كي لا تبقى فريسة الأعداء من الخارج والداخل، وهذا الامر لا يتحقق الا بالاكتشاف المبكر للمبدعين والمبتكرين نساء ورجالاً، وبتنمية عقول هؤلاء مع عيشهم الكريم، وبتأمين الحماية الجسدية لهم الى جانب الحماية المادية لمبتكراتهم.

شكراً للوزير المفوض الدكتورة مهى البخيت على الجهد الذي تقوم به في ما يتعلق بالملكية الفكرية العربية، ونثمّنه عالياً، وكلنا أمل في ان تضع إدارة الملكية الفكرية والتنافسية التي ترأسها الأساس العربي المطلوب في برامجها المقبلة بكل ما يتعلق باكتشاف العقول والعلماء وأساليب تنميتها وطرق حمايتها. وليكن يوم 26 نيسان/ابريل اليوم العالمي للملكية الفكرية حافزاً ومعبراً عن هذا التوجه.

* **الأمين العام السابق لاتحاد المحامين العرب.**

الكرة اللبنانية

النجمة والعهد
الحب المستحيل!

بين النجمة والعهد قصة حب لم تبصر النور يوماً. فالودّ مفقود بين الطرفين مهما حاول الطرفان تلوين الصورة المرسومة في ذهن جمهوريهما. هما بـ«الكراهية» التي وصلا إليها تجاه بعضهما البعض تخطيا في سنوات قليلة من المنافسة الضارية بينهما تلك الحماوة التي عرفتها كرة القدم اللبنانية في عزّ أيام النجمة والانتصار. وهاهو «الأصفر» يقف في وجه «النبيذي» لإطلاق نزال جديد على لقب مسابقة كأس لبنان التي ستقام مباراتها النهائية غداً الأحد الساعة 17.00 على ملعب مدينة كميل شمعون الرياضية

شربل كريّم

أن تصل الأمور إلى حدّ طلب وزير الشباب والرياضة محمد فنيش إلى مجلس الوزراء «تأمين» الجيش اللبناني (إلى جانب قوى الأمن الداخلي) للأمن في مباراة في كرة القدم، يعني أن الوضع مأزوم. هو أمرٌ معلوم أصلاً ولا داعي لتجميله، فالكل يعرف المشاعر التي يكنّها كل طرفٍ للآخر، إن كان إدارياً أو جماهيرياً، فما يحكى في الخفاء هو غيره في العلن. وقد يكون هذا «جزءاً» من اللعبة، وقد يكون أكثر من ذلك بطبيعة الحال، كثيرون يسألون اليوم عن السبب الذي أوصل الأمور إلى ما هي عليه حالياً. لا بل إنه بات مسألة أمنية وسط المخاوف التي تُطرح قبل كل موقعة بينهما، ليتعدى الأمر بالتالي مسألة «التزريك» التي وصلت حتى عبر عهداويين إلى النجم الأرجنتيني ليونيل ميسي الذي تناقل كثيرون صورته وهو يهنئ (مدركاً أو جاهلاً) العهد على لقبه السادس.

النجمة احبّ العهد لم كرهه

تاريخياً ارتبط اسم العهد بالنجمة بشكل غير مباشر، فالنادي الأصفر عُرف باسم نجمة العهد الجديد. وهذه التسمية تغيّرت عام 1993 مع وصول عبدو سعد إلى الرئاسة التي شغلها عام 1995 حيث وضع الأسس في ولايته للصعود إلى الدرجة الأولى، قبل أن يصعد الفريق إلى الأضواء للمرة الأولى في عهد رئيسه السابق الحاج أمين شري. يؤكد سعد في حديثٍ مع «الأخبار» أنه في بداية المشوار كان جمهور النجمة هو جمهور العهد «عندما كنت أذهب لمباريات النجمة، كان جمهور الأخير يهتف للعهد، لدرجة أوعز إليّ أحد الإداريين النجماويين وقتذاك بأن بعض زملائه يخافون من تسرّب الشعبية النجماوية إلى العهد، وذلك في عهد الرئيس عمر غندور». ويضيف: «كانوا يشجعوننا لإحساسهم بالقرب منّا». وتذكر مصادر في تلك الفترة أن الجمهور بلونيه لم يحمل أيّ ضغينة إلى الملعب، فهو بحسب مصدرٍ عاصر تلك الفترة شعر بأن إداريي العهد محبون للنجمة وهذا كان سبباً إضافياً لمتابعة الفريق «النبيذي» وتشجيعه. وبحسب المصدر نفسه، ظهرت السلبية من جهة بعض الإداريين العهداويين تجاه نادي النجمة انطلاقاً من إرادة إثبات الوجود، ووسط شعورهم بأن هناك من يسعى لمحاربتهم. سعد، بدوره، يطلق موقفاً سياسياً، لا علاقة له بالرياضة، عندما يؤيد اليوم ترشيح عمر غندور الذي يسميه «أيقونة كرة القدم اللبنانية» في الانتخابات النيابية، وهو برأيه دليل على عمق العلاقة التاريخية بين رؤساء الناديين. لكنه في نفس الوقت يرى أن العهد لم يأخذ الكثير من جمهور النجمة بل إن اختلاط الجمهور المحبّ للفريقين في مناطق واحدة أثّر بشكلٍ أو بآخر على علاقتهما. الواقع أن هذا الكلام صحيح، إذ منذ صعود العهد إلى الدرجة الأولى صبّت فئة من مناطق الأوزاعي والضاحية مثلاً جماهيرياً في مدرجات الفريق الأصفر، كما أن لاعبين صغاراً وجدوا مساحة إضافية للانخراط في نادٍ للدرجة الأولى، فأصبح ملعب العهد قبلة لهم تماماً كما كان ملعب النجمة مرجعاً بالنسبة إلى كل ناشئ يرغب في إيجاد الطريق إلى الأضواء. لكن نجماويين قدماء يخالفون هذا القول، إذ يعتبرون أنه حتى في اعتماد العهد لموسى حجيج مدرباً هو «جزء من مخطط مدروس لاستقطاب جمهور النجمة»، رغم أن هذه الفكرة قد لا تبدو واقعية لأن من ترك المدرجات النجماوية والتحق بنظيرتها العهداوية لأهواء سياسية أو طائفية أو حتى كروية، سبق أن فعلها منذ مواسم سابقة، وما ازدياد أعداد جمهور العهد إلا بفعل النجاحات التي حققها على أرض الملعب موسماً بعد آخر.

مواقع التواصل «بنزين في النار»

يروي لاعب معروف سابق في العهد أنه قبل إحدى المباريات مع النجمة على ملعب بيروت البلدي، وهي كانت مباراة غير مؤثرة بالنسبة إلى فريقه طُلب منه ومن زملائه عدم الاحتكاك بلاعبي النجمة لكي لا يتعرضوا للإصابات وهم الذين كانوا يقفون على أبواب استحقاق أسبوعي. ويختصر «هذه مسألة لن تحصل بعُد اليوم أقلّه بعد التعرّض لإداريي العهد في الجانب الشخصي». والأمور وصلت إلى ما وصلت إليه برأي أمين سرّ العهد الحاج محمد عاصي بسبب مواقع التواصل الاجتماعي أيضاً فهي برأيه لعبت دوراً رئيسياً في إثارة الفتنة بين جمهوري الفريقين... «وهناك مشغّلون لها بعضهم أسماؤهم معروفة، وهو الأمر المؤسف في هذا الإطار». برأي عاصي بدأ الكره للعهد عندما بدأ في المنافسة على البطولات، وتحديداً بعد عام 2008 عندما أحرز لقبه الأول في بطولة الدوري. لكن الصفاء خطف الألقاب من أمام النجمة ولم يكرهه الأخير؛ يجيب عاصي موضحاً أن «أغلبية جمهور النجمة والعهد هم أبناء بيئة واحدة أي من نفس المنطقة الجغرافية، لذا ولدت حساسية في قلب البيت الواحد والشارع الواحد والعائلة الواحدة وحتى المدرسة الواحدة». ويتابع: «لكن هناك حلقة مفقودة عبر تغذية هذه الكراهية بهذا الشكل الكبير والفاضح، وإدارة العهد تعمل على تبريد الأجواء، تماماً كما حصل في حالة رفع يافطة مسيئة لمدير الكرة في النجمة جمال الحاج، حيث تمّ العمل فوراً على معالجة الموضوع بطريقة حازمة».

مصدر عهداوي رفض الكشف عن اسمه يلتقي في كلامه مع عاصي، لكنه يحمّل النجمة مسؤولية إعلان الحرب، وذلك عبر البيانات الإدارية التي لم تعد يوماً إلى تبريد الأجواء، في وقتٍ لم يكنّ فيه العهداويون أي حقد تجاه الرموز النجماوية والدليل برأيه أن «جمال الحاج نفسه انتقل إلى العهد ولعب معه ودربه وتمّ تكريمه، كما هي حالة يوسف فرحات ومحمد حلاوي». عاصي يغمز من قناة معيّنة عندما يقول: «يمكنكم أن تسألوا إذا ما كنا نُسيء في اجتماعاتنا للنجمة أو إدارته، لكن لن نرضى أن تبقى الأمور هكذا وسنعمل مع القضاء والجهات الأمنية لوقفها ضمن الأطر القانونية لمعاقبة الأشخاص المسيئين إلينا شخصياً ومن خلفهم، لأن هناك توزيع للفتنة بشكلٍ مدروس». ومن دون شك فإن أمين سر نادي العهد هو أكثر المكروهين من قبل النجماويين. أما السبب فهو برأيه «أنني كنت في قلب تأسيس نادي العهد وقد اشتريت الرخصة من مالي الخاص، ومنزل أهلي في المصيطبة سُجّل كمركز لنادي العهد الذي خدمته لاعباً ورئيساً وإدارياً». ويختم: «الشجرة المثمرة تُرشق بالحجارة».

النجمة «يكره الظلم»

كره النجمة للعهد أفرزه شعور بالظلم تعرّض له النادي بحسب محبيه، وفي البحث عن الأسباب تجد كلمة «العهد». هو «عهد العهد» بحسب مصدرٍ نجماوي، تماماً كما كان «عهد الأنصار» في يوم من الأيام، وهو ما أعاد إلى الجمهور مشاهد الظلم الذي عاناه فريقهم برأيه. ظلمٌ يرفض النجماويون أن يعيشوا في أتونه مجدداً، ويرفضونه رفضاً قاطعاً فقرروا مقاومته. كلامٌ كبير وخطير، ولا يتجاهله نائب رئيس النجمة صلاح عسيران عند سؤاله عنه، فيجب: «الناس لا يحبون الظلم والواضح أن ما يحصل في بعض الأحيان هو نتاج ظلم تم التخطيط له للإساءة إلى النجمة من دون حدود ومن دون توقف». ويعقّب: «هناك أناس يحسدون هذا النادي على قدرته على جمع كل الشعب اللبناني، فبغمزة تجد 30 ألف شخص في الملعب، وهم يمثلون شيئاً أساسياً يسمى اللحمة الوطنية، وهو أمر بدا واضحاً من خلال ازدياد أعداد الجمهور النجماوي القادم من طرابلس وعكار بفضل الزميل معتّز زريقة صاحب الحيثية الشعبية في المنية والضنية». لكن هل مجرد الشعور بالظلم واستعادة مشاهد تعليب المباريات وتحيّز الحكام هو سبب كافٍ لمعارك قد تسبّب حرباً أهلية؟ أو لعدم الاعتراف حتى بأفضلية العهد الفنية. يجيب عسيران: «علينا أن نتخلص من قاعدة ضربني وبكى وسبقني واشتكى، فجمهور النجمة يعتبر أن البطولات تسرق منه في المكاتب أحياناً، وبالتالي العهد أو غيره من أصحاب هذه البطولات أصبح مكروهاً بالنسبة إليه». وهل كرهتم الصفاء؟ يجيب: «لا لم يكره أحد الصفاء لأنه أحرز البطولات بتعبه وجهده، ولكن أن ترى أن فريقاً وفي آخر مراحل الدوري يُقدم على التعاقد مع أفضل اللاعبين في الفرق الأخرى، فإن هذا الأمر يثير الريبة كونه يؤثر بلا شك على هؤلاء اللاعبين في مواجهاتهم مع العهد».

جولة على نجماويين قدماء تعكس أيضاً سبباً إضافياً للكره النجماوي للعهد إذ هناك شعور عند جمهور النجمة بأن العهد كان له دور في منعه من دخول المباريات عبر مؤامرات حاكها ضده من خلال وجود سلطة له في الاتحاد ولها تأثير كبير في القرارات. وهذا أمر يرى البعض أنه سقط بالضربة القاضية في الأيام الأخيرة، وخصوصاً مع المساعي الاتحادية لتأمين حضور الجمهور لنهائي كأس لبنان. لكن رغم كل هذا الكلام الناري وعشية الموقعة القوية بين الفريقين، تجد تبريداً للنار أيضاً من الناحية النجماوية، إذ يقول عسيران: «تقدّمنا بشكاوى كثيرة على أشخاص أساؤوا عبر «الفايسبوك» للنجمة قبل غيره، وذلك من خلال اسماء وهمية، فهم يسيئون الى علاقتنا مع العهد، لذا لا نعتبرهم نجماويين بل يحاولون جرّ الناس إلى كلام غير مقبول بحق المنافسين أو إدارة نادي النجمة، وهذا يضرّ بالنادي ولا يفيده». ويختم: «مهما حاولوا نراهم خصماً لا عدواً، ومنافساً وليس عدواً، ولا نريد إلا أن تكون المنافسة ضمن الشروط والأصول».

> ما ازدياد أعداد جمهور العهد إلا بفعل النجاحات التي حققها على أرض الملعب موسماً بعد آخر

(تصوير عدنان الحاج علي)

الشحن الجماهيري يبلغ الذروة

قبل أيام كان هناك شعور عام لدى مراجع أمنية عدة بأن الكل يغنى عن توتير الأجواء في البلاد بسبب مباراة كرة قدم. وهذا الجو كان قد وصل إلى الجهات الأمنية منذ فترةٍ ليست بقصيرة وتحديداً قبل لقاء الفريقين الأخير في الدوري اللبناني، وعند توقّع الوصول الى مباراة حاسمة بينهما، حيث علمت «الأخبار» أن قائد سرية الضاحية العقيد محمد ضامن كان قد أبلغ بصراحة بأنه لا يمكن لقوى الأمن تأمين المباراة، وبالتالي كان هناك طلب الى قيادة الجيش اللبناني لتأمينها، وذلك بسبب جو الشحن الجماهيري الذي وصل إلى أوجّه قبل أسابيع قليلة.

وفي ظل الكلام عن أن مباراة نهائي الكأس على ملعب مدينة كميل شمعون الرياضية ستمرّ بسلام في حال كان هناك قرار من الدولة، فإنه مما لا شك فيه أنه رغم عدم تخصّص الجيش بتأمين الملاعب والمباريات بعكس قوى الأمن التي دُرّب عناصرها على ضبط الشغب أو أي أحداث مشابهة، فإن قراراً جريئاً (رآه البعض صعباً قبل اتخاذه) اتخذه مجلس الوزراء بالموافقة على طلب وزير الشباب والرياضة محمد فنيش المُستنِد إلى طلب الاتحاد اللبناني لكرة القدم تكليف الجيش مؤازرة قوى الأمن في حفظ أمن نهائي الكأس، ما يعني ببساطة: ممنوع الإخلال بالأمن وخصوصاً قبل أسبوعٍ فقط على اليوم الانتخابي المرتقب.

كالشيو

اليوفي في «جوسيبي مياتزا»

على قلقٍ كأن الريح تحته!

يبدو أن ماسميليانو أليغري أوقع فريقه في فخ يصعب الهروب منه (أ ف ب)

«جنة كرة القدم» هكذا كانت تسمى إيطاليا في التسعينيات من القرن الماضي. نظراً إلى مستوى الدوري والتنافس الذي كان حاضراً في تلك الحقبة. عاد الدوري الإيطالي هذا الموسم ليشعل فتيل الصراع ما بين الفرق على المراكز المؤهلة إلى البطولات الأوروبية، فضلاً عن صراع البقاء في «السيري أ». الحدث الأبرز هو الصراع على اللقب، ومحاولة من أبناء الجنوب نابولي لكسر هيمنة «السيدة العجوز»، «اليوفي» يبتعد عن ملاحقه بفارق نقطة (85 نقطة)، لكنه يواجه اليوم إنتر الذي يسعى بدوره للعودة الى دوري ابطال اوروبا بعد غياب دام لثلاثة مواسم. المفارقة أن إنتر يحل ضيفاً على الأخير باحثاً عن فوز يعزز فيه رصيده من النقاط من اجل التأهل لدوري ابطال اوروبا بعد غياب طويل

حسن عطية

خسر يوفنتوس متصدر الدوري المباراة الأخيرة أمام نابولي في ملعبه «اليانز» بهدف كوليبالي القاتل في الدقيقة الـ 90. عادت المعركة. قبل تلك المباراة، كان «اليوفي» قد تعادل أمام كروتوني وسمح للمعركة بالعودة. يبدو أن الخروج القاسي من دوري أبطال أوروبا أمام الريال في آخر دقيقة بركلة جزاء (مشكوك بصحتها) هز تركيبة الفريق. الإخفاق الأوروبي مستمر للفريق الذي يهيمن في إيطاليا في آخر 6 مواسم، وهذا يجعلنا نطرح عدة أسئلة. أولها: هل ملّ نادي الألقاب المحلية من الفوز ببطولة إيطاليا فقط؟ أم أنه سيسعى إلى الحفاظ على اللّقب لحفظ ماء وجهه؟ سيدخل فريق «السيدة العجوز» إلى الملعب على قلق، كما لو أن الريح تحته. تعثره وفوز نابولي يعنيان خسارة الصدارة من جديد. تظهر الأرقام أن يوفنتوس فريق يعرف كيف يوازن بين الدفاع والهجوم، وهذا خير دليل على أن الفريق لا يلعب بحرية تامة، بل يلتزم بالتكتيك الإيطالي. سجّل الفريق 78 هدفاً في حين تلقى 20. باولو دي بالا هو اللاعب المحوري في تشكيلة الفريق بتسجيله 21 هدفاً وصناعة 10 أخرى، وهو أكثر من صنع الهجمات مع فريقه هذا الموسم. لكن مهمة يوفنتوس لن تكون سهلة نحو اللّقب لأن إنتر لن يتخلى عن الفوز أبداً، وخصوصاً أنه يلعب أمام جماهيره والفوز يعني تعزيز آماله بالتأهل إلى دوري الأبطال. «البيانكونيري» سيكون مشتتاً، فإن فاز على إنتر سيتوجب عليه الفوز على روما في الجولة قبل الأخيرة (في حال عدم تعثر نابولي طبعاً)، وبدوره روما المتعثر أمام ليفربول سيقاتل من أجل البقاء في المراكز الأربعة المؤهلة لدوري الأبطال، وخصوصاً في ظل المنافسة بين إنتر لاتسيو وروما. وفي نهائي الكاس، سيواجه «اليوفي» ميلان في الـ 9 من الشهر المقبل. يبدو أن ماسميليانو أليغري أوقع فريقه في فخ يصعب الهروب منه. الجماهير تعرف ذلك، وقد اجتمعت مجموعة من جماهير «السيدة العجوز» الأربعاء أمام مركز التدريب. ظن البعض أنها جاءت لتحتج، لكن اتضح أنها جاءت لإعطاء جرعة من المعنويات للاعبين. لقد تفهّم جمهور الفريق المرحلة الحرجة التي يمرّ بها النادي، وهذا الأمر الذي قد يخدم الفريق في المباراة الآتية.

بدوره، إنتر يبدو عازماً على الفوز بـ«كلاسيكو إيطاليا». سيدخل متسلحاً بعاملَي الأرض والجمهور. قطب مدينة ميلانو الثاني، يأتي خامساً بعد لاتسيو وروما. التفريط في النقاط الثلاث يعني تقليص حظوظه في التأهل لدوري الأبطال، وخصوصاً أن روما ولاتسيو يخوضان مباراتين سهلتين هذا الأسبوع (الأسبوع 35). ما قد يعاب على سبالتي مدرب «النيراتزوري» أنه لم يستطع حتى الآن خلق الثبات في أداء الفريق، فتارة يكون إنتر في القمة وتارة أخرى يخسر أمام الفرق التي تأتي في منتصف الترتيب. ويشهد أداء إنتر انخفاضاً في الدقائق العشرين الأخيرة من المباراة وتراجعاً بدنياً لافتاً، وهذا ما قد يخدم يوفنتوس الذي أظهر في مباراته أمام ريال مدريد القدرة البدنية التي لديه. وبطبيعة الحال، فقد يكون يوفنتوس الفريق الوحيد في إيطاليا الذي يملك دكّة بدلاء يمكنها إحراز الفارق. التغلب على يوفنتوس يسهل مهمة التاهل، بانتظار تعثر المنافسين (لاتسيو وروما)، هذا واضح. إنتر ثاني أفضل الدفاعات بعد يوفنتوس، لكن أداءه الهجومي متواضع نظراً إلى الفرق الأخرى (56 هدفاً)، سجّل نصفها تقريباً ماورو إيكاردي الأرجنتيني (26 هدفاً). قوة إنتر تظهر في الـ 20 دقيقة الأخيرة من المباراة لأن الفريق يمارس الضغط العالي ويلعب بدفاع متقدم، وسجل 14 هدفاً في هذا الوقت هذا الموسم. في الوقت ذاته، يشكل ربع الساعة الأخير من كل شوط الوقت الأفضل للتسجيل على إنتر لأن الفريق يتخلى عن الالتزامات الدفاعية ويتراجع بدنياً.

مباراة الذهاب التي كانت على أرض يوفنتوس في ملعب «اليانز» انتهت بالتعادل السلبي (0-0)، وكانت مباراة تكتيكية بامتياز. وهنا لا بد من المقارنة بين طريقة لعب الفريقين. يعتمد «اليوفي» على تشكيلة 4-2-3-1 وقد يبدأ أليغري اليوم بمانزوكيتش الذي يتحول من اليسار إلى العمق، لأن مشكلة إنتر تكمن في الكرات العرضية. سبالليتي قد يلعب بلاعبَين في خط الارتكاز وذلك للحدّ من خطورة ديبالا (لم يشارك أساسياً في مباراة الذهاب) الذي يلعب خلف هيغواين، وبالتالي من الطبيعي أن يحاول إنتر عدم منح المساحة للاعب الذي يشكل مفتاح بناء الهجمات، لكن معاناة «الأفاعي» قد تكون في سرعة دوغلاس كوستا وساندرو وكوادرادو (إذا شارك أساسياً) وذلك نظراً إلى فارق السرعات. إذا لعب إنتر كما لعب ذهاباً واعتمد على المرتدات، فسينعكس هذا الأمر سلباً عليه لأن لاعبيه لا يملكون السرعة لفعل ذلك. إن إيكاردي ليس باللاعب القادر على قيادة المرتدة. هجوم يوفنتوس في المباراة الأخيرة لم يسدد إلّا أربع تسديدات في 90 دقيقة، وبالتالي فإن المستوى الهجومي تراجع. الضغط العالي يشكل عائقاً في وجه الفريق القادم من تورينو، في ظل وجود خضيرا لأن اللاعب بطيء الحركة وإمكانية خسارته للكرة متاحة بنسبة كبيرة.

التعادل سيكون بمثابة خسارة للفريقين، الدوري الإيطالي وفي بوعوده هذا الموسم. يستمر الصراع على الصدارة حتى الجولات الأخيرة، إن كان على المراكز المؤهلة لدوري الأبطال أو حتى على اللّقب، وفي قاع الترتيب لا تزال حظوظ الفريق موجودة للبقاء.

موسم استثنائي للاتسيو

يقدم لاتسيو موسماً استثنائياً، فهو يحتل المركز الرابع المؤهل لدوري أبطال أوروبا بفارق نقطة عن ملاحقه إنتر ويتعادل مع روما الثالث (67 نقطة). وسجل لاتسيو 83 هدفاً، وهو رقم مرتفع من الأهداف في إيطاليا وخصوصاً في ظل القوة الدفاعية للأندية في الدوري. ويتصدر تشيرو إيموبيلي المهاجم الإيطالي قائمة الهدّافين بـ 29 هدفاً من 89 تسديدة على المرمى في كل المباريات. ويأتي زميله الإسباني لويس ألبيرتو في صدارة قائمة صناعة الأهداف (12 هدفاً). ويحلّ لاتسيو الأحد ضيفاً على تورينو في ملعب «الأوليمبيكو».

ساري: «احذروا»

يسافر نابولي هذا الأسبوع لمواجهة فيورنتينا على ملعب «أرتيميو فرانكي» المعروف بصعوبته في الجولة الـ 35 من دوري الأبطال، ويطمح الأخير إلى الفوز من أجل المنافسة على مركز مؤهل للدوري الأوروبي. وحذّر مدرب نابولي ماوريتسيو ساري لاعبيه من فقدان تركيزهم في المباريات المقبلة. وقال ساري في حديثه إلى الإعلام الإيطالي «لم يكن الأمر مستحيلاً من قبل، لكن هذا لا يعني أن كل شيء أصبح ممكناً وسهلاً الآن»، مضيفاً «لا يجب أن يغيب عن بالنا أن هدفنا هو اللقب، علينا أن نبقى مُركزين، لأنه لا يزال هناك الكثير من الصعوبات في طريقنا».

ليغا

يتّجه برشلونة إلى ملعب «ريازور» في مدينة لاكورونيا في إقليم غاليسيا ليحلّ ضيفاً على ديبورتيفو ضمن الجولة الـ 35 من الدوري الإسباني. نقطة واحدة كافية ليحقق النادي الكاتالوني لقب الدوري للمرّة السابعة في آخر عشر سنوات. بعد تعثّر أتلتيكو مدريد صاحب المركز الثاني في مباراته الأخيرة على أرضه وبين جماهيره مع ريال بيتيس (0.0)، صار البرسا بحاجة إلى نقطة يتيمة

برشلونة في لاكورونيا
مباراة اللقب «التاريخي»

حسن رمضان

الدوري هذه السنة مختلف عن السنين الأخيرة الماضية. الدّوري حسم باكراً الموسم الحالي. لم يشعر النادي الكاتالوني بالمنافسة. فارق النقاط بين برشلونة وأقرب ملاحقيه لم ينخفض إلى أقل من 9 نقاط خلال أغلب جولات «الليغا». أضف إلى ذلك، سيلعب «البلاوغرانا» ليلة الأحد مباراته الـ 33 ضمن الجولة الـ 35 في «الليغا» ولم يتكبّد فيها النادي الكاتالوني ولو حتى هزيمة واحدة. 25 انتصاراً معها 8 تعادلات كانت هي نتائج المباريات التي خاضها برشلونة في الدوري، يحتلّ من خلالها صدارة الترتيب بـ 83 نقطة، بعيداً عن أتلتيكو مدريد الثاني بـ 11 نقطة. وفي حال تحقيق المراد في مباراة «الديربي» (فوز أو تعادل الفريق)، سيتوّج برشلونة بلقبه الثاني هذا الموسم بعد تحقيقه للقب كأس ملك إسبانيا (Copa Del Rey) بعد اكتساحه النادي الأندلسي إشبيلية بخماسية نظيفة في مباراة احتضنها ملعب أتلتيكو مدريد (واندا متروبوليتانو).

ليغا تاريخيّة يعيشها برشلونة اليوم، رغم خروجه المهين من دوري الأبطال علي يد روما الإيطالي. عديد الأرقام القياسية تمّ تحطيمها خلال مسيرة الفريق للّقب. كان أوّلها وأهمّها، تحطيم الرّقم الذي كان بحوزة نادي ريال سوسييداد بعدد المباريات المتتالية دون هزيمة في «الليغا»، إذ كان الرقم السابق 38 مباراة، وحطّم النادي الكاتالوني الرّقم ومستمرّ في كتابة تاريخ جديد من خلال استمراره في سلسلة يبدو أنها لن تنقطع مع نهاية الدوري.

عندما نذكر نجاحات برشلونة، هناك سبب أساسي في استمرار الفريق على تقديم أفضل ما لديه وتحقيق اللّقب بصورة استثنائية. ليو ميسي بطبيعة الحال. إنها ليغا خاصّة به، ولا نبالغ هنا. لا ينفك عن تقديم اللمحات الجميلة من أهداف ومراوغات وصناعة للفرص في كل مباراة يخوضها النادي. ويحتّل ميسّي اليوم صدارة هدّافي الليغا «البيتشيشي» بـ 29 هدفاً. لاعب يقوم بعديد الأدوار على أرضيّة الملعب، ليس مسجّلاً للأهداف، بل صانعاً لها، بـ 12 تمريرة حاسمة في «الليغا» يتصدّر بها أيضاً «البرغوث الأرجنتيني» صدارة أكثر اللاعبين أصحاب تمريرات حاسمة (Assists).

بعد كل شيء، لا يمكن تخيّل برشلونة من دون ميسي. فبمجرّد التفكير بالأمر، تحضر في العقل صورة لبرشلونة المنهزم، المنكسر والسيّئ. وعلى الرّغم من أهميّة الأرجنتيني النفسية والمعنوية والفنية بالنسبة إلى النادي الكاتالوني، إلا أنه، وانطلاقاً من مبدأ «إعطاء كل ذي حق حقه»، لا يمكن للمتابعين إنكار ما قدّمه الحارس الألماني تير شتيغين من أداء مميّز ليصبح اسمه من بين أفضل ثلاثة حرّاس في العالم حالياً، إلى جانب كل من دخيا وأليسون وآخرين. 18 «كلين شيت» حتى الآن بالنسبة الى العملاق الألماني. حارس مثالي بالنسبة إلى برشلونة، فمع وصولنا إلى الجولة الرقم 34 في الدوري، لدى مارك أندريه (شارك أساسياً في جميع المباريات في الليغا) نسبة تمريرات صحيحة وصلت إلى 80%.

مع تراجع مستواه منذ إعلان اهتمام مانشستر يونايتد به، إلا أن المدافع الفرنسي سواموبل أومتيتي، يعدّ من بين الأعمدة الثلاثة المؤثرة في أداء برشلونة الموسم الحالي في «الليغا». صلب وليس من السهل المرور عنه في المواجهات الثنائية. ارتقاء عالٍ في الرّأسيات، كلّها صفات يتمتّع بها الديك الفرنسي، يعتبر أومتيتي من اللاعبين الذين لا يمكن للنادي أن يستغني عنهم، فدوره وفعاليته على أرضيّة الملعب لا يمكن تعويضها بدكّة تجد من يجلس عليها كل من فرمايلن ولوكاس دين. كل هؤلاء، سيرتاحون في الجولات المتبقية، وسيفكرون بالمونديال. برشلونة حسم الأمر باكراً. مباراة اللقب ستكون تاريخية، لأنه لقب بدون خسارة، يتصدّره ميسي بالأهداف وبصناعتها (حتى الآن). لقب تدين به الجماهير الكاتالونية للميستر فالفردي «المحنّك محلّياً»، بعد إخفاقه الكبير في دوري الأبطال.

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير - المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: محمد زبيب، حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري، شربل كريم
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت - فردان - شارع دونان - سنتر كونكورد - الطابق السادس
■ للفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 15- 01/666314 - 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

هل نكترث لعوارض احتلال الديموقراطيّات الغربيّة؟

أسعد أبو خليل *

لدراسة الديموقراطيّات والحديث عنها مواسمُ أكاديميّة، كما أنه كان لدراسة «المجتمع المدني» موسمُه الأكاديمي المزدهر في التسعينات من القرن الماضي. مناسبة الحديث عن دراسة الديموقراطيّات هو صدور كتاب «كيف تموت الديموقراطيّات» لأستاذيْن في جامعة هارفرد، ستيفن ليفتسكي ودانيال زيبلات. والدراسة هذه ليست الأولى ولن تكون الأخيرة، وقد رافقتها مقالات صحافيّة وأكاديميّة عن الموضوع. هي من إفرازات مرحلة صعود دونالد ترامب، وقد سبق المؤلّفان ليفتسكي وزيبلات، في الحديث عن اعتلال الديموقراطيّات، كتاب وان لينز، «تفكّك الأنظمة الديموقراطيّة» الصادر في 1978، وتلاه كتاب «مشكلات التحوّل والتدعيم الديموقراطي: جنوب أوروبا وجنوب أميركا أوروبا ما بعد الشيوعيّة»، الصادر في 1996. والإسباني لينز وُلد في ألمانيا ولهذا شغله موضوع انهيار الديموقراطيّة في بلد كان يُعتبر قدوة للديموقراطيّات الغربيّة. ويسترشد المؤلّفان كثيراً بكتاب لينز (الأوّل) ويستعينان بمعاييره للحكم على خطورة بوادر تدهور السلوك والمعالم الديموقراطيّة في بلد ما.

وليس الحديث عن خفوت البريق الديموقراطي بريئاً سياسيّاً في أميركا. النخب المتنفّذة هنا قلقة للغاية من عهد ترامب، كان العهود التي سبقته كانت أقل عداءً للديموقراطيّة منه. إن مرتبة الولايات المتحدة في سلّم حريّات التعبير، الذي تعدّها سنويّاً منظمة «مراسلون بلا حدود» في انخفاض مستمرّ في الألفيّة الجديدة (كما أن نسب النساء في الكونغرس لا تزداد على عكس أنظمة ديموقراطيّة وتسلطيّة أخرى). وعهد بارك أوباما شهد أكبر زيادة في الملاحقة القضائيّة من السلطة التنفيذيّة ضدّ محرّرين ومحرّرات. وصدور فيلم ستيفن سبيلبرغ («دا بوستّ») أتى في سلسلة من ردود الفعل الثقافيّة والفنيّة والإكاديميّة والإعلاميّة ضدّ عهد ترامب. الأخير ليس أميركا جديدة، بل هو أميركا القديمة عينها لكن بلسان ووجه سوقي وبذيء. وتعتري صفوف النخبة الحاكمة (المتحكّمة في السلطة والواقعة خارجها) حالة من الذعر خوفاً على وضع الإمبراطوريّة من جراء لمسات حكم وخطاب ترامب. والخوف ليس على الديموقراطيّة عند هؤلاء بقدر ما هو على المصالح الاستراتيجيّة للإمبراطوريّة. لكن للإمبراطوريّة القدرة على الإمساك بزمام الأمور عندما تريد، حتى لو عاكست إرادة الرئيس الأميركي: هو هدّد بضرب كوريا الشماليّة وهي - أي قيادة الإمبراطوريّة الأميركيّة - لم تردّ حرباً. هو أراد نسف الاتفاق النووي مع إيران وهي أرادت الحفاظ عليه. هو أراد إهمال «الناتو» وهي أرادت الحفاظ على الحلف وتعزيزه. هو أراد الانسحاب الفوري من أفغانستان وهي أرادت نشر المزيد من القوّات. هو أراد الانسحاب من سوريا، وهي أرادت البقاء فيه من أجل مواجهة النفوذ الإيراني. هي أرادت الحرص على العلاقة مع أنظمة الخليج، وهو كان يدعو إلى ترك أمر الدفاع عنها لنفسها. وفي كل هذه الأمور، كان للإمبراطوريّة - في حالة التسيير الذاتي - ما أرادت، لا ما أراد الرئيس الأميركي.

أما المعايير التي يعتمدها المؤلّفان في تشخيص حالة هزّال أو انهيار الديموقراطيّة، فهي أربعة: 1) رفض أو ضعف الالتزام بقواعد اللعبة (الديموقراطيّة) 2) نفي الشرعيّة السياسيّة للخصوم 3) التسامح مع التشجيع على العنف (4) القابليّة للحجم حريّات الخصوم، خصوصاً في الإعلام (ص.23 - 24). لكن هل ترامب غيّر قواعد اللعبة إلى هذه الدرجة أم أن الديموقراطيّة الأميركيّة تعاني من ضعف وسقم منذ بداياتها؟ لكن الكتاب بين أيدينا يعتمد على جملة افتراضات تضفي طابعاً سياسيّاً انتقاميّاً على محتواه. بات الحنين إلى عهد جورج دبليو بوش سمة من سمات الليبراليّة المُنتفضة على عهد ترامب، مع أن الحرب على الحريّات بلغت أوجها في عهده، ولم تتوقّف في عهد أوباما. إن قانون «باتريوت» الذي مُرّر على عجل (بموافقة الحزبيْن) مثّل تراجعاً كبيراً في وضع الحريّات في البلاد. وليس تقدّم الديموقراطيّات حتميّاً، وإلاّ فإن جمهوريّة «فايمر» الألمانيّة تكون

نفي الشرعيّة السياسيّة عن الخصم لم يبدأ في عهد ترامب (أ ف ب)

مرتبة الولايات المتحدة في سلّم حرّيات التعبير في انخفاض مستمرّ

والتخريبيّة) عندما يخالف رأيُ الشعوب الخيارات السياسيّة والاقتصاديّة الأميركيّة؟ والكلام عن تناقص أو سقم الديموقراطيّة يخالف أدبيّات التسعينات عن الابتهاج بالعصر الديموقراطي، أو ما أسماه ساموبل هنتغتون في كتابه «الموجة الثالثة: الدمقرطة في أواخر القرن العشرين». والابتهاج بالديموقراطيّة في حينه كان في محلّه. ابتهاجاً بنشر النفوذ والهيمنة الأميركيّة حول العالم. لم يحكم بوتين ديموقراطياً وكان يصادر حقوق شعبه وممثّليه، ويستبدّ في اتخاذ القرارات. ومن المؤكّد أن فوزه في انتخابات 1996، الذي شاركت فيه الحكومة الأميركيّة وصندوق النقد العالمي (عبر وعود بقروض ترتبط بفوز يلتسن فقط)، كان عبر التزوير في صناديق الاقتراع. هذه الأمثلة لا ترد في الكتاب المشغول بمخالفات عهديْ تشافيز ومادورو. ولم يتطرّق الكتاب مثلاً إلى حالات عنصريّة فاقعة ضد أهل «الروما» في جمهوريّة التشيك (في عهد فاسلاف هافيل) أو في فرنسا أو في الدول الموالية لأميركا. وصعود المجاهرة بالعنصريّة الدينيّة ضد الإسلام والمسلمين. ومن أحزاب ذات اليمين وذات اليسار - لا تعني غرض هذا الكتاب الحريص على مصالح أميركا «الاستراتيجيّة».

لا شكّ أن هناك أعراض أمراض في الديموقراطيّات الغربيّة قاطبةً. هناك مجاهرة بالعنصريّة ضد المهاجرين والمسلمين (واليهود في بعض البلدان). كما أن الإعلام في كل دول الغرب بات يتركّز في أيدٍ احتكاريّة قليلة، وهو لا يعتمد، كما كان في السابق، على تمويل المشتركين أو الإعلانات المحلّيّة، بل على تمويل شركات كبرى أو أصحاب مليارات. كما أن المروحة السياسيّة تتجّه باطراد نحو اليمين العنصري في كل دول الغرب، إضافة إلى تبنّي الأحزاب الليبراليّة و، حتى الاشتراكيّة، كما في فرنسا . لعقائد اقتصاد السوق الاحتكاري والعداء للمهاجرين والفقراء. ولا تحاول الكتابات الأكاديميّة الليبراليّة - مثل هذا الكتاب . لوْم الجمهور الأبيض المسيحي في هذه الدول بقدر ما يدعو إلى مزيد من العطف نحوهم وأخذ معاناتهم المفترضة في الاعتبار (مع أن دراسة جديدة أظهرت أن دوافع الطبقة العاملة البيضاء في أميركا في دعم ترامب لم تكن بسبب القلق الاقتصادي بل بسبب القلق على موقع العرق الأبيض). ودولة الرعاية الاجتماعيّة تتعرّض لحروب ضروس في كل دول الغرب، وهبات الدولة المُخصّصة للفقراء والمعوّزين تتقلّص في هذه الدول لأن الحرب ضد الفقراء والمهاجرين باتت عقيدة الأكثريّة. ويفصل الكتاب في تقييم الديموقراطيّة الأميركيّة بين حقبتيْن: ما قبل ترامب وما بعده، ما يمنح الديموقراطيّة الأميركيّة فضائل وميزات لا تستحقّها البتّة. لا يمكن بداية الحديث عن ديموقراطيّة، بأي شكل من الأشكال، في أميركا قبل القرن العشرين. كان الحكم في أميركا بيد أقليّة طبقيّة وعنصريّة صغيرة، وكان المؤسّسون الأوائل من أصحاب فكر يكنّ الكثير من الاحتقار للأكثريّة الشعبيّة (شهد تأسيس الجمهوريّة فصلاً بين فريقيْن: فريق دعاة الفدراليّة، أي المؤمنين بدولة مركزيّة قويّة، وفريق معارضي الفدراليّة. وكانت الخلفيّة الطبقيّة للفريق الأوّل هي كبار الملّاك وأصحاب المزارع الذين شغّلوا العبيد في الجنوب وبقايا رموز العصر الملكي، فيما كانت الخلفيّة الطبقيّة للفريق المناهض جلّها من أصحاب الدكاكين وصغار المزارعين من البيض المحدودي الدخل). ويحمل النظام الأميركي الكثير من العناصر غير الديموقراطيّة ولّهذا مع «جمهوريّة» لا «ديموقراطيّة»، أي أن هناك في الدستور الأميركي ما هو غير قابل للنزع، ولو بالإرادة الشعبيّة الأكثريّة. إن العقليّة النخبويّة للمؤسّسين قلقت أشدّ القلق من تنامي حقوق الناس العاديّين من البيض الفقراء، وهي صمّمت النظام السياسي لإنقاص الإرادة الشعبيّة وحفظها بيد النخبة الطبقيّة . السياسيّة الحاكمة. وليس مجلس الشيوخ الأميركي إلا نادباً للأثرياء وهكذا أراده المؤسّسون (بقيت الامتيازات والشروط الماليّة والتملكيّة لأعضاء مجلس الشيوخ حتى أواخر القرن التاسع عشر، وكان الكثير منهم يُعيَّن محلياً).

ولم يكن تحرير أربعة ملايين من العبيد في عهد لينكن تحقيقاً للديموقراطيّة. إن مرحلة «إعادة البناء» (التي تلت انتهاء الحرب الأهليّة وفوز «الاتحاديّين» في عام 1865) لم تُنجز تحقيق الديموقراطيّة (التي كانت النساء مستثنيات منها). فقد عمد الحزب الديموقراطي في الجنوب إلى استخدام حبَل والاعيب «قانونيّة» من أجل تخفيض اقتراع السود في الولايات الجنوبيّة. كما أنه قيّد حركة وعمل السود. وقد نجح الحزب الديموقراطي في تقليص وتهميش اقتراع السود: ففي 1880 بلغت نسبة اقتراع السود 61 في المئة لكنها انخفضت إلى 2 في المئة بحلول 1912 (ص. 92). والحرب ضد اقتراع السود والفقراء لم تتوقّف حتى بعد أن الغت الولايات الجنوبيّة (في الستينات وما بعد) معظم الإجراءات والقوانين التي قيّدت حريّة اقتراع السود، عبر امتحانات كتابيّة أو عبر تعقيد إجراءات الاقتراع بحيث تصبح شبه مستحيلة لغير المتعلّمين (الذين كانت نسبهم ولا تزال أعلى عند السود والملاتينيين من البيض). ويشترط الحزبان الحاكمان هنا في تمهيش دور الفقراء في الاقتراع: هذه واحدة من الدول القليلة في العالم التي يجري فيها الاقتراع في يوم عمل (الثلاثاء) وفي شهر شتوي (تشرين الثاني، نوفمبر). ولو أضفنا تعقيد الاقتراع (عبر فرض التسجيل للاقتراع قبل الاقتراع) فإن عمليّة إقصاء الفقراء وتخفيض مشاركتهم تصبح واضحة ومقصودة.

على رغم أن قوانين الحقوق المدنيّة وحقوق الاقتراع سُنّت في الستينات، فإن الأدوار باتت معكوسة في ولايات الجنوب بالنسبة إلى تخفيض نسبة اقتراع السود. فالحزب الجمهوري النافذ (بعد أن تضاءل دور الحزب الديموقراطي منذ حملة «استراتيجيّة الجنوب» التي لجأ إليها ريتشارد نيكسون في 1968) بدأ في هذه الألفيّة بالحد من اقتراع السود عبر فرض شروط إضافيّة للاقتراع، منها مثلاً تقديم أوراق ثبوتيّة، وأوراق الهويّة الرسميّة - مثل بطاقة سوق السيّارة . هي أقل توافراً عند السود والفقراء البيض من غيرهم. وولاية كارولينا الشماليّة تبنّت خططاً عدة لتخفيض دور السود في الاقتراع، وشمل ذلك إعادة رسم الدوائر الانتخابيّة إذ خُصر الناخبون السود في دوائر معزولة مقتطعة من دوائر أخرى كان للسود فيها تأثير في حظوظ مرشحيْن بيض (هذا عزّز حظوظ المرشحيْن الجمهوريّيْن البيض).

هذا لا يعني أن ما يرد في الكتاب من عوارض خطيرة لأمراض في النظام السياسي الأميركي هي غير صحيحة. لكن هذه العوارض لم تظهر هكذا فجأة بل هي موجودة منذ عقود وازدادت في عهد ترمب. يروي المؤلّفان مثلاً قصة الملك غير المتوّج، أي فرانكلين روزفلت. هذا كان الرئيس الوحيد الذي امتدّ عهده في الحكم لأكثر من ولايتيْن (لكن تعديلاً دستوريّاً سُنّ وأقرّ بعد وفاته . التعديل الثاني والعشرين على الدستور . وهو منع الرئيس من الحكم لأكثر من ولايتيْن غير خاضعيْن لأي تمديد). وروزفلت سيطر على السلطة التشريعيّة والتنفيذيّة في آن، وهدّد بإقصاء قضاء المحكمة العليا عندما لم يتجاوبوا مع إصلاحاته في الرعاية الاجتماعيّة. لكن الكتاب يثني على ضوابط النظام الديموقراطي لأن مبادرة روزفلت لزيادة عدد أعضاء المحكمة العليا لم تتقدّم. لكن ذلك لم يكن بسبب الضوابط بل بسبب خضوع المحكمة آنذاك لمشيئة روزفلت، وتجاوبت المحكمة مع إصلاحاته بعد ذلك. لم يذكر الكتاب ذلك، ولا تهديده باستعمال مجلس النوّاب لإقصاء القضاة المعارضين له.

لو اعتمدنا على معايير الكتاب في تحديد مكامن المرض في الديموقراطيّة الأميركيّة، لأمكن تشخيص الأمراض التي يحدّدها الكتاب لكن في عهود سبقت عهد ترمب. إن معيار «الالتزام الضعيف» بشروط اللعبة الديموقراطيّة لم يبدأ في عهد ترامب. إن انتخابات 2000 كانت سابقة. الحزب الجمهوري كان صارماً في أنه لن يقبل بأقل من فوز مرشحه جورج بوش، وهو اعتمد في ذلك على خضوع المحكمة العليا (في ثالث قوي)، فإن خصومه اعتبروا ذلك نفياً لشرعيّته السياسيّة. أما فوز أوباما، فكان مرفوضاً من نحو نصف البيض في أميركا. كان هناك تشكيك في حقيقة ولادته وحقيقة دياناته وحقيقة جنسيّته (قاد ترامب نفسه حملة التشكيك في مكان ولادة أوباما وذلك للقول إنه غير شرعي لأن الدستور لا يتيح لمن هو مولود خارج الولايات المتحدة أن يترشّح للرئاسة أو أن يملأ سدّتها. والحدّة في الصراع السياسي الأميركي بلغت حدّتها قبل عهد ترمب. هي تعود إلى مراحل إعادة رسم الدوائر الانتخابيّة في الولايات: كل عشر سنوات بعد نشر نتائج الإحصاء المركزي). فالحزب الديموقراطي أعاد رسم الدوائر الانتخابيّة في الولايات التي يسيطر عليها، كما أن الجمهوري أعاد رسم الدوائر الانتخابيّة في الولايات التي يسيطر عليها. والديموقراطيّة ليست إلا لعبة تتقرّر نتائجها بناء على الشروط التي تُفرضها (والشروط ليست من صنع الشعب بل من صنع النخبة الطبقيّة الحاكمة، وتغيير الشروط تأتيك بشروط مختلفة، وهذا مألوف في الحياة السياسيّة اللبنانيّة).

إعادة رسم الدوائر هذه أنتجت مرشحين في يسار الحزب الديموقراطيّ (ويسار الحزب الديموقراطي هنا هو يمين في عدد من الدول الأوروبيّة) وفي أقصى يمين الحزب الجمهوري، أي من المسافة تباعدت بين الجهات والقواعد السياسيّة، ما نسف مساحة التوافق بين الحزبيْن في المجالس التشريعيّة (الفدراليّة والمحليّة على حدّ سواء)، أي أن انتخاب «الوسطيّين» بات مستحيلاً هنا، والوسطيّون كانوا الجسر بين الحزبيْن.

أما التشجيع على العنف، أو حسم الخلاف بالعنف، فهذا بدأ في كل العهود من دون استثناء. إن الثقافة الشعبيّة الأميركيّة تمجّد العنف (الاجتماعي والسياسي في التعامل مع الدول الأخرى) لكنها تزهو أنها تحلّ عنفيّاً. وحركة الحقوق المدنيّة انتهجت اللاعنف لكنها ووجهت بعنف الدولة المحليّة. وأميركا لم تتوقّف عن شن الحروب منذ أوائل الثمانينات. لم تتوقّف حروب أميركا، من أميركا اللاتينيّة (تحت عناوين محاربة الشيوعيّة أو المخدّرات) إلى الشرق الأوسط. العنوان المُفضّل لإرسال القنابل والصواريخ الأميركيّة حول العالم - إلى أفريقيا حديثاً. وحرب أميركا ضد الإرهاب باتت في القانون الأميركي المُسنّ من الكونغرس رخصة للرئيس الأميركي لشنّ حروب حول العالم من دون هوادة ومن دون الطلب إلى الكونغرس لترخيص الحرب (الدستور الأميركي يحصر سلطة شن الحروب بالكونغرس لا بالرئيس). والتعديل الثاني للدستور رفع السلاح الفردي إلى مرتبة القداسة.

يمكن أن نقول، كما يقول المؤلّفان، إن هناك سقماً ما في جسم الديموقراطيّات الغربيّة، وفي الجسم الأميركي في عهد ترامب و«القوي» في بيئته وتمثيله. ولقد تطلب أمر كسر هذه المعادلة (بعد تأخير استمر سنتين) إحداث انقلابات سياسية على غرار الصفقة مع رئيس تيار «المستقبل» الذي كان يبحث بدوره عن وسيلة، ولو غير مألوفة، للعودة إلى رئاسة الحكومة. «وافق شنّ طبقة»، ووُلدت الصفقة التي حملت إلى سدة الرئاسة الأولى الرئيس «القوي»، وإلى سدة الرئاسة الثالثة الرئيس «الأصيل» بعد الرئيس الوكيل تمام سلام.

في مجرى ذلك، كرّر العونيون مراراً أن مجلس العهد ليس المجلس النيابي الحالي، والحكومة الراهنة ليست حكومته. وكان لا بد من تغيّر قانون الانتخاب. وأدى مخاض طويل ومُملّ ومبتذل وفئوي إلى إقرار القانون الحالي النسبي المشوّه المطعّم بـ«الأرثوذكسي» الذي كان مؤيداً من التيار العوني والذي سيؤدي إلى دفع التطبيع إلى مداه الأقصى بجعل كل طائفة تنتخب نوابها (روى السيد حسن نصر الله في خطابه الأخير الموجه إلى جمهور كسروان - جبيل جزءاً من الحوار بشأن «الشراكة» واستعادة الحقوق مع ممثلي «التيار الحر»)... الانتخابات النيابية، بالنسبة إلى العونيين، إذاً، محطة ثانية أساسية في «استعادة الحقوق» وتغيير التوازنات. وقد جاهر رئيس التيار بذلك مراراً. وهو، في اجتماع أخير لقيادة حزبه، تباهى بتحقيق مكاسب لفريقه ينبغي تعزيزها عبر الانتخابات وما بعدها («مكملين وما في شي بيوقفنا»). ذلك يتطلب تقوية التفويض الشعبي الذي أصبح هدفاً يهون من أجل حبه كل شيء: خلط الأوراق، التشكيك بالتحالفات القديمة، فتح مشاكل في الداخل والخارج باسم وزارة الخارجية وسواها، مع خصوم ومتضررين ومنهم، بالدرجة الأولى، رئيس حركة «أمل» ورئيس مجلس النواب نبيه بري ورئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط... واقتضى تكبير الكتلة العونية، أيضاً، التخلي عن مرشحين ونوّاب وناشطين في التيار نفسه لمصلحة مرشحين متمولين وأصحاب حيثية انتخابية، وخصوصاً في كل من كسروان وجبيل والمتن... أي في قلب المراكز المارونية والمسيحية الرئيسية. كذلك أكد التيار تحالفه الرئيسي مع «المستقبل» لتعزيز «الشراكة» المذكورة آنفاً والتي تتخذ، في ظرف جديد، صيغة «الثنائية» الطائفية التي كانت قائمة قبل عام 1975 بأرجحية كاسحة للنفوذ الماروني على حساب النفوذ السني. ويلاحظ هنا أن ما حظي به الرئيس سعد الحريري من تأييد من قبل «الطبخة المالية» بمؤسساتها وأشخاصها، يلتقي تماماً مع شريكه في «الثنائية» الجديدة لجهة ازدياد نفوذ وحضور ممثلي هذه الطبخة في مواقع القرار، وأحياناً بشكل مباشر كما حصل بالنسبة إلى المرشح على لائحة «التيار الوطني» نقولا شماس وسواه في المتن وزحلة وبعلبك والهرمل...

بالتطابق في التعويل على انبثاق «مجلس نواب العهد»، بعد الانتخابات، أشار الرئيس عون في رسالته إلى الرئيس الفرنسي بعد مؤتمر «سيدر»، في 19 الجاري، إلى أن «نهوض لبنان لن يتم إلا بإصلاحات اقتصادية ومالية واجتماعية تنسجم واهتماماتي بمحاربة الفساد... وأن تجديد دم المجلس النيابي... من شأنه أن يوطد مختلف كلياً عما هو قائم حالياً، وبعدما أصبح عون رئيساً وتياره وحلفاؤه يملكان أكثرية في الحكومة. وسرعان ما تبيّن أن هذا التوازن المنشود يسعى لأن يستعيد، إلى حد كبير، من خلال الممارسات والطقوس والتحالفات والشعارات، معظم ما كان قائماً قبل اندلاع الحرب الأهلية الكبرى (1975-1990).

حظيت الانتخابات النيابية بموقع أساسي في هذا المسار. أولاً من خلال الاعتراض على التمديد الذي حال، بسبب ما أفرزته انتخابات عام 2009 من توازنات، من دون انتخاب عون رئيساً للجمهورية، لمصلحة من لا صفة تمثيلية له واستبعاد «المرشح الطبيعي الوحيد» و«القوي» في بيئته وتمثيله. ولقد تطلب أمر كسر هذه المعادلة (بعد تأخير استمر سنتين) كسر هذه المعادلة (بعد تأخير استمر سنتين) إحداث انقلابات سياسية على غرار الصفقة مع رئيس تيار «المستقبل» الذي كان يبحث بدوره عن وسيلة، ولو غير مألوفة، للعودة إلى رئاسة الحكومة. «وافق شنّ طبقة»، ووُلدت الصفقة التي حملت إلى سدة الرئاسة الأولى الرئيس «القوي»، وإلى سدة الرئاسة الثالثة الرئيس «الأصيل» بعد الرئيس الوكيل تمام سلام.

في مجرى ذلك، كرّر العونيون مراراً أن مجلس العهد ليس المجلس النيابي الحالي، والحكومة الراهنة ليست حكومته. وكان لا بد من تغيّر قانون الانتخاب. وأدى مخاض طويل ومُملّ ومبتذل وفئوي إلى إقرار القانون الحالي النسبي المشوّه المطعّم بـ«الأرثوذكسي» الذي كان مؤيداً من التيار العوني والذي سيؤدي إلى دفع التطبيع إلى مداه الأقصى بجعل كل طائفة تنتخب نوابها (روى السيد حسن نصر الله في خطابه الأخير الموجه إلى جمهور كسروان - جبيل جزءاً من الحوار بشأن «الشراكة» واستعادة الحقوق مع ممثلي «التيار الحر»)... الانتخابات النيابية، بالنسبة إلى العونيين، إذاً، محطة ثانية أساسية في «استعادة الحقوق» وتغيير التوازنات. وقد جاهر رئيس التيار بذلك مراراً. وهو، في اجتماع أخير لقيادة حزبه، تباهى بتحقيق مكاسب لفريقه ينبغي تعزيزها عبر الانتخابات وما بعدها («مكملين وما في شي بيوقفنا»). ذلك يتطلب تقوية التفويض الشعبي الذي أصبح هدفاً يهون من أجل حبه كل شيء: خلط الأوراق، التشكيك بالتحالفات القديمة، فتح مشاكل في الداخل والخارج باسم وزارة الخارجية وسواها، مع خصوم ومتضررين ومنهم، بالدرجة الأولى، رئيس حركة «أمل» ورئيس مجلس النواب نبيه بري ورئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط... واقتضى تكبير الكتلة العونية، أيضاً، التخلي عن مرشحين ونوّاب وناشطين في التيار نفسه لمصلحة مرشحين متمولين وأصحاب حيثية انتخابية، وخصوصاً في كل من كسروان وجبيل والمتن... أي في قلب المراكز المارونية والمسيحية الرئيسية. كذلك أكد التيار تحالفه الرئيسي مع «المستقبل» لتعزيز «الشراكة» المذكورة آنفاً والتي تتخذ، في ظرف جديد، صيغة «الثنائية» الطائفية التي كانت قائمة قبل عام 1975 بأرجحية كاسحة للنفوذ الماروني على حساب النفوذ السني. ويلاحظ هنا أن ما حظي به الرئيس سعد الحريري من تأييد من قبل «الطبخة المالية» بمؤسساتها وأشخاصها، يلتقي تماماً مع شريكه في «الثنائية» الجديدة لجهة ازدياد نفوذ وحضور ممثلي هذه الطبخة في مواقع القرار، وأحياناً بشكل مباشر كما حصل بالنسبة إلى المرشح على لائحة «التيار الوطني» نقولا شماس وسواه في المتن وزحلة وبعلبك والهرمل...

بالتطابق في التعويل على انبثاق «مجلس نواب العهد»، بعد الانتخابات، أشار الرئيس عون في رسالته إلى الرئيس الفرنسي بعد مؤتمر «سيدر»، في 19 الجاري، إلى أن «نهوض لبنان لن يتم إلا بإصلاحات اقتصادية ومالية واجتماعية تنسجم واهتماماتي بمحاربة الفساد... وأن تجديد دم المجلس النيابي... من شأنه أن يوطد مختلف كلياً عما هو قائم حالياً، وبعدما أصبح عون رئيساً وتياره وحلفاؤه يملكان أكثرية في الحكومة. وسرعان ما تبيّن أن هذا التوازن المنشود يسعى لأن يستعيد، إلى حد كبير، من خلال الممارسات والطقوس والتحالفات والشعارات، معظم ما كان قائماً قبل اندلاع الحرب الأهلية الكبرى (1975-1990).

حظيت الانتخابات النيابية بموقع أساسي في هذا المسار. أولاً من خلال الاعتراض على التمديد الذي حال، بسبب ما أفرزته انتخابات عام 2009 من توازنات، من دون انتخاب عون رئيساً للجمهورية، لمصلحة من لا صفة تمثيلية له واستبعاد «المرشح الطبيعي الوحيد» و«القوي» في بيئته وتمثيله. ولقد تطلب أمر كسر هذه المعادلة (بعد تأخير استمر سنتين) إحداث انقلابات سياسية على غرار الصفقة مع رئيس تيار «المستقبل» الذي كان يبحث بدوره عن وسيلة، ولو غير مألوفة، للعودة إلى رئاسة الحكومة. «وافق شنّ طبقة»، ووُلدت الصفقة التي حملت إلى سدة الرئاسة الأولى الرئيس «القوي»، وإلى سدة الرئاسة الثالثة الرئيس «الأصيل» بعد الرئيس الوكيل تمام سلام.

في مجرى ذلك، كرّر العونيون مراراً أن مجلس العهد ليس المجلس النيابي الحالي، والحكومة الراهنة ليست حكومته. وكان لا بد من تغيّر قانون الانتخاب. وأدى مخاض طويل ومُملّ ومبتذل وفئوي إلى إقرار القانون الحالي النسبي المشوّه المطعّم بـ«الأرثوذكسي» الذي كان مؤيداً من التيار العوني والذي سيؤدي إلى دفع التطبيع إلى مداه الأقصى بجعل كل طائفة تنتخب نوابها (روى السيد حسن نصر الله في خطابه الأخير الموجه إلى جمهور كسروان - جبيل جزءاً من الحوار بشأن «الشراكة» واستعادة الحقوق مع ممثلي «التيار الحر»)... الانتخابات النيابية، بالنسبة إلى العونيين، إذاً، محطة ثانية أساسية في «استعادة الحقوق» وتغيير التوازنات. وقد جاهر رئيس التيار بذلك مراراً. وهو، في اجتماع أخير لقيادة حزبه، تباهى بتحقيق مكاسب لفريقه ينبغي تعزيزها عبر الانتخابات وما بعدها («مكملين وما في شي بيوقفنا»). ذلك يتطلب تقوية التفويض الشعبي الذي أصبح هدفاً يهون من أجل حبه كل شيء: خلط الأوراق، التشكيك بالتحالفات القديمة، فتح مشاكل في الداخل والخارج باسم وزارة الخارجية وسواها، مع خصوم ومتضررين ومنهم، بالدرجة الأولى، رئيس حركة «أمل» ورئيس مجلس النواب نبيه بري ورئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط... واقتضى تكبير الكتلة العونية، أيضاً، التخلي عن مرشحين ونوّاب وناشطين في التيار نفسه لمصلحة مرشحين متمولين وأصحاب حيثية انتخابية، وخصوصاً في كل من كسروان وجبيل والمتن... أي في قلب المراكز المارونية والمسيحية الرئيسية. كذلك أكد التيار تحالفه الرئيسي مع «المستقبل» لتعزيز «الشراكة» المذكورة آنفاً والتي تتخذ، في ظرف جديد، صيغة «الثنائية» الطائفية التي كانت قائمة قبل عام 1975 بأرجحية كاسحة للنفوذ الماروني على حساب النفوذ السني. ويلاحظ هنا أن ما حظي به الرئيس سعد الحريري من تأييد من قبل «الطبخة المالية» بمؤسساتها وأشخاصها، يلتقي تماماً مع شريكه في «الثنائية» الجديدة لجهة ازدياد نفوذ وحضور ممثلي هذه الطبخة في مواقع القرار، وأحياناً بشكل مباشر كما حصل بالنسبة إلى المرشح على لائحة «التيار الوطني» نقولا شماس وسواه في المتن وزحلة وبعلبك والهرمل...

* كاتب وسياسي لبناني

الأقربون أولى بالتحذير!

سعد الله مزرعاني *

كان لافتاً أن تتضمن كلمة فخامة رئيس الجمهورية العماد ميشال عون بمناسبة قرب موعد الانتخابات النيابية فكرة محورية (تقريباً) هي التحذير من اعتماد التعبئة الطائفية والمذهبية في هذا الاستحقاق الذي تأخر عن موعده الدستوري خمس سنوات بالتمام والكمال. ذلك لافت لأن «التيار الوطني الحر» في مرحلة تولّي زعيمه ومؤسّسه رئاسة الجمهورية، وقبل وبعد، ثابر في شعاراته ونشاطه، على أولوية ذات مضمون طائفي هي إستعادة «حقوق المسيحيين»، متجاهلاً أولويات أُخرى، أكثر أهمية، كاحترام إصلاحات الدستور وإصلاح الاقتصاد ووقف الهدر والفساد وتعزيز التعليم الرسمي. وهو صاغ استراتيجية وتكتيكاً متكاملين لهذا الغرض. وهذان لم يستثنيا أي عنوان أو أسلوب أو تحالف: بدءاً من «تفاهم مار مخايل» في شباط 2006 مع «حزب الله»، مروراً بوصل ما انقطع مع «المحتل» السوري (وزيارة العماد عون لسوريا كـ«بطرك» لمسيحيي الشرق)، وصولاً إلى إبرام «شراكة» مع تيار «المستقبل» باتت، بسرعة، هي الأثبت والأرسخ (وستبقى كذلك على الأرجح) في المرحلة المقبلة. طبعاً في مجرى ذلك، اعتمدت سياسات وعلاقات وممارسات تعزز هذا السياق، في الحقول كافة، وفي داخل لبنان وخارجه على حدٍ سواء. ولقد ارتبط رفع شعار استعادة «حقوق المسيحيين» بالسعي لإحلال ممثلي التيار العوني، دون سواهم، في المواقع السياسية والإدارية في السلطة، بدءاً، طبعاً، من رئاسة الجمهورية نفسها حيث أصبح زعيم التيار رئيساً للجمهورية قبل حوالى سنة ونصف سنة تقريباً.

لم يكن بلوغ عون سدة الرئاسة الأولى نهاية المسار المذكور، بل محطة أساسية فيه. بعد ذلك، استمر العمل بمناخ التعبئة الطائفية نفسه لتحقيق مزيد من المكاسب على طريق الهدف العام وهو بناء توازن جديد، في البلاد والسلطة، مختلف كلياً عما هو قائم حالياً، وبعدما أصبح عون رئيساً وتياره وحلفاؤه يملكان أكثرية في الحكومة. وسرعان ما تبيّن أن هذا التوازن المنشود يسعى لأن يستعيد، إلى حد كبير، من خلال الممارسات والطقوس والتحالفات والشعارات، معظم ما كان قائماً قبل اندلاع الحرب الأهلية الكبرى (1975-1990).

حظيت الانتخابات النيابية بموقع أساسي في هذا المسار. أولاً من خلال الاعتراض على التمديد الذي حال، بسبب ما أفرزته انتخابات عام 2009 من توازنات، من دون انتخاب عون رئيساً للجمهورية، لمصلحة من لا صفة تمثيلية له واستبعاد «المرشح الطبيعي الوحيد» و«القوي» في بيئته وتمثيله. ولقد تطلب أمر كسر هذه المعادلة (بعد تأخير استمر سنتين) إحداث انقلابات سياسية على غرار الصفقة مع رئيس تيار «المستقبل» الذي كان يبحث بدوره عن وسيلة، ولو غير مألوفة، للعودة إلى رئاسة الحكومة. «وافق شنّ طبقة»، ووُلدت الصفقة التي حملت إلى سدة الرئاسة الأولى الرئيس «القوي»، وإلى سدة الرئاسة الثالثة الرئيس «الأصيل» بعد الرئيس الوكيل تمام سلام.

في مجرى ذلك، كرّر العونيون مراراً أن مجلس العهد ليس المجلس النيابي الحالي، والحكومة الراهنة ليست حكومته. وكان لا بد من تغيّر قانون الانتخاب. وأدى مخاض طويل ومُملّ ومبتذل وفئوي إلى إقرار القانون الحالي النسبي المشوّه المطعّم بـ«الأرثوذكسي» الذي كان مؤيداً من التيار العوني والذي سيؤدي إلى دفع التطبيع إلى مداه الأقصى بجعل كل طائفة تنتخب نوابها (روى السيد حسن نصر الله في خطابه الأخير الموجه إلى جمهور كسروان - جبيل جزءاً من الحوار بشأن «الشراكة» واستعادة الحقوق مع ممثلي «التيار الحر»)... الانتخابات النيابية، بالنسبة إلى العونيين، إذاً، محطة ثانية أساسية في «استعادة الحقوق» وتغيير التوازنات. وقد جاهر رئيس التيار بذلك مراراً. وهو، في اجتماع أخير لقيادة حزبه، تباهى بتحقيق مكاسب لفريقه ينبغي تعزيزها عبر الانتخابات وما بعدها («مكملين وما في شي بيوقفنا»). ذلك يتطلب تقوية

العراق | انتخابات 2018

في 12 أيار المقبل، يشهد العراق رابع دورة انتخابية بعد الاحتلال الاميركي في 2003. حديثٌ يبدأ بشكل التحالفات وبرامج المرشحين، ولا ينتهي بالسؤال عن شخص رئيس الوزراء المقبل. سؤال تتضاعف أهميته اليوم بالنظر إلى أن «حزب الدعوة الإسلامية»، الذي أمسك برئاسة الحكومة منذ 2005، يشهد شرخاً كبيراً بين قياداته التي تخوض الغمار الانتخابي بلائحتين متنافستين. نوري المالكي وحيدر العبادي ومن معهما، يريدان البقاء في الحكم، كلٌّ على طريقته، ومن منظوره. ووفق حساباته. التنافس الحاصل يشي بإمكانية خروج الحزب من الحكم، وينذر ـ في الوقت عينه ـ بصعوبة إنعاشه مجدّداً. الطرفان يتبادلان تهم الفساد والعجز عن بناء دولة تحاكي تطلعات العراقيين. المالكي يرى خَلَفه مُشرِّعاً لعودة الأميركي، ومتحمّساً على الانفتاح السعودي، أما العبادي فيحاول وفق ما يقول المقربون منه إصلاح ما تركه سلفه، آملاً بولايةٍ جديدة يثبّت نفسه من خلالها قادراً على إدارة البلاد. وما بين الطرفين، والتنافس الذي بلغ حدّ التناحر، يبدو أن انتخابات 2018 ستكون مفصليةً لـ«الإسلاميين» عموماً، و«الدعوة» خصوصاً

(الأخبار)

صراع العبادي ـ المالكي: آخر أيام «الدعوة» في الحكم؟

نور أيوب

لم يتصوّر قادة «حزب الدعوة الإسلامية» أن يعودوا يوماً إلى العراق، كان ذلك حلماً بارداً يُسكِّن لهيب المنافي. محمد باقر الصدر، رمز الحزب الذي تأسس مطلع الستينيات، قُتل على يد الرئيس الأسبق صدام حسين. حادثةٌ دقّت ناقوس الخطر، وأطلقت الإنذار بضرورة الخروج من البلاد، فتوزّع بعض القادة الشباب ما بين إيران وسوريا ولبنان (هؤلاء باتوا يسمّون لاحقاً بـ«الجناح الشرقي»)، فيما توجّه آخرون إلى أوروبا عموماً وبريطانيا والدول الاسكندنافية خصوصاً (عُرِفوا باسم «الجناح الغربي»).

أكثر من عشرين عاماً و«الدعويون» في المنفى، إلى أن جاء الاحتلال الأميركي، وسقط نظام صدام حسين في نيسان 2003. بسرعة عاد المحسوبون على «الجناح الشرقي» متخذين من البر مسلكاً للعودة، أما أولئك «الغربيون» فتمهّلوا قليلاً في العودة بعد طول فراق. عامان فقط سيصعد عقبهما نجم «الدعوة» ليتسيّد المشهد السياسي في بلاد الرافدين، منذ 2005 حتى اليوم.

13 عاماً من الحكم لم يفلح فيها «الدعوة» في تطوير بنيته الداخلية، أو هيكله التنظيمي، الذي بات «مترهّلاً» بوصف البعض. فالحزب تطغى عليه الصبغة النخبوية، البعيدة عن الجمهور، والعاجزة عن إنتاج طبقة جديدة من القادة الشباب. كما أن الأسس التي بُني عليها التنظيم في ستينيات القرن الماضي لا تزال قائمة إلى اليوم، ولم يطرأ عليها أي تعديل جوهري، فيما أظهر «الدعويون الكبار» تمسّكهم بمواقعهم، مقصين القادة الشباب، ليمنعوا بذلك ضخّ دم جديد، يسمح لـ«الدعوة» بالعودة شاباً.

إبراهيم الجعفري، أول رئيس حكومة «دعوي»، حكم عاماً واحداً. وخَلَفه نوري المالكي في أيار 2006 بطريقة دراماتيكية، بعد صراع أميركي ـ إيراني على شخص رئيس الوزراء إثر انتخابات 2006. ولايةٌ أولى، تبعتها ثانية، والمالكي لا يزال في الحكم ساعياً للثالثة، قبل أن تتبدد آماله لأسباب عديدة. وبطريقة دراماتيكية أيضاً، خرج المالكي وجاء العبادي، وبدأ الشرخ بالظهور في صفوف «الدعوة» طوال السنوات الماضية (2014 ـ 2018)، كان أطول الأحزاب العراقية عمراً يعيش حالة تشظٍّ وتصدّع، بل يذهب البعض إلى القول إن «الدعوة في موتٍ سريري...». وما من إنعاش يستطيع إحياءه»؛ فجناحا المالكي (الشرقي) والعبادي (الغربي) في تنافس/ صراع مستمر، وسط خطاب اتهامي بسقف عالٍ، وكل ذلك من شأنه بحسب مراقبين «تقريب موت الحزب»، لولا «الإسعافات» الإقليمية التي حرصت على بقاء «الدعوة» واحداً موحّداً، خصوصاً أن موجة الانقسام الأخيرة تزامنت مع انشقاق شخصيات كبيرة عن أحزابها الإسلامية، واتجاهها لتأسيس مكوّنات جديدة.

لقاء المالكي ـ العبادي

اليوم، يُسجّل فشل «الدعوة» في

> انتدب المالكي والعبادي شخصين لتحقيق تفاهم ورؤية مشتركة

خوض أهم استحقاق سياسي منذ 2003 موحّداً، إذ تزعّم المالكي «ائتلاف دولة القانون»، فيما رأس العبادي «ائتلاف النصر». حربُ حامية الوطيس بين الرجلين، تذكّيها «حاشيتهما» الساعية إلى الاستفادة من الشرخ الحاصل. يأمل العبادي بولاية ثانية، في حين يطمح المالكي إلى أن يكون «صانعاً» لرئيس الوزراء. ولأن العراق ساحة «اشتباك»، فعلى الراغب في أن يكون رئيساً للوزراء أن يحظى بدعم إقليمي ـ دولي من جهة، وينال تأييد الكتلة البرلمانية الأكبر من جهة أخرى. تشتّت «الدعويين» فرض عليهم البحث عن حلّ لمشكلة قد تخرجهم من الحكم.

تتخوّف قيادة «الدعوة» من إمكان خروج رئاسة الوزراء منها (من الويب)

تقول مصادر متابعة، في حديثها إلى «الأخبار»، إن قيادة «الدعوة» تنبّهت إلى ذلك قبل أسابيع خلت، حيث شعرت بالقلق من إمكانية خروج رئاسة الوزراء من يدها، وبدأت حراكاً داخلياً تطوّر لاحقاً إلى حراك إقليمي بين طهران وبيروت، للملمة الشتات الحاصل. أول الاجتماعات بدأ بين المالكي والقياديَّين عبد الحليم الزهيري وطارق نجم في العاصمة بغداد، وانتهت إلى اتفاق على ضرورة رأب الصدع بعد الانتخابات بهدف تشكيل الكتلة البرلمانية الأكبر. بعد ذلك، بدأ حراك إقليمي من طهران إلى بيروت سمع خلاله «الدعويون» وجهة نظر واحدة، مفادها أنه «إذا أراد حزب الدعوة البقاء في الحكم... فعليه رأب صدعه وتوحيد جناحيه، وإلا خرجت رئاسة الوزراء من يده». نصيحة ثقيلة وواقعية في الوقت عينه، خصوصاً أن مؤشرات عديدة تشي بأن أطرافاً عديدة تطمح إلى تسلّم المنصب لامتلاكها أوراق قوة وغطاءً إقليمياً. عاد «الدعويون» إلى بغداد، وسارعوا إلى لقاء قياديَّي الجناحَين المتنافسين. أفضت اللقاءات إلى ضرورة عقد اجتماع بين المالكي والعبادي، فهما الوحيدان القادران على حسم خلافاتهما.

نهاية آذار الماضي، التقى الرجلان. زار المالكي خَلَفه. كان لقاءً إيجابياً، بتعبير مصادر «الأخبار»، إذ اتفقا على ضرورة الوحدة مجدّداً، حتى لا تخرج رئاسة الوزراء منهم، ويتحولا إلى «أسماء حكمت البلاد وكانت سبباً في فشلها»، تقول المصادر. وأفضى اللقاء، أيضاً، إلى ضرورة تشكيل لجنة مشتركة لتقريب وجهات النظر، ومحاولة البحث عن حلول لرأب الصدع. انتدب الرجلان شخصين عنهما، وأوعزا إليهما بالالتقاء لتحقيق تفاهم. لكن المصادر نفسها تؤكد أن المندوبَين لم يجتمعا حتى الآن، في ظل ارتفاع سقف الخطاب الانتخابي، وموقف «الحاشية» السلبي، الذي كان من جملة الأسباب المانعة للتقارب.

بقاء أم رحيل؟

ثلاثة أشخاص قادرون على لملمة الصف «الدعوي»: علي العلاق وعبد الحليم الزهيري وطارق نجم. تاريخهم يؤكد تأثيرهم في سياق ديناميات الحزب. «فلا يمكن أن تتحقّق الوحدة إلا من خلالهم» تقول مصادر «الأخبار». لكن، ثمّة ما يشي بأن سيناريو آخر، مرتبطاً بفشل العودة إلى «السقف الواحد»، يلوح في الأفق. في العراق اليوم حديث عن أن «الدعوة» يعيش آخر أيامه في الحكم، وأن الانتخابات المقبلة ستثبت أن الشارع تبدّل مزاجه، وأنه قد يمنح الفرصة لآخرين، في ظل تساؤلات حول موقف المرجعية الذي لا يمكن تجاهل أهميته وتأثيره على خيارات الناخب. وعليه، باتت فرص البقاء والرحيل متساوية، «إن لم نقل صعبة»، بحسب ما يقول مصدر سياسي رفيع.

طارق نجم
الخيار الوسط؟

طارق نجم العبد الله، الاسم المطروح دائماً كخيار لرئاسة الوزراء. شغَل منصب مدير لمكتب رئيس الوزراء لأكثر من مرة (في حكومتَي المالكي)، لاعِباً أدواراً محورية في تقريب وجهات النظر بين المالكي وأخصامه السياسيين. يُعدّ «الدكتور طارق» أبرز قيادات «الدعوة»، وأكثرهم إطلاعاً على تفاصيل اللعبة السياسية، ومحطّ أنظار المتابعين للملف العراقي (داخلياً وإقليمياً). كل ذلك، لم يمثّل للرجل الستيني دافعاً للخروج إلى دائرة الضوء، ففضّل الابتعاد والبقاء دائماً في الظل. يشكّل نجم، مع الزهيري، وفق «الدعويين»، جبهةً لتقريب وجهات النظر بين الجناحَين المتنافسين. لكن، ولأن «السلطة دائماً ما كانت مغرية»، بوصف المطلعين على كواليس «الدعوة»، انتقل الثنائي إلى صف العبادي، مع تقلّده منصب رئاسة الوزراء صيف 2014. قبل طرح اسم العبادي حينها، سرى في الأوساط السياسية نقاشٌ حول إمكان أن يَخلف نجم المالكي. إلا أن «الدكتور طارق» رفض ذلك، وسافر متنقّلاً بين إيران وسوريا، فكان من المحسوبين على «الجناح الشرقي». ومع سقوط النظام السابق في نيسان 2003، عاد إلى بلاده بعد طول لجوء. عمل الزهيري مستشاراً لرئيس الوزراء منذ عام 2005 حتى اليوم. ومع تسلّم المالكي سدة الحكم، ردّ للزهيري جميل تزكيته رئيساً للحكومة، مانِحاً إيّاه منصب لواء، ركن متقاعد بمفعول رجعي (وما يتبع ذلك من راتب وغيره)، ومكرِّساً حضوره في قلب العملية السياسية.

عبد الحليم الزهيري
«ثعلب الدعوة»

عبد الحليم الزهيري، أبرز قادة «حزب الدعوة» وأقدمهم، وأكثرهم إثارةً للجدل. يطلق عليه ساسة العراق لقب «الثعلب» لـ«بصمته الخفية» في الكثير من المحطات والمفاصل الأساسية. بعضهم يرى فيه «صانِعاً للملوك» ومصلِحاً بين أجنحة «الدعوة» المتناحرة، فيما يعتبره آخرون «صانِعاً للمشاكل» ومستفيداً منها، ما يجعله «قطب رحى» العملية السياسية (داخلياً على صعيد «الدعوة»، وخارجها أيضاً). إلا أن المنقسمين تجاهه يشهدون بـ«ذكائه الحاد»، فيذهب أحدهم إلى القول إنه «لو استغل الزهيري ذكاءه لإصلاح الشرخ بين القوى السياسية لنجح»، متأسفاً لكون «هدف الدعوي العريق إحداث المزيد من الخلافات، حفاظاً على موقعه بين الكبار»، في حين يصفه بعض المقربين من العبادي بـ«الزين» (الجيّد). على منظوره الخاص، ابن الحوزة العلمية، وتلميذ الأب الروحي لـ«الدعوة» محمد باقر الصدر، غادر العراق عام 1980، متنقّلاً بين إيران وسوريا، فكان من المحسوبين على «الجناح الشرقي». ومع سقوط النظام السابق في نيسان 2003، عاد إلى بلاده بعد طول لجوء. عمل الزهيري مستشاراً لرئيس الوزراء منذ عام 2005 حتى اليوم. ومع تسلّم المالكي سدة الحكم، ردّ للزهيري جميل تزكيته رئيساً للحكومة، مانِحاً إيّاه منصب لواء، ركن متقاعد بمفعول رجعي (وما يتبع ذلك من راتب وغيره)، ومكرِّساً حضوره في قلب العملية السياسية.

علي العلاق
«ثقة» العبادي

يُعدُّ النائب علي حسين رضا العلاق، المهندس المعمّم، من أبرز قادة «الدعوة»، و«ثقة» رئيس الوزراء حيدر العبادي. ابن الستين عاماً، مرشح للدورة الثالثة ـ على التوالي ـ للانتخابات النيابية عن محافظة بابل (جنوب بغداد)، مترئّساً قائمة «النصر» هناك، بالتسلسل رقم 1. في الدورة الماضية (2014)، خاض الغمار الانتخابي ضمن قائمة «دولة القانون» (بزعامة نوري المالكي)، في بابل أيضاً، واختلف مع النائبة حنان الفتلاوي على التسلسل 1. شكّلت تلك الدورة تحوّلاً كبيراً في حياته السياسية؛ إذ سطع نجمه مع ترؤس العبادي الحكومة خلفاً للمالكي، فانتقل إلى صدارة المشهد، وبات مدافعاً شرساً عن الأول، ومنتقداً «هادئاً» لسياسة الأخير «الإقصائية»، بوصف عارفيه. يضيف هؤلاء، في حديثهم إلى «الأخبار»، أن الرجل الحامل للجنسية الدنماركية هو أحد عرّابي وصول العبادي إلى رئاسة الوزراء، الأمر الذي منحه «يداً طولى» في الحكومة الاتحادية؛ فهو «الباب العالي»، والمفاوض مع الأحزاب والمكونات العراقية المختلفة، إضافة إلى الأطراف الكردية (بعد أزمة الاستفتاء، أيلول 2017). كذلك، يُعتبر العلّاق قناة اتصال «موثوقة» بين العبادي والقوى الإقليمية المؤثرة في الملف العراقي، ما يجعل منه محطّ أنظار، خصوصاً في المعركة المرتقبة على هوية رئيس الوزراء المقبل، وما يليها من معركة تشكيل الحكومة، وتوزيع حقائبها بين المكوّنات السياسية.

برامج «الجناحَين»: وعودٌ برسم التنفيذ

بغداد ـ سعد الحمود

لم ينتظر كُلّ من رئيس الوزراء حيدر العبادي، والنائب الأوّل لرئيس الجمهورية نوري المالكي، الموعد «الرسمي» لإطلاق حملاتهما الانتخابية (14 نيسان الجاري)؛ إذ سارع جناحا «الدعوة» المتنافسان إلى «النزول إلى الأرض»، ترويجاً لبرامجهما السياسية، و«الاستماع» إلى مطالب المواطنين.

فـ«تحالف النصر» بزعامة العبادي، يخوض الغمار الانتخابي في جميع المحافظات، بما فيها «إقليم كردستان»، بينما اقتصر نزال «دولة القانون» الانتخابي، بزعامة المالكي، على «المحافظات العراقية» فقط، أي باستثناء محافظة الأنبار ومحافظات «الإقليم»، وسط توقّعات متضاربة، تشير إلى «ضبابية» المشهد الانتخابي، وعجز استطلاعات الرأي عن حسم توجهات الشارع.

وعلى مدى الأيّام الماضية ـ والمقبلة، سـ/ يتنقّل العبادي بين المحافظات عموماً، بعضها لم يسبق له أن زارها منذ تولّيه رئاسة الحكومة (صيف 2014)، مدلياً بتصريحاتٍ تؤكّد عزمه على مكافحة الفساد وإعادة إعمار البلاد، في مرحلة «ما بعد القضاء على داعش». وإضافةً إلى العنوانين «البرّاقين» لحملته الانتخابية، يشدّد العبادي في خطاباته الجماهيرية، على ضرورة إيجاد فرص عمل للشباب، وحصر السلاح بيد الدولة، مقدّماً نفسه خطيباً واثقاً من إمكانية تحويل «النظريّات الفضفاضة» إلى إجراءات عمليّة، تُثبّته كـ«رجل دولة»، وخيار المرحلة المقبلة.

وفي «سابقةٍ» يسجّلها البعض للعبادي، أمر الأخير ـ قبل انطلاق الحملات الانتخابية (بعكس ما عمل به سلفه المالكي)، بمنع بيع أراضي الدولة وتوزيعها، وذلك بأثر رجعي (مع بداية 2018) حتى إجراء الانتخابات، بعد أن كانت الأراضي توزَّع حِزَمٍ من الدعاية الانتخابية. وفي توضيحه لبعض بنود برنامج «النصر»، أشار المتحدث باسمه حسين العادلي، في حديثه إلى «الأخبار»، إلى أن «العبادي ملتزمٌ تحرير الدولة من

> افتتح «النصر» 270 مكتباً انتخابياً، بعضها محسوب على حلفاء العبادي

نظام المحاصصة العرقية ـ الطائفية ـ الحزبية، حتى استحقاق المواطنة ونظام الخدمة المدنية، وتحقيقاً للعدالة وتكافؤ الفرص»، مشدّداً على أن «ضمان مرجعية الدولة ووحدة فعلها ومؤسساتها، أولاً؛ وحصر الشرعية والسلاح والسيادة لسلطاتها الشرعية، ثانياً؛ وإيقاف ظاهرة التداخل بين مؤسسات الدولة والكيانات السياسية، ثالثاً (بهدف الحدّ من تأثير الأخيرة على استقلال المؤسسات وأدائها الوظيفي) ستكون في أولويات برنامج العبادي في المرحلة المقبلة».

وانطلاقاً من أهمية التواصل مع قواعده الشعبية، افتتح «النصر» 270 مكتباً انتخابياً، في عموم المحافظات، بعضها محسوبٌ على حلفاء العبادي، (بعضهم متهمون ـ في الوقت عينه ـ بقضايا فساد، كرئيس قائمة «النصر» في محافظة نينوى الوزير السابق خالد العبيدي، الذي سبق أن أقاله العبادي نفسه من منصبه في وزارة الدفاع). وإلى جانب العبيدي كرئيس للقائمة في نينوى، يتصدّر علي العلّاق، أبرز قادة «حزب الدعوة» قائمة «النصر» في بابل، فيما تأتي النائبة هدى سجاد على رأس القائمة في محافظة الديوانية، أما القيادي في «الدعوة» عامر الخزاعي، فنال تسلسل رقم («1») في محافظة البصرة.

المالكي وخيار «الاغلبية»

بالرغم من مغادرته للسلطة، قبل سنوات أربع، ومقارنةً بما مرّت بها البلاد خلالها، بقي «ائتلاف دولة القانون»، بزعامة المالكي، محافظاً ومتمسّكاً بـ«مبدأ الأغلبية السياسية»، بوصفه «المخلّص» من التوافقية والمحاصصة الطائفية.

ويحتل المالكي التسلسل الأوّل في قائمته، أما الثاني فكان من نصيب النائبة زينب البصري، ابنة عارف البصري، أحد أبرز قادة «الدعوة». ومن بين المرشحين البارزين في الائتلاف أيضاً، وزيرة الصحة الحالية عديلة حمود، التي لاقى تشريحها اعتراضاتٍ برلمانية، لأنها من أكثر الوزراء المتهمين بـ«الفساد والتقصير»، إذ نجت من الإقالة بعد استجوابها في المجلس النيابي، في نيسان العام الماضي. ومن «حلفاء» المالكي أيضاً، محافظ بغداد عطوان العطواني، ومستشار الأمن الوطني السابق، النائب موفق الربيعي، ونائب رئيس البرلمان السابق قصي سهيل، إضافةً إلى رئيس «حركة البشائر الشبابية» ياسر عبد صخيل، صهره.

ويعرّف المالكي طرحه، بأنه «إصلاحٌ للعملية السياسية في العراق»، لافتاً إلى أنّه «الخلاص من مازق المحاصصات، وتحقيق الإصلاح السياسي والإداري والمالي، وتحقيق الأمن والرفاه والنمو»، على أن يكون ذلك عبر تشكيل حكومة «الأغلبية السياسية». وينصّ برنامجه الانتخابي على السعي إلى تحقيق «الاغلبية» في المجلس النيابي؛ و«تشكيل حكومة قويّة تدعمها كتلة برلمانية قويّة ومتماسكة، تمكّنها من تنفيذ برنامج الإصلاح، للنهوض بالواقع العراقي في مجالاته الأخرى». وبدا لافتاً أيضاً، تأكيد «ضرورة إجراء تعديلات على الدستور العراقي الحالي»، بهدف «تعزيز قوّة الدولة ومؤسساتها، وسدّ الفواقص والثغر في الدستور، واستكمال التشريعات القانونية التي نصّ عليها الدستور».

تقديراتٌ متباينة

بحسب تقديرات المراقبين، ثمّة تباينٌ واضح في توقّع عدد المقاعد، إذ تُشير استطلاعٌ يشير إلى إمكانية نيل «النصر» نحو 89 مقعداً، في وقتٍ سينال فيه «دولة القانون» 21 مقعداً. وفي هذا الإطار، يرى بعض المراقبين أن «دولة القانون» سيحصد 30 مقعداً، إلا أن الخبير السياسي نجم الصَّخاب، لفت، في حديثه إلى «الأخبار»، إلى أن «ائتلاف النصر لن يحصل على أكثر من 30 مقعداً». ويذهب نائب مقرّب من المالكي بتوقّع «مبالغ» في حظوظ ائتلافه، بالقول إننا «سنحصل على 60 مقعداً في الانتخابات المقبلة»، متعثّراً على «الأصوات الميتة» التي ستفاجئ الجميع بانتخابها «دولة القانون»، استناداً إلى الإخفاقات التي أصابت حكومة العبادي، كانخفاض أسعار النفط، وفرض حزمة ضرائب جديدة، واستقطاع نسبة من رواتب الموظفين والمتقاعدين.

في المتحف الوطني العراقي في العاصمة بغداد (أ ف ب)

سوريا

تنشيط خطوط واشنطن ـ أنقرة: «الأطلسي» يغازل تركيا

بدا الاجتماع الوزاري لأعضاء «حلف شمال الأطلسي» محفلاً مناسباً لإعادة الحياة إلى خطط التعاون الأميركي ـ التركي في سوريا، والتي سيمكّن البناء عليها، كسر التفاهم الثلاثي بين أنقرة وموسكو وطهران، بما يتيح بالتكامل مع الخطط الأميركية للشرف السوري، عزل الأخيرتين والضغط على دمشق في آن معاً

يعود الثلاثي الوزاري للدول «الضامنة» في محادثات أستانا، الروسي والتركي والإيراني، إلى اللقاء مجدداً اليوم في موسكو، للإشراف على آخر التطورات في الملف السوري والتحضير لجدول أعمال الجولة المقبلة من المحادثات في العاصمة الكازاخية، المرتقبة في منتصف أيار المقبل. هذا اللقاء يمثّل محطة هامة على مسار التعاون المشترك بين البلدان الثلاثة، بالنظر إلى أن التطورات التي طفت على سطح المشهد السوري منذ اجتماعهم الأخير، ألقت بثقلها على شراكتهم وإنجازاتها. فالاعتداء الذي نفذته واشنطن وحلفاؤها ضد سوريا، لم يغيّر من ميزان الثقل العسكري في الميدان، ولكنّ ما سبقه وتلاه من حراك غربي، يتيح استثماره في خانة التصعيد تجاه موسكو وحليفتها إيران بالدرجة الأولى. وبدت اللهجة «الأطلسية» المُعازِلة لتركيا، مكملاً رئيساً لهذا الجهد الذي ينصبّ لفكّ عرى التفاهم الثلاثي الذي آثمر في أستانا وسوتشي. وبعدما ضغطت الولايات المتحدة الأميركية، ومن يصطفّ خلفها، لإقصاء الحضور المعارض السياسي في مؤتمر سوتشي، يبدو العمل على تحسين العلاقة مع تركيا وإدخال دول إقليمية أخرى إلى المشهد بحضور مباشر مالي او عسكريّ، خطوة اولى لعزل موسكو تدريجاً في الساحة السورية، بما يتكامل بالدرجة الأولى مع الجهد الجاري للضغط على إيران. وجدد الرئيس الأميركي دونالد ترامب التأكيد أن على الدول في المنطقة المحيطة بسوريا «زيادة مساهمتها» في الجهود للقضاء على «داعش».

ومع عودة وزارة الخارجية الأميركية إلى الطاولة، بتعيين الوزير الجديد مارك بومبيو، عادت الخطوط الأميركية ـ التركية حول الشمال السوري إلى العمل مجدداً. وخلال حضور الوزير الأميركي اجتماع «حلف شمال الأطلسي» في بروكسيل أمس، أكد مع نظيره التركي مولود جاويش اوغلو، التزام الطرفين بالتعاون في شأن منبج وبقية مناطق النفوذ الأميركي على الحدود التركية ـ السورية. وعلى منبر «الأطلسي»، أكد جاويش أوغلو أنه مستعد لزيارة واشنطن في أقرب وقت ممكن، لإكمال ما توقف من محادثات، بعد إقالة ريكس تيلرسون. وأشار إلى أنه جرى التأكيد، خلال لقائه بومبيو، على «خريطة الطريق» التي أقرتها مجموعة العمل التركية ـ الأميركية المشتركة، مضيفاً أن تطبيقها «ضمن جدول زمني محدد» وانسحاب «وحدات حماية الشعب» الكردية، سيحول دون تحرك تركي مشابه لما جرى في عفرين، وسيفتح الطريق لتعاون في بقية مناطق الشمال السوري. وعلى رغم القضايا الشائكة الأخرى بين الطرفين، مثل شراء تركيا منظومة الدفاع الجوي الروسية «S 400»، فإن جهد الطرفين يتركز على الملف السوري خلال الفترة المقبلة، بما يعكس أهداف إدارة الرئيس دونالد ترامب الحالية، خصوصاً في ضوء الحضور العسكري الفرنسي هناك.

> **تؤكد موسكو أن «الاعتداء الثلاثي» عطّل مسار «التسوية»**

الخطوات الأميركية ـ الغربية تهدف إلى فتح المجال لإزاحة أنقرة عن تحالفها مع موسكو وطهران، بما يساعد على عزل الأخيرين في الساحة السورية. ويرى الأستاذ في الجامعة الروسية للعلوم الإنسانية، غريغوري كوساتش، في حديث إلى صحيفة «كوميرسانت» الروسية، أن تلك الخطوات هي بمثابة «بالونات اختبار تجريبية، وتفكير في خيارات وتحالفات مختلفة... وهو بالتأكيد مسار غير سارّ لروسيا». ويشرح أن «علاقتنا (روسيا) مع السعودية، والتي لم تلبث أن تنطلق، قد تنهار، وسيكون تحالفنا الهشّ مع تركيا في الشأن السوري قد يتعرّض للخطر... ويمكن أن نبقى وحدنا مع إيران». ويبدو أن هذا التوجه الغربي يفتح مجالاً للمقايضة في الشأن السياسي مع روسيا، إذ انصبّ الخطاب الأميركي ـ الأوروبي عقب الاعتداء الأخير، على ضرورة الإسراع في إعادة تفعيل مسار المحادثات في جنيف، بضغط روسي على الطرف الحكومي السوري. وتم استغلال المؤتمر الأخير في بروكسيل، للتلويح مجدداً بشرط الانتقال السياسي المسبق، على أي تمويل لإعادة الإعمار في سوريا. وأبدت ألمانيا مجدداً استعدادها لتيسير محادثات مع الجانب الروسي في شأن قضايا ساخنة عدة، وذلك بعد اجتماع «المجموعة المصغّرة» (المعنيّة بالشأن السوري) الذي استضافته العاصمة الفرنسية باريس، أول من أمس. وفي المقابل، لم يخرج عن روسيا أي موقف حاسم بعد، تجاه موقفها حيال دفع المحادثات في جنيف، غير أن وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف، كرر أمس خلال مؤتمر صحافي مع نظيره القبرصي نيكوس خريستودوليديس في موسكو، التأكيد على أن الاعتداء الثلاثي الأميركي ـ الفرنسي ـ البريطاني، أدى إلى تعثّر الجهود الميدولة لتطبيق قرارات مجلس الأمن الدولي وبدء محادثات جديّة للوصول إلى «تسوية سياسية».

وبالتوازي مع تلك التطورات، ارتفع زخم العمليات العسكرية في محيط دمشق الجنوبي، مع ضغط الجيش السوري وحلفائه على عدد من المحاور في محيط حي القدم، وبخاصة في منطقتي الجورة والمدانية، بالتوازي مع تواصل الاستهداف المدفعي والجوي لمواقع «داعش» في حيي الحجر الأسود واليرموك. وفي ريف حماة الشمالي، فشل الهجوم الذي أطلقته الفصائل المعارضة في تحقيق أي اختراق لخطوط الجيش الدفاعية، وتوقف في شكل كامل بعد انقضاء أقل من يوم على انطلاقه.

(الأخبار)

أكد جاويش اوغلو لنظيره الاميركي انه مستعد لزيارة واشنطن لإكمال المحادثات (أ ف ب)

فذائف على بلدات القنيطرة

جدّدت الفصائل المسلحة في محافظة القنيطرة استهدافها لمناطق سيطرة الجيش السوري، وأطلقت أمس عدداً من القذائف على محيط بلدة خان أرنبة. وسقطت القذائف على منطقة تل القبع شمال البلدة من دون أن تسبب خسائر في الأرواح. ورد سلاح المدفعية في الجيش على مصادر إطلاق القذائف في قريتي أوفانيا والحرية، شمال غربي خان أرنبة. وجاء الاستهداف أمس بعد قصف مماثل من بلدة جباتا الخشب، قبل أيام، طاول أحياء مدينة البعث ومستشفى الشهيد ممدوح أباظة، وتسبب بإصابة عدد من المدنيين.

(الأخبار)

تقرير

ليبرمان: لتترجم واشنطن التفاهمات... إجراءات ميدانية ضد إيران

يحيى دبوق

تواصل إسرائيل قرع طبول حرب لا تريدها في الساحة السورية، علّ «اللاعبين الكبار» يسمعون، فيبادروا إلى الاستجابة والضغط على أعدائها للانكفاء، بما يحقق المصالح الإسرائيلية. طبول حرب ما زالت تقرع بقوة عبر تصريحات تل أبيب، وإن كانت الكرة الآن في ملعب الجانب الإيراني والدولة السورية، بعد التهديد بالرد على اعتداءات إسرائيل في مطار «تي فور» السوري. الرد الذي بات يشغل بال إسرائيل، التي لم تعد تخفي إرادة إشراك الأميركيين في السياسة العدائية التي تتبعها تجاه سوريا، بصورة مباشرة لا لبس فيها.

وفي الوقت الذي أعلنت فيه إسرائيل أن تقديراتها تشير إلى أنّ الرد الإيراني بات محتوماً، ومن الساحة السورية تحديداً، لتعذّر شنّ الرد من ساحات أخرى وصعوبته، أكدت في الوقت نفسه (القناة العاشرة نقلاً عن مصادر عسكرية) أن الاشتباك الكبير، كما تردد ابتداءً، لن يكون تلقائياً منفلتاً على أي ردٍّ إيراني، بل يرتبط بمستوى الرد ومكانه ونتائجه المباشرة. الأمر الذي عُدّ تراجعاً إسرائيلياً بعد سلسلة تهديدات وصلت إلى الذروة في التشديد على أن الرد على الرد سيشمل إضافة إلى «سحق» الإيرانيين في سوريا، إسقاط النظام السوري والرئيس بشار الأسد.

مع ذلك، انتظار الرد لا يعني من ناحية تل أبيب، أن لا تعمل على استغلال التوتر والتهديدات المتبادلة في الساحة السورية لتحقيق مصالحها. وبحسب التسريبات المنشورة أمس في الإعلام العبري، إحدى أهم المحاولات الإسرائيلية هي محاولة الضغط بمعنى الطلب، من الجانب الروسي ليضغط بدوره على الدولة السورية والإيرانيين ودفعهما إلى الانكفاء، الأمر الذي عُدّ «جهداً ضائعاً»، لكون الروسي لا يستجيب ولا يبدي أي استعداد للاستجابة. الأمر الذي دفع كل التعليقات الإسرائيلية أمس إلى التطلع إلى نتائج زيارة وزير الأمن أفيغدور ليبرمان لواشنطن، لدفع المباشر على أعداء إسرائيل في سوريا، على ما لم يتحقق عبر الصراخ والهجمات، يتحقق عبر الضغط والمبادرة الأميركيين.

> **كان لافتاً «التناغم التهديدي» لوزير الدفاع الاميركي مع ليبرمان**

وإلى جانب تحشيد واشنطن، التي لم يأت منها أي إشارة استجابة إلى الآن، سوى ما يتعلق بجهد استخباري قيل عبر قنوات التلفزة الاميركية (سي ان ان) إنها ترصد عبر الأقمار الاصطناعية والمسيّرات وغيرها من وسائل الجمع الاستخباري، والتأكيد أن الإيرانيين بدأوا قبل أيام إقامة جسر جوي بين طهران ودمشق لنقل أسلحة نوعية ومنظومات دفاع جوي، وأيضاً صواريخ بالستية، أشار إليها أيضاً وزير الدفاع الأميركي جيمس ماتيس، في رد على سؤال عمّا إذا كانت واشنطن تتفق مع الاعتقاد بأن الهدف من إرسال إيران للأسلحة إلى سوريا هو ضرب إسرائيل: «لا أرى حالياً أن هناك هدفاً آخر غير ذلك».

وقال مسؤولون في البيت الأبيض (سي ان ان) إن الولايات المتحدة زادت من جهود المراقبة والتتبع عبر الأقمار الصناعية والطائرات من دون طيار والسفن، لتعقب انتقال الصواريخ الإيرانية إلى سوريا، وسط مخاوف من هجوم محتمل على إسرائيل خلال الأيام القادمة.

وكانت لقاءات ليبرمان في واشنطن، التي شملت إضافة إلى مستشار الأمن القومي الأميركي جون بولتون، وزير الدفاع جيمس ماتيس، قد برز فيها تصريح نسب إليه (ليبرمان) يستشف منه أن تفاهماً قائماً بين الجانبين، لم يرقَ إلى الآن إلى حدّ اتخاذ إجراءات ميدانية بموجبه، لكن الأمل الإسرائيلي قائم على اتخاذها، إذ أعرب ليبرمان (كما يرد في الإعلام العبري) أمام ماتيس عن الأمل بأن «يترجم اجتماعنا الى خطوات ملموسة على الأرض، خاصة أن النظرة الاميركية هي نفسها للوضع في الشرق الأوسط، كما تنظر إليها إسرائيل» في إشارة إلى دور أميركي أكبر في «التصدي» للإيرانيين، الذين يقوضون كما ادعى ليبرمان «الاستقرار في اليمن ولبنان وسوريا والعراق، إضافة إلى طموحاتهم النووية».

وكان لافتاً «التناغم التهديدي» لوزير الدفاع الأميركي مع ليبرمان، الذي وإن جاء تناغمياً، لكنه أكد أن إرادة التدخل لن تكون أميركية مباشرة. ماتيس «تنبأ» أمام الكونغرس، بعد لقائه ليبرمان، بإمكان اندلاع مواجهة بين إسرائيل وإيران، مع ترجيح كبير بأن تكون ساحة هذه المواجهة هي سوريا، لافتاً ومحذراً من أنّ إسرائيل لن ترضى ولن تسكت عن الصواريخ التي تنقلها إيران إلى حزب الله، وهي (إسرائيل) لن تنتظر إلى أن تحلّق هذه الصواريخ في الجو (تضرب إسرائيل)، معرباً عن أمله بأن تنسحب إيران من سوريا، لتحاشي كل ذلك.

«فلتان أمني» في إدلب... و«حظر تجوال» برعاية «النصرة»

لا تُعدّ موجة الاغتيالات التي اجتاحت إدلب في خلال اليومين الأخيرين الأولى من نوعها، لكنّها تبدو لافتة بفعل عوامل عدّة، على رأسها كثافة العمليّات وتوقيتُها. وفُتح الباب أمام تكهّنات كثيرة في ما يخصّ الجهة المسؤولة عن التنفيذ، بين آراء ترجّح وقوف الأجهزة السوريّة خلفها، وأخرى تشير إلى الاستخبارات التركيّة

صهيب عنجريني

دخلت مدينة إدلب «حالة طوارئ رسميّة» أعلنتها «هيئة تحرير الشام» أمس. وأصدرت «غرفة عمليّات إدلب الخير» التابعة لـ«الهيئة» تعميماً قضى بفرض حظر تجوال لمدة ثلاثة أيام، بين الساعة الحادية عشرة ليلاً والرابعة صباحاً. «التعميم» برّر الإجراء بـ«ما يمرّ به الشمال المحرّر من فلتان أمني وموجة اغتيالات». وعلى الرغم من أن محافظة إدلب سبق لها أن شهدت موجات مشابهة في أوقات سابقة، فإنّ كثافة العمليّات الأخيرة تبدو أكبر من كونها مجرّد حالة عابرة بغرض «تصفية حسابات» جرياً على المعتاد. وتجاوز عدد عمليات الاغتيال ومحاولاته حاجز العشرين في خلال أربع وعشرين ساعة فقط، مع الأخذ في الاعتبار أنّ رقعة العمليّات شملت مساحات واسعة من محافظة إدلب، وامتدّت إلى ريف حلب الغربي، مطاولةً أهدافاً من مختلف الانتماءات. وحظي معسكر «جبهة النصرة» وحلفائها بنصيب وافر من ضحايا الاغتيالات، كان من بينهم «قياديّ» في «هيئة تحرير الشام» وآخر في «جيش الأحرار»، علاوة على ثلاثة مقاتلين تركستانيين، و«مسؤول إعلامي»، فيما خسرت «جبهة تحرير سوريا» مقاتلاً واحداً. وشملت القائمة عدداً من المدنيين (صيدلانيَين اثنين، وصرّافاً)، بينما نجا «قائد جيش حلب الشهباء» من محاولة اغتيال في ريف حلب الغربي، وفشلت أخرى في اغتيال «مدير المكتب الإعلامي في جيش العزّة». ولم يتأخّر السعودي عبد

> **أعلن السعودي عبد الله المحيسني انضمامه إلى لائحة «الناجين»**

الله المحيسني عن إعلان انضمامه إلى لائحة «الناجين» بعد استهدافه بـ«عبوة ناسفة زرعت من قبل مجهولين استهدفت سيارته على الطريق العام قرب مدينة سراقب».

موجة الفلتان الواسعة النطاق أثارت سلسلة من التحليلات حول الجهة المسؤولة عن تنفيذها. وذهبت بعض الآراء إلى الحديث عن «خلايا نائمة مرتبطة بالنظام»، فيما أكدت تحليلات أخرى ضلوع الاستخبارات التركيّة، ورأى تيار ثالث أنّ هذه العمليّات «تهدف إلى إعادة تأجيج الفتنة» وإفراغ اتفاق وقف الاقتتال بين «جبهة تحرير سوريا» و«هيئة تحرير الشام» من مضامينه. وكان الطرفان قد اتفقا قبل أيام على «تهدئة» جديدة في أعقاب موجة اقتتال طاحنة انطلقت منتصف شهر شباط الماضي، وشملت ريف حلب الغربي وأرياف إدلب الشرقيّة والشمالية والجنوبيّة. وتمكن الإشارة إلى جملة ملاحظات في موجة الاغتيالات الأخيرة، من بينها وقوع عدد كبير منها في مناطق تضم عناصر من بقايا تنظيم «جند الأقصى». كذلك، يبدو لافتاً أنّ الاستنفار الذي شهدته «جبهة النصرة» في أعقاب الموجة لم يقابله استنفار مماثل في صفوف «جبهة تحرير سوريا». وعلى العكس من ذلك، بادرت الأخيرة إلى إزالة عدد من الحواجز وفتح جميع الطرقات الواقعة تحت سيطرتها تنفيذاً لبنود الاتفاق الأخير مع «تحرير الشام».

ونقلت صحيفة «عنب بلدي» المعارضة عن «مسؤول أمني في تحرير سوريا» أنّ «الهيئة» أصدرت أربعة تعاميم تُنظّم عمليّة «فتح الطرقات» وتُلزم بـ«الوقوف عند كل حاجز وبفتح نوافذ السيارات وتخفيف السرعة قبل الوصول إلى الحواجز وعدم تشغيل الضوء العالي. كذلك حذّرت التعليمات من «وضع اللثام»، وحمّلت «كلّ من يتجاوز التعليمات المسؤولية النتائج المحتملة للتعامل معه».

«مدني» في عفرين

تريد أنقرة الإيحاء بأن الحياة عادت إلى عفرين. بين فترة وأخرى تسمح للمصورين بالدخول إلى المدينة التي هجرها معظم أهلها. قوات «درع الفرات» تدير المنطقة من «ألفها إلى يائها». في الصورة، رجل يبيع السجائر على احد الأرصفة. يبدو أنه وجد غسالة قديمة «نجت» من النهب ليبسط عليها بضاعته. خلفه محلّ مقفل رغم أنّ صاحبه «مدني» كما وصفه تنظيم «جند الاسلام». المشهد مألوف لدى «الدواعش» وأتباع «القاعدة» في تصنيف أصحاب البيوت والمحال بعد كل «غزوة».

(الاخبار ـ الصورة لوكالة الصحافة الفرنسية)

اليمن

صعّدت الولايات المتحدة، عبر سفيرها في اليمن ماثيو تولر، ضغوطها على سلطات صنعاء قبيل إعلان معركة الحديدة، محاولةً ابتزاز «أنصار الله» لوقف الهجمات على السعودية. لكن تلك الضغوط، التي تفسّر اليوم تخصيص الشهيد صالح الصماد السفير تولر بحديثه من داخل الحديدة، لم تفلح في إخضاع الحركة. وهو ما أدى إلى انطلاق المعركة التي لا يبدو أنها تتوافر على حظوظ أكثر من سابقاتها

ضغوط أميركية على صنعاء سبقت اغتيال الصماد
تولر لـ«أنصار الله»: أوقفوا الصواريخ نوقف اجتياح الحديدة

من «مسيرة البنادق» التي شهدتها مدينة الحديدة تلبية لدعوة الرئيس الصماد (أ ف ب)

صنعاء ـ **رشيد الحداد**

بعد عامين على فشل محاولته الأولى، بدأ تحالف العدوان على اليمن، أخيراً، محاولة جديدة للسيطرة على مدينة الحديدة، ولكن هذه المرة بمشاركة أميركية مباشرة، أعقبت موجة تحريض على ميناء الحديدة على خلفية تصاعد الضربات الباليستية اليمنية ضد المملكة. إلا أن الرياض، ومعها أبو ظبي، ومن خلفهما واشنطن، اصطدمت بواقع عسكري وأمني مغاير لحساباتها. واقعٌ تشكّل صواريخ أرض - بحر التي أدخلها الجيش واللجان الشعبية إلى ميدان المواجهة، توازياً مع تهديدات بإمكانية تعطيل حركة الملاحة في البحر الأحمر، معلماً رئيساً من معالمه.

خيبة جديدة

دُشّنت محاولة التقدم الجديدة، خلال الأسبوعين الماضيين، بعمليات انطلقت من محورين: محور جنوبي يشمل ميدي وحرض كُلّفت به القوات السعودية والقوات السودانية بمشاركة قوات محسوبة على الرئيس المستقيل عبد ربه منصور هادي، ومحور غربي يبدأ من المخا والخوخة وحيس والمناطق المحاذية لها كالجراحي وزبيد، أوكل إلى القوات الموالية للإمارات التي يقودها نجل شقيق الرئيس السابق طارق محمد عبد الله صالح. وعلى الرغم من عدم إعلان الولايات المتحدة مشاركتها في تلك العمليات، التي لم تحقّق أكثر من تقدم محدود على جبهة ميدي، إلا أن إسقاط القوات الجوية والدفاع الجوي طائرة أميركية من دون طيار من نوع «MQ

> راهن «التحالف» على إمكانية إيجاد حاضنة شعبية له في الحديدة

9» في 18 نيسان/ أبريل الجاري في سماء محافظة الحديدة، أثبت ضلوع واشنطن في الهجمات الأخيرة. هجمات أُسنِدت بغطاء جوي كثيف، إلا أن منفّذيها اصطدموا بحائط صدّ شكّله مقاتلو «أنصار الله» الذين كبّدوا القوات السعودية والسودانية خسائر بشرية ومادية على المحور الجنوبي. أما على المحور الغربي، شرقي معسكر خالد وجنوبيه في مديرية موزع الواقعة غربيّ المخا، فقد تكبدت القوات الموالية للإمارات خسائر مماثلة، حتى إن بعض الأرقام تفيد بأن قتلى محاولات التقدم في مرتفعات معسكر خالد في الهاملي بلغ 93 جندياً وضابطاً في غضون يومين فقط من إعلان انطلاق المعركة.

حسابات «التحالف»

اعتبارات عديدة تحكم حسابات «التحالف» في ما يتصل بمعركة الحديدة، لعلّ أهمّها ما تعتقد الإمارات، التي أجادت توظيف الخلافات التاريخية في الجنوب لمصلحة توسيع احتلالها، أنه حاضنة شعبية لحزب الرئيس الراحل، علي عبد الله صالح، في الحديدة، بإمكانها استغلالها. ذلك أن هذه المحافظة الساحلية، دائماً ما كانت، طوال الفترات الانتخابية التي مرت على اليمن، من المحافظات المغلقة على منطقة ساحلية، التي بلغت أكثر من 230 غارة على مدينَتي حرض وميدي الحدوديتَين مع نجران السعودية، بإمكانها إخضاع مقاتلي الجيش واللجان، لكن ذلك لم يتحقق للرياض وأبو ظبي، تماماً كما لم يتحقق لواشنطن ما أرادته من وراء تصعيد الضغوط على «أنصار الله». بحسب مصدر في الحركة تحدث إلى «الأخبار»، وصلت رسائل إلى صنعاء، أواخر الشهر الماضي، من قِبَل السفير الأميركي في اليمن، ماثيو تولر، تهدّد باجتياح الحديدة رداً على تصاعد الضربات الصاروخية على المملكة. ووفقاً لما أفاد به المصدر، فإن تولر خاطب سلطات صنعاء بما مضمونه: «أوقفوا استهداف المملكة العربية السعودية بالصواريخ الإيرانية مقابل وقف عملية اجتياح الحديدة»، فما كان من الرئيس الشهيد صالح الصماد إلا أن كرر المعادلة التي سبق أن أرساها: وقف الضربات الجوية على اليمن نهائياً، والتوقف عن إسناد القوات الموالية لـ«التحالف»، مقابل وقف «أنصار الله» استهداف السعودية بالصواريخ الباليستية، قبل أن يؤكد استمرار الهجمات الصاروخية رداً على جرائم العدوان، معلناً أن العام الجاري سيكون «عاماً بالبستياً بامتياز». ولما امتنع «التحالف» عن الردّ على تلك الرسائل لافتقاده قرار الحرب والسلم، توجّه الرئيس الصماد إلى محافظة الحديدة حيث جدّد ردّه على تهديدات تولر، بدعوته إلى «مسيرة البنادق»، ليعقب ذلك اغتياله بثلاث غارات جوية في الـ19 من الشهر الجاري، أثناء خروجه من مبنى جامعة الحديدة.

استعدادات «أنصار الله»

اليوم، لا ترى «أنصار الله» جديداً في معركة الحديدة التي سبق أن أعلنت قبل عامين من قِبَل «التحالف»، قبل أن تتوقف بفعل الخسائر التي تكبّدتها قواته في ميدي والطوال جنوبي الحديدة، بحسب ما يقول مصدر في الحركة. ويشير المصدر إلى أن الجيش واللجان «على أتم الاستعداد لأي هجوم على الحديدة منذ عامين»، مؤكداً أن أي «محاولة لاقتحام الحديدة ستكون عواقبها وخيمة، وتُعدّ بمثابة انتحار للتحالف». إلا أن أصحاب «الرؤوس الحامية» على المقلب السعودي - الإماراتي يلحّون على قيادة «التحالف» للمضي في المعركة، معتقدين أن الحديدة، التي سبق أن حكمها الملك فيصل بن عبد العزيز خلال الحرب اليمنية - السعودية عام 1934 لمدة أربعة أشهر، يمكن بعد مضيّ 3 سنوات من العدوان إخضاعها والسيطرة عليها.

طارق صالح في المخا، وهو ما يؤكد تجذّر القوى المناهضة للعدوان، وعلى رأسها «أنصار الله» و«المؤتمر»، في النسيج المجتمعي للمحافظة.

الخطأ في الحسابات نفسه انسحب على الميدان، حيث اعتقدت قيادة «التحالف» أن الغارات الجوية المكثفة على منطقة ساحلية، التي بلغت أكثر من 230 غارة على مدينَتي حرض وميدي الحدوديتَين مع نجران السعودية، بإمكانها إخضاع مقاتلي الجيش واللجان، لكن ذلك لم يتحقق للرياض وأبو ظبي، تماماً كما لم يتحقق لواشنطن ما أرادته من وراء تصعيد الضغوط على «أنصار الله». بحسب مصدر في الحركة تحدث إلى «الأخبار»، وصلت رسائل إلى صنعاء، أواخر الشهر الماضي، من قِبَل السفير الأميركي في اليمن، ماثيو تولر، تهدّد باجتياح الحديدة رداً على تصاعد الضربات الصاروخية على المملكة. ووفقاً لما أفاد به المصدر، فإن تولر خاطب سلطات صنعاء بما مضمونه: «أوقفوا استهداف المملكة العربية السعودية بالصواريخ الإيرانية مقابل وقف عملية اجتياح الحديدة»، فما كان من الرئيس الشهيد صالح الصماد إلا أن كرر المعادلة التي سبق أن أرساها: وقف الضربات الجوية على اليمن نهائياً، والتوقف عن إسناد القوات الموالية لـ«التحالف»، مقابل وقف «أنصار الله» استهداف السعودية بالصواريخ الباليستية، قبل أن يؤكد استمرار الهجمات الصاروخية رداً على جرائم العدوان، معلناً أن العام الجاري سيكون «عاماً بالبستياً بامتياز». ولما امتنع «التحالف» عن الردّ على تلك الرسائل لافتقاده قرار الحرب والسلم، توجّه الرئيس الصماد إلى محافظة الحديدة حيث جدّد ردّه على تهديدات تولر، بدعوته إلى «مسيرة البنادق»، ليعقب ذلك اغتياله بثلاث غارات جوية في الـ19 من الشهر الجاري، أثناء خروجه من مبنى جامعة الحديدة.

استعدادات «أنصار الله»

اليوم، لا ترى «أنصار الله» جديداً في معركة الحديدة التي سبق أن أعلنت قبل عامين من قِبَل «التحالف»، قبل أن تتوقف بفعل الخسائر التي تكبّدتها قواته في ميدي والطوال جنوبي الحديدة، بحسب ما يقول مصدر في الحركة. ويشير المصدر إلى أن الجيش واللجان «على أتم الاستعداد لأي هجوم على الحديدة منذ عامين»، مؤكداً أن أي «محاولة لاقتحام الحديدة ستكون عواقبها وخيمة، وتُعدّ بمثابة انتحار للتحالف». إلا أن أصحاب «الرؤوس الحامية» على المقلب السعودي - الإماراتي يلحّون على قيادة «التحالف» للمضي في المعركة، معتقدين أن الحديدة، التي سبق أن حكمها الملك فيصل بن عبد العزيز خلال الحرب اليمنية - السعودية عام 1934 لمدة أربعة أشهر، يمكن بعد مضيّ 3 سنوات من العدوان إخضاعها والسيطرة عليها.

واشتعل فتيل الاشتباكات بعدما وجّه المحافظ باعتقال المتورطين في اغتيال حنا لحود، إذ تحوّلت الحملة الأمنية لتعقب القتلى إلى مناسبة لتصفية حسابات قديمة بين الميليشيات المتصارعة، التي دائماً ما تدخل في مواجهات لا تكاد تهدأ حتى تندلع مجدداً. وأتى إقرار الحملة في ظل ضياع دم لحود بين الطرفين المتقاتلَين، وتبادل الاتهامات في شأن المسؤولين عن سفكه، خصوصاً أن ملابسات حادثة اغتيال الموظف اللبناني تحمل أكثر من تفسير. في هذا الإطار، تفيد مصادر في تعز، «الأخبار»، بأن الحادثة وقعت في مكان يخضع لسيطرة «اللواء الخامس ـ حرس رئاسي»، بقيادة ضابط يدعى عدنان رزيق، ويضمّ كذلك نقطتين أمنيتين تابعتَين لـ «الشرطة العسكرية» و «اللواء 17 مشاة»، علماً أن جميع تلك التشكيلات محسوبة على «الإصلاح». لكن في الوقت نفسه، تضيف المصادر، تمّت عملية التصفية أثناء وجود مقاتلين ينتمون إلى «كتائب أبو العباس» في المكان، وهو ما حمل «اللجنة الأمنية» في المحافظة على التوجيه بإلقاء القبض على جميع من كانوا موجودين لحظة وقوع العملية. توجيه أعقبه قيام ميليشيات «أبو العباس» بقطع طريق رئيسة، والتهديد بإشعال مواجهات، فما كان من المحافظ إلا أن رضخ للتهديدات، وأمر بإطلاق سراح الموقوفين، لتتشكّل لاحقاً لجنة تحقيق أفضى عملها إلى ما أفضى إليه من أحداث دموية خلال الأيام القليلة الماضية.

وفقاً للمصادر نفسها، فإن اغتيال لحود، الذي تمّ في منطقة محسوبة بالكامل على «التحالف» والميليشيات التابعة له، كان «عملية منظمة»، خصوصاً أن الجولة الأخيرة للموظف اللبناني تم التنسيق في شأنها مسبقاً مع الجهات المعنية، وهو ما يُستدلّ من خلاله على أن من نفّذ العملية كان على علم بتحركات وفد الصليب الأحمر، ولديه معلومات تفصيلية عن سير الموكب. وترجّح المصادر أن يكون الهدف من وراء العملية إرهاب المنظمات الدولية وإخراجها، في سبيل تسهيل ترتيبات تُعدّ لها دولة الإمارات، المتّهمة بإقامة سجون سرية في اليمن بعيداً من عين الرقابة الدولية، للسيطرة على المنطقة، وطرد «حزب الإصلاح» وحلفائه منها.

(الأخبار)

تقرير

العلاقات الأردنية ـ الإسرائيلية
كأنّ السفير لم يغب

> كان السفير الإسرائيلي لم يكن غائباً، وكان مقعده لم يشغر. من عجائب الدبلوماسية الأردنية أن تستمر العلاقات طبيعية مع دولة كانت «عدواً» وصارت «صديقاً». رغم أن طاقم سفارتها كان غائباً بكامله. وهو معالم يؤثر في طبيعة العلاقة، رغم عودة السفير وعدم استقبال الملك له بعد

عمان ـ **اسماء عواد**

مرّ أكثر من عشرة أيام على وصول السفير الإسرائيلي الجديد أمير فايسبورد إلى الأردن لمباشرة عمله، بعد ما بات يعرف بـ«حادثة السفارة»، وذلك بعدما قدّم أوراق اعتماده إلى الخارجية الأردنية. ولكن حتى اللحظة لم يلتقه الملك عبد الله الثاني وفقاً للبروتوكولات المعمول بها لاعتماد السفراء الجدد في المملكة، علماً بأن إسرائيل حصلت على موافقة مسبقة عند تسميتها سفيرها. مع ذلك، لا شيء يوحي بتأثر العلاقات الأردنية ـ الإسرائيلية قيد أنملة، كما أن فايسبورد سبق له العمل في عمّان بين عامَي 2001 و2004، وهو يعرف البلاد ولغتها جيداً. هكذا، يمكن القول إن مشكلة السفارة محلولة رغم تجاوز البروتوكول، فيما لم يتغيّر أصلاً شيء على حركة المعابر ورحلات الطيران والتبادل التجاري، وحتى النشاطات الثنائية والتنسيق.

إلى جانب العلاقة الرسمية، ثمة جهات أردنية وإسرائيلية تروّج منذ عام 1994 للتسوية، بوصف العلاقة بين الجانبين علاقة «دول صديقة». ورغم الغياب الجماهيري الحاشد عن الفعاليات ضد التطبيع، لم يكن التساوق مع هذا الترويج بالأمر السهل والمقبول، بل بقي يُحاط بشيء من التعتيم. ويتّبع الأردن سياسة كتومة يغلب فيها الجانب الأمني على الإعلامي في القضايا المتعلقة بتل أبيب، وحتى بعملية التسوية، وهذا يظهر مثلاً من لقاء عُقد قبل أيام بين الملك الأردني ووفد من مركز دراسات أميركي مختص بـ«عملية السلام» في الشرق الأوسط. ووفق «وكالة الأنباء الأردنية» (بترا)، هذا المركز مقرّب من صانعي القرار في واشنطن، لكن الوكالة لم تذكر اسم المركز وحتى لم تنقل أي تصريحات على لسان شخوصه.

في سياق متصل، أعلن «معهد وادي عربة للدراسات البيئية»، وهو أحد المعاهد التطبيعية ذات الطابع العلمي التي تروج لعلاقات أردنية ـ فلسطينية ـ إسرائيلية بعيداً عن السياسة، أعلن تنظيم رحلة في الأردن وفلسطين المحتلة والضفة ما بين 23 نيسان و1 أيار 2018، مشيراً إلى أن تكاليف هذه الرحلة بحدود 6000 دولار، وأن الإقامة في فنادق 5 نجوم. أما عن سلامة المسافرين، فيذكر الإعلان أن المعهد ينسق مع أجهزة الأمن الإسرائيلية ويتسلم جميع التنبيهات التي تنشرها إدارة الأمن في الوكالة اليهودية لإسرائيل وشركاتها التابعة، ومنها شركة «تجربة إسرائيل» الشريكة في هذه الرحلة. والأخيرة بالذات تقدم خدماتها إلى المجموعات الأكاديمية التي تقصد فلسطين المحتلة، وتوفر لها ما يلزم للإقامة والتنقل والمرشدين والطبابة، وبالطبع الأمن، إذ ترتبط «تجربة إسرائيل» مباشرة مع قوات الجيش والشرطة وجمعية حماية الطبيعة في إسرائيل وجميع السلطات

> تحظى «زيارات التطبيع» المتبادلة بحماية أردنية وإسرائيلية

والوكالات ذات الصلة. ومن الجدير بالذكر أن أي مجموعات سياحية إسرائيلية تدخل الأردن يجب أن ترافقها حراسة من الشرطة السياحية الأردنية.

ونشر موقع المعهد تفاصيل الرحلة التي تبدأ بوصول المشاركين من مطار الملكة علياء ثم اللقاء بممثل عن العائلة الأردنية المالكة، ويلي ذلك التجوال في العاصمة عمان والتوجه بعدها إلى البحر الميت، ويتخلل ذلك لقاء أردنيين، منهم شخصية نسوية صنّفت من قبل مجلة «فوربس» ضمن قائمة من 50 سيدة أعمال عربية. وتستمر الرحلة بهدوء نحو مدينة البتراء، إحدى أكثر الوجهات التي تثير الاهتمام الإسرائيلي في المملكة. وإلى هنا ينتهي الجزء الأردني من البرنامج في العقبة، حيث يجري استكشاف الحدود والاطلاع على «شركة تطوير العقبة» التي توصف رسمياً بأنها الذراع التطويرية لسلطة منطقة العقبة الاقتصادية الخاصة، المشرفة على الاستثمار والمشاريع المستدامة في الجنوب الأردني. وفي تلك المنطقة المرفأ البحري الوحيد، كما يوجد مطار جوي ومعبر بري مع الأراضي الفلسطينية المحتلة من الغرب، وحدود طويلة مع السعودية في الشرق.

البرنامج يستمر في فلسطين بزيارة القدس المحتلة وبعض القرى (العوجا وصور باهر)، ثم ينتقل إلى الضفة، وبالأخص مدينة روابي حيث سيلتقي الطلاب مع مؤسّسها المليونير الفلسطيني بشار المصري. ويلي ذلك التوجه إلى رام الله حيث سيلتقي الطلاب ممثلين من مستوى رفيع عن السلطة، ثم يكون ختام البرنامج في القدس، والسفر للقادمين من الخارج عبر مطار بن غوريون في تل أبيب.

يشار إلى أن هذا البرنامج السياحي المكثف، الذي يتمتع باهتمام عالي المستوى من الجانبين الأردني والفلسطيني، لا يُحكى عنه كثيراً في الإعلام، رغم أن «معهد وادي عربة»، الذي يقدم برامج مشتركة مع جامعة بن غوريون، هو من أكبر الجهات التي تهتم بالتطبيع، وبعض برامجه تقدّم بالمجان إلى الطلبة الأردنيين والفلسطينيين. وقد يبدو مستغرباً، بالقياس إلى سياق العلاقة بين عمان وتل أبيب، أن تكون هذه الرحلات قائمة في حين أن التسوية أصلاً بين الفلسطينيين والإسرائيليين متوقفة منذ سنوات، وسط تراجع لدور الأردني في القضية الفلسطينية، ومنها ملف القدس، وذلك تحديداً منذ بدأت تتكشف العلاقات السعودية ـ الإسرائيلية.

على الجانب العلني، في هذه الأيام التي تشهد الذكرى السبعين للنكبة الفلسطينية وسط احتفالات إسرائيلية، واستعدادات أميركية لافتتاح السفارة في القدس، يحافظ الأردن على خطابه الدبلوماسي ويجدد رفضه لهذه الخطوة متسلحاً بقرارات مجلس الأمن، ويؤكد في كل مناسبة وتصريح موضوعين: أوّلهما أنه مع حل الدولتين، وأن «القدس الشرقية» عاصمة لفلسطين، وثانيهما موضوع الوصاية الهاشمية على المقدسات الإسلامية والمسيحية. ويبدو أن هاتين النقطتين تكفيان لرفع العتب عن عمان في ما يخصّ فلسطين، ما يعطيها مساحة للالتفات إلى المشكلة الكبرى المتعلقة بتقليص خدمات «وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين» (الأونروا)، وسيناريوات ما بعد توقف عملها، ولا سيما أن أكثر من مليوني فلسطيني في المملكة ستسقط عنهم صفتهم الاعتبارية كلاجئين ونازحين إذا ما أنهت الوكالة خدماتها، وهو ما يشكل عبئاً جديداً على المملكة، بالإضافة إلى الشكوى المستمرة من نقص الدعم للاجئين السوريين.

من جهة أخرى، يبقى التساؤل قائماً عن مستقبل العلاقات الأردنية مع إسرائيل، في ظل أن الأردن يشكل حلقة الوصل الجغرافي مع السعودية، وهل أعطت زيارات مراكز السلام استعداداً لانفتاح أردني أكبر تغلب عليه السمة الاقتصادية بعد مشاريع الغاز المبرمة أخيراً، وربط أنابيبه مع خط الغاز العربي الممتد على طول المملكة من الجنوب حتى الشمال مروراً بالأراضي السورية، عدا التطلعات الإسرائيلية نحو سكة القطار (الخط الحجازي) لتأمين معبر آمن للبضائع من ميناء حيفا حتى شبه الجزيرة العربية، وبالعكس.

عبد الله الثاني يطلع على خطط تنفيذ مشروع ميناء إماراتي في العقبة (الديوان الملكي)

ترقّب يسود تعز: دم لحود ضائع بين ميليشيات «التحالف»

بعد خمسة أيام من مواجهات عنيفة بلغت ذروتها أمس، أعلن عن التوصل إلى هدنة بين السلفيين و«الإصلاحيين» في مدينة تعز. هدنة ليس مضموناً استمرارها في ظل تواصل الحرب الكلامية بين الجانبين، وتحفّز كلّ منهما للدفاع عن مناطق نفوذه، التي تبدو لجنة التحقيق في مقتل حنا لحود عاجزة عن النفاذ إليها

تسود حالة من الترقب أجواء مدينة تعز، جنوب غربي اليمن، عقب التوصل إلى هدنة بين الميليشيات المتقاتلة، لا يُعلم إلى أي مدى زمني يمكن أن تصمد، بالنظر إلى فشل محاولات التوسط السابقة، التي قادها وكيل المحافظة عارف جامل.

وجاء إعلان هذه الهدنة عقب اشتداد الاشتباكات بين عناصر «كتائب أبو العباس» السلفية الموالية للإمارات وبين مقاتلين موالين لحزب «الإصلاح» (إخوان مسلمون)، وبلوغها ذروتها يوم أمس، ما أدى إلى ازدياد عدد القتلى والجرحى في صفوف المدنيين، في ظل استمرار تعطّل الحركة التجارية وسط المدينة.

وأعلن، مساء أمس، عن اتفاق لوقف إطلاق النار، وتسليم المقارّ الحكومية ابتداءً من اليوم السبت. اتفاق تم التوصل إليه خلال اجتماع للجنة التهدئة المشكّلة من قبل المحافظ، أمين محمود، ضمّ قائد ميليشيات «أبو العباس»، عادل عبده فارع، وقيادات عسكرية محسوبة على «الإصلاح». ونصّت وثيقة الاتفاق، كذلك، على تشكيل قوة مشتركة لـ «ضبط العناصر المطلوبة أمنياً»، خصوصاً منها المتورّطة في قتل الموظف اللبناني في اللجنة الدولية للصليب الأحمر، حنا لحود، وانسحاب المقاتلين إلى مواقعهم في الجبهات، وإطلاق سراح المسلحين الذين تم احتجازهم خلال الأحداث الأخيرة.

وانعقد الاجتماع المذكور بعدما احتدمت، أمس، المواجهات بين السلفيين و «الإصلاحيين»، والتي استُخدمت فيها الأسلحة الثقيلة والمتوسطة والخفيفة. وأفادت مصادر محلية من داخل مدينة تعز بأن عمليات القصف والقنص أدت إلى مقتل 3 مدنيين وإصابة 5 آخرين، مشيرة إلى أن «النقاط الأمنية التابعة لكلا

> اغتيل لحود في منطقة محسوبة على ميليشيات «التحالف»

الطرفين مارست عمليات اعتقال واختطاف ضد مدنيين». وترافق اشتداد المواجهات مع اندلاع حرب كلامية شارك فيها كبار قادة الميليشيات المتصارعة. واتهم قائد «كتاب أبو العباس» حزب «الإصلاح» بـ «اختراق الهدنة التي فرضها المحافظ»، مُهدّداً بأن «الصبر لن يطول على مخترقي الهدنة»، في حين هاجم نشطاء «الإصلاح» وخطباؤه محافظ المحافظة، مطالبين إياه بـ «وضع النقاط على الحروف وتسمية الأشياء بمسمياتها». وأطلق قائد ميليشيات «لواء العصبة»، العديني، بدوره، نداءً إلى من سمّاهم «فرقاء النضال الوطني» في تعز، دعاهم فيه إلى «توحيد الكلمة، والابتعاد عن المواجهات»، منبهاً إلى أن «المواجهات المسلحة بين الفرقاء تسببت في إجراح أمام الشرعية والتحالف العربي، وستُصنَّف معها تعز كبؤرة للجماعات الإرهابية». وكانت وساطة قادها، منذ يومين، وكيل المحافظة، فشلت في إيقاف المعارك التي اندلعت مطلع الأسبوع، ودخل على خطها مسلحون من تنظيم «القاعدة».

تخوض ميليشيات «التحالف» بين فترة وأخرى مواجهات لا تكاد تهدأ حتى تتجدد

الحدث

كيم: سنبدأ صفحة جديدة وتتصافح (أ ف ب)

في قرية بانمونغوم الواقعة عند حدود الكوريتين، والتي شهدت عام 1953 توقيع اتفاق الهدنة، التقى رئيسا الدولتين، كيم جونغ اون ومون جاي، في حدث فريد من نوعه في تاريخ شبه الجزيرة الكوريّة، لأنّ الهدف كان إبرام اتفاق لإنهاء سبعة عقود من الحرب بصفة رسميّة

قمة الكوريتين: الجنوب ينتظر «التوقيع» الأميركي

«عند الخط الفاصل يُسطّرُ تاريخٌ جديدٌ من السلام، والرخاء، والعلاقات بين الكوريّتين»، هكذا وصف الرئيس الكوريّ الشماليّ، كيم جونغ أون، اللقاء التاريخيّ الذي جمعه بنظيره الجنوبيّ، مون جاي إن، في قرية بانمونغوم الحدودية منزوعة السلاح. وتبادل الابتسامات والمصافحات، عبْر كيم الخطّ الفاصل بين البلدين، ليصبح بذلك أول رئيس كوري شماليّ تطأ قدماه أرض الجنوب منذ انتهاء الحرب الدموية والشرسة التي بدأت عام 1950، وامتدت لثلاثة أعوام عقبها التوصل إلى اتّفاق لوقف إطلاق النار بين كوريا الشمالية وقوات الخصوم التي تتشكل أساساً من الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية، إضافة إلى مشاركة أكثر من 15 دولة أخرى.

«خطّ ترسيم الحدود العسكريّة ليس مرتفعاً حتى، أعتقد أنه سيختفي في النهاية عندما يعبره كثير من الناس»، هذا ما قاله كيم بعد دعوة نظيره الجنوبيّ للعبور سريعاً إلى الشمال. عقب ذلك، توجّه الرئيسان سيراً على الأقدام إلى «بيت السلام» لبدء الاجتماع، الذي تضمّن جولتين من المحادثات، فصل بينهما غرسُ شجرة تذكارية رمزاً للسلام، ولقاءً ثنائيٌ للرئيسين، بعيداً عن الوفود الرسمية المرافقة التي شملت قيادات أمنيّة وعسكريّة ودبلوماسيّة.

طغت الأجواء الوديّة على القمة التي وصفت محادثاتها بـ «الجادة والصريحة»، ليوقّع في ختامها كيم ومون إعلاناً تضمّن الموافقة على العمل لنزع السلاح النوويّ بالكامل من شبه الجزيرة الكورية، وتحقيق سلام دائم وراسخ فيها، مؤكدين على فتح صفحة جديدة بين الجارتين وتجنّب تكرار أخطاء الماضي.

من جانبه، قال الرئيس الكوريّ الشماليّ: «سنعمل كل ما بوسعنا من أجل إنجاح هذا الاتفاق، ولن نكرر أخطاء الماضي»، مضيفاً أنّه «خلال اللقاء اتفقنا على مجموعة من الأمور، ونعمل على تحقيق ما فيه مصلحة شعبينا... سنبدأ صفحة جديدة ونتصافح ونحقق التنمية المستدامة في بلدينا». الرئيس الكوريّ الجنوبيّ قال بدوره، «أكدنا اليوم (أمس) على هدفنا المشترك المتمثل في إخلاء شبه الجزيرة الكورية من الأسلحة النووية بالكامل، الخطوات التي اتخذتها كوريا الشماليّة في هذا الإطار تحمل معاني مهمة، وهي تشكل بداية لنزع السلاح النوويّ، ومن هذه اللحظة أعلن أننا سنتعاون من أجل تحقيق هذا الهدف».

إعلان قمة الكوريّتين، الذي حمل عنوان «إعلان بانمونغوم للسلام والازدهار وتوحيد شبه الجزيرة الكوريّة»، شمل أيضاً تعهدات بالحد من التسلح، ووقف الأعمال العدائية، وتحويل الحدود المحصّنة بين البلدين إلى منطقة سلام، إضافة إلى السعي لإجراء محادثات متعددة الأطراف مع دول أخرى على رأسها الولايات المتحدة. ووفق مصدر في الرئاسة الكورية الجنوبية تحدث إلى وكالة الصحافة الفرنسية، فإن هذه القمة قد تعقبها «خطوات مماثلة»، وهو أشار إلى أن كيم أبدى استعداده وعبّر عن رغبته في لقاءات أخرى على فترات متقاربة أكثر في المستقبل. وبعد محادثات استمرت أكثر من ساعة ونصف الساعة، خلف الأبواب المغلقة، عاد كيم إلى بيونغ يانغ قبيل ظهر أمس. هذا «الحدث التاريخي» لاقى ترحيباً دولياً واسعاً، إذ إنّه «خطوة أولى باتجاه السلام». أولى التعليقات كانت من الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، الذي كتب على موقع «تويتر»: «بعد سنة عاصفة من إطلاق الصواريخ وإجراء التجارب النوويّة، يجري الآن لقاء تاريخي بين كوريا الشماليّة وكوريا الجنوبيّة»، مضيفاً أنّ «أموراً جيدة تحصل، لكنها لن تنضج إلا بعد مرور بعض الوقت». تلى ذلك تغريدة ثانية، قال فيها ترامب: «الحرب الكورية إلى

> لن توافق بيونغ يانغ على تنازلات ملموسة إذا لم تقدم واشنطن ضمانات

خواتيمها؛ على الولايات المتحدة أن تشعر مع كامل شعبها العظيم بفخر كبير لما يحصل حالياً في كوريا».

أما الصين التي بسبب آلة العقوبات الضخمة تُمثّل قصبة التنفّس شبه الوحيدة لبيونغ يانغ، فقد أشادت بالقمة وحيّت «شجاعة الرئيسين»، معتبرة أنّ المصافحة بينهما عند الخط العسكريّ الفاصل بين البلدين تشكل «لحظة تاريخية». وقالت المتحدثة باسم وزارة الخارجيّة الصينيّة هيوا تشونين، إنّ بكين «تأمل في أن يغتنما (كيم ومون) هذه الفرصة لفتح مرحلة جديدة من الاستقرار الطويل الأمد في شبه الجزيرة».

من جهته، رحب رئيس الوزراء الياباني، شينزو آبي، بالقمة ومحادثات نزع السلاح النوويّ، آملاً بـ «أن تقوم كوريا الشماليّة بأعمال ملموسة خلال هذا الاجتماع والقمة (المرتقبة) التي ستجمعها بالولايات المتحدة»، مؤكداً «مواصلة مراقبة تحركات بيونغ يانغ المستقبليّة». بدوره، قال الأمين العام لـ«حلف شمال الأطلسي» ينس ستولتنبرغ، خلال اجتماع لوزراء خارجية الدول الأعضاء في الحلف، أمس، «إنها خطوة أولى، مشجعة، لكن يجب أن ندرك أنه لا يزال أمامنا عمل دؤوب». وفي الاجتماع نفسه، علق وزير الخارجيّة البريطانيّ، بوريس جونسون، قائلاً: «أنا متفائل جداً إزاء ما حصل... بالنظر إلى تاريخ كوريا الشماليّة وسعيها لامتلاك السلاح النوويّ، لا أعتقد أن أحداً سيفرط في التفاؤل».

من الجانب الروسيّ، قال المتحدث باسم الرئيس فلاديمير بوتين، إنّ «هذه أخبار إيجابية جداً». وتابع متابعاً: «نشهد اليوم حصول هذا الحوار المباشر ويطرح ذلك احتمالات معينة... إرادة التوصل إلى اتفاق موجودة لدى الطرفين، بما في ذلك القضيّة الأهم، إرادة إطلاق حوار ومتابعته... هذه حقيقة إيجابيّة». أما رئيس لجنة الشؤون الخارجية في «مجلس الاتحاد الروسي» قسطنطين كوساتشوف، فاعتبر أنّ كوريا الشماليّة «لن توافق على تنازلات ملموسة في ملفها النوويّ إذا لم تقدم لها واشنطن ضمانات أمنية»، لافتاً إلى أنّه «لا يمكن أن نتوقع تنازلات ملحوظة من جانب كوريا الشماليّة لأنها لا تزال ترى في صواريخها النوويّة ضماناً وحيداً ضد العدوان الأميركيّ المحتمل. وإذا لم يتم إيجاد آلية للضمانات، فلن يتحقق أي تحرك جدي في هذا الاتجاه، وهذا ما يتعين على قمة واشنطن وبيونغ يانغ أن تحققه».

تماشياً مع هذا الرأي، قال الكاتبان أنكيت باندا وفيين نارانغ، في مقال لهما حول القمّة، إنّه يجب الحفاظ على «تفاؤل موزون» لأنّ «نزع الأسلحة النوويّة كان دائماً مطروحاً، لكن نظرياً فقط». بالنسبة للكاتبين لن يتم الأمر إلاّ «بثمن ثقيل تدفعه أميركا وتحالفها مع كوريا الجنوبيّة»، وهذا الثمن يمكن استخلاصه من خطاب ألقاه الرئيس الكوريّ الشماليّ بعد التجربة الأولى الناجحة لإطلاق صاروخ بالستيّ عابر للقارات منتصف العام الماضي، وهو يشمل سلّة من السياسات، من بينها توقف أميركا عن نشر قوات بصفة دائمة في شمال شرقي آسيا ووقف تمديد مظلتها النوويّة لتشمل كوريا الجنوبيّة، ووقف أيضاً المناورات العسكريّة التي تنفذ في المنطقة، وإجلاء قوات أميركا الرابضة في الجنوب. هذا كله، يجعل قرار «الجنوب» مرتبطاً عضوياً بالأميركيين.

(الأخبار)

ترامب، دور الصين محوري

خلال المؤتمر الصحافي المشترك مع المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل، أبدى ترامب اعتقاده بالتوصل «إلى حل، وإلا فإننا سنغادر القاعة بكل احترام».

ورداً على أسئلة الصحافيين، قال ترامب عن الرئيس الكوري الشمالي كيم أونغ أون: «لا أظن أنه يسعى إلى خداعنا. لم يسبق أن حدث مثل هذا الأمر ولم يسبق أن بلغ الأمر هذا الحد. ولا أعتقد أنه سبق أن وجد مثل هذه الحماسة من جانبهما للتوصل إلى اتفاق». وأضاف: «لن نكون عرضة للخداع... نأمل بالتوصل إلى اتفاق، وإذا لم نتوصل إليه، لا مشكلة».

ويلتقي ترامب كيم بحلول حزيران في قمة غير مسبوقة. والتقى وزير خارجيته الجديد، مايك بومبيو، بينما كان على رأس الاستخبارات المركزية زعيم كوريا الشمالية في مهمة ظلت سرية لفترة. وبحسب ترامب فإن التفاهل بين بومبيو وكيم كان جيداً. وحرص الرئيس الأميركي أمس، على الإشادة بدور بكين، إذ كتب على «تويتر»: «رجاء لا تنسوا المساعدة الثمينة التي قدمها صديقي الطيب الرئيس شي جين بينغ، للولايات المتحدة، خصوصاً على الحدود مع كوريا الشمالية. من دونه كانت العملية ستكون أطول بكثير وأكثر صعوبة».

تقرير

ميركل بعد ماكرون في واشنطن:

«النووي الإيراني» يعزز بصفقة شاملة

أمام ترامب الذي يريد أن يكون الرئيس الأميركي الذي يجد «حلولاً» على المدى الطويل، حضر قطبا أوروبا في الأيام الماضية، في محاولة لإيجاد توافقات معه، تحديداً في الشرق الأوسط ومع إيران

في غضون يومين، توافد القطبان الأوروبيان إلى العاصمة واشنطن. بعد «زيارة الدولة» للرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، حلّت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل، ضيفة على البيت الأبيض في زيارة «سريعة»، قيلَ على نطاق واسع إنّها ستتناول مسألتين: أفق المستقبل النووي مع إيران، ومسألة العلاقات التجارية بين ضفتي المتوسط في ظل إصرار ترامب على فرض رسوم على الفولاذ والألمنيوم، الأمر المرتقب تطبيقه في بداية الشهر المقبل.

على رغم أي تنسيق مسبق، أو تقاسم أدوار مفترض، بين ميركل وماكرون، لإرساء «حوار مثمر» مع الرئيس دونالد ترامب، فإنّ الإعلام ركّز على أنّ «الفوارق في المظاهر» بين زيارتي الزعيمين الأوروبيين «باررة جداً»، وفق ما نقلت وكالة الصحافة الفرنسية عن الباحثة في «جامعة كورنيل» منى كريويل، مضيفةً أنّ تلك الفوارق تشير إلى «علاقة أكثر صعوبة بين ترامب وميركل»، فيما رأت الوكالة الفرنسية أنّ «هذا تغيّر دراماتيكي بالنسبة للزعيمة الألمانية التي ولأكثر من عقد من الزمن اعتُبرت في واشنطن ليس فقط محاوراً براغماتياً ومنطقياً، بل أيضاً زعيمة لأوروبا بحكم الأمر الواقع». لكن هذه الزاوية «الإعلامية» لم تكن كافية لمتابعة الزيارة، لسببين: الأول أنّ حديث ميركل في شأن إيران كان قريباً من إعلان ماكرون في الخصوص، ما يعني أنّ الموقف الأوروبي مال بصفة عامة نحو موقف ترامب في محاولة لمنعه من «تمزيق» الاتفاق النووي، كما يُبرر، وهو يُقدّم له عرض مفاوضة إيران بصفقة إقليمية شاملة. في هذا السياق، قالت ميركل خلال المؤتمر الصحافي المشترك مع ترامب: «نعتبر الاتفاق النووي الإيراني مرحلة أولى ساهمت في إبطاء أنشطتهم على هذا الصعيد بصورة خاصة... لكننا نعتقد أيضاً من وجهة نظر ألمانية أن هذا غير كاف لضمان كبح طموحات إيران واحتوائها»، مضيفة أنّه «يجب أن يكون هناك توافق بين أوروبا والولايات المتحدة حول هذا الموضوع... وحول البحث عن حل سياسي لحمام الدم الرهيب في سوريا، وللمنطقة ككل»، مشيرة أيضاً إلى ضرورة «احتواء» مسألة برنامج الصواريخ البالستية لإيران، و«كبح» نفوذها السياسي الإقليمي في «سوريا ولبنان والعراق».

أما السبب الثاني، فلعلّ من المهم التذكير بأنّ الرهان الألماني أكبر من شكليات القمة، ومظهرها. فبرلين، بصفة خاصة، تُدرك أنّ «العالم أصبح أكثر تعقيداً، والولايات المتحدة لم تعد شريكاً يوثق به (وقد لا تعود لما كانت عليه بعد رحيل ترامب)، وبالتالي علينا تحرير أنفسنا، فالأيام التي كان بإمكاننا الاعتماد على الولايات المتحدة، وترك كل الأعمال القذرة لها، أصبحت خلفنا»، كما كتب الصحافي في «در شبيغل» الألمانية، كلاوس برينكبوم، قبل أيام. وجدير بالذكر أنّ هذا ما أعربت عنه تسيبياً ميركل بنفسها أمس، في سياق ردّها على سؤال لأحد الصحافيين، قائلة: «نعم على ألمانيا وأوروبا أن يمسكا مصيرهما بين يديهما، لأنه لا نستطيع الاستمرار كما كان الأمر خلال الحرب الباردة... الاعتماد على أميركا للحضور ومساعدتنا».

هذه الخلفية المشكلة من نقطتين، تجعل غير غريب القول إنّ الغربيين يتجهون، بمبادرة أوروبية، نحو محاورة إيران تحت شعار صفقة إقليمية شاملة، كان ماكرون قد طرح ركائزها قبل ثلاثة أيام في البيت الأبيض. لكن النقطة الثانية لهذه الخلفية، تفيد بأنّ منظومة التعاون ما بين ضفتي الأطلسي باتت تقوم على تجزئة الملفات بصورة أضخم مما مضى، وهذا ما يُنذر بالتراجع في السياسة الدولية وباقتراب انتهاء صلاحية «الوحدة الغربية» المعهودة بالإجمال منذ عقود. من مؤشرات ذلك تعليق أحد المسؤولين الأميركيين السابقين على «تويتر»، بالقول: «ميركل وماكرون، يحاولان تقريب ترامب من الاتحاد الأوروبي، لكن هذا لن يحصل لأنّ ترامب يعرف كيف يُلاعب الطرفين».

من جهة ترامب، فيمكن استخلاص نقطتين من تصريحاته أمام ميركل أمس. الأولى امتناعه عن التعليق على ما إذا كان قد يفكر في استخدام القوة ضد إيران، قائلاً: «أنا لا أتحدث عما إن كنت سأستخدم القوة العسكرية أم لا... لكنني أستطيع أن أقول لكم، لن يمتلكوا أسلحة نووية... لن يحصلوا على أسلحة نووية، ويمكنكم أن تعولوا على هذا». وفي نقطة لافتة أخرى، أعلن أنّه قد يزور القدس المحتلة لمناسبة افتتاح السفارة الأميركية التي قرر نقلها من تل أبيب، وقال بالخصوص إنّ «السفارة في القدس كانت وعداً قطعه العديد من الرؤساء، كلهم قطعوا وعوداً انتخابية ولم يجدوا يوماً الشجاعة

> ميركل: على ألمانيا وأوروبا أن يمسكا مصيرهما بين يديهما

لتنفيذها. أنا فعلت ذلك، وبالتالي، فإنني قد أتوجه إلى هناك».

في سياق العلاقات المتوترة بين جانبي «الأطلسي»، بخاصة على صعيد التجارة وفرض رسوم أميركية إضافية، لم تستبعد المستشارة الألمانية التوصل إلى اتفاق ثنائي للتجارة بين الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، مضيفة أن منظمة التجارة العالمية غير قادرة على انتاج اتفاقات متعددة الأطراف. وقالت: «نريد تجارة تماشي النظام التجاري المتعدد الأطراف لمنظمة التجارة العالمية، لكننا نعترف أيضاً بأنه لسنوات كثيرة جداً، فإنّ منظمة التجارة العالمية كانت غير قادرة على إنجاز اتفاقية دولية»، مشيرة إلى أنّه لهذا السبب هي لا تستبعد مفاوضات ثنائية بين الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، في وقت قال فيه ترامب إنه ملتزم بمعالجة الاختلالات في التجارة بين الطرفين.

على صعيد العلاقات نفسها، كرر ترامب دعوته إلى أعضاء حلف شمال الأطلسي لزيادة «مصاريفهم الدفاعية»، في إشارة إلى طلبه من الأوروبيين تخصيص 2 في المئة من الناتج الإجمالي لكل دولة، للنفقات الدفاعية، علماً أنّ آخر موازنة ألمانية، وقفت عند حدود نسبة 1,3 في المئة، وقد أكدت ميركل هذه النسبة أمس، وهذا يؤكد أيضاً أنّ ملفات العلاقات بين ضفتي الأطلسي باتت مجزأة أكثر من أي وقت مضى.

الرهان الألماني أكبر من شكليات القمة، ومظهرها (أ ف ب)

تركيا

غول يردّ اليوم... بعد «تهديده» بالعسكر

إسطنبول ـ **حسني محلي**

خرج الرئيس السابق عبد الله غول عن صمته المطبق منذ أكثر من ستة أشهر ليقول إنه سيعقد اليوم مؤتمراً صحافياً يعلن خلاله موقفه من انتخابات الرئاسة التي ستجري في الرابع والعشرين من حزيران المقبل. وجاء إعلان غول هذا، بعد استقباله مبعوث الرئيس رجب طيب أردوغان، رئيس الأركان خلوصي أكار، وهو ما اعتبرته المصادر المقربة من غول بمثابة «التهديد» حتى يتخلى عن قراره المحتمل بترشيح نفسه لانتخابات الرئاسة بإسم أحزاب المعارضة. ورافق أكار، المتحدث باسم الرئاسة إبراهيم قالن. وسبق أن أرسل أردوغان إلى غول، نائبه السابق بولنت أرينج، وعاد الأخير ليعلن أنه يدعم أردوغان، وهو ما أثار ردود فعل واسعة في الأوساط السياسية، لكون أرينج قد سبق أن تعرض لإهانات مباشرة من قبل الرئيس والإعلام الموالي له، واتُّهم العام الماضي بالخيانة والتآمر على أردوغان، وقيل إنه هُدّد بالسجن بتهمة العلاقة مع فتح الله غولن.

وقبل ثلاثة أيام، زار رئيس الوزراء السابق أحمد داوُد أوغلو، غول، ليعود هو الآخر ويقول في مؤتمر صحافي إنه يؤيد المرشح أردوغان فقط. وتعرض داوُد أوغلو أيضاً لانتقادات عنيفة من الأوساط السياسية والإعلامية، التي رأت أن موقفه جاء بعد تهديدات مباشرة من الرئيس أردوغان، مشيرة إلى أنه «عديم الوفاء»، لكون غول هو من جاء به من الجامعة وجعل منه مستشاراً لرئيس الوزراء نهاية عام 2002 ثم أدخله البرلمان وبعدها عيّنه وزيراً للخارجية ورشّحه لرئاسة الوزراء في عام 2014.

حملة أردوغان والإعلام الموالي له على غول، جاءت بالتوازي مع معلومات تحدثت عن مساعٍ يقوم بها زعيم حزب «السعادة» الإسلامي تامل كارامولا أوغلو، لإقناع غول بأن يكون المرشح المشترك باسم أحزاب المعارضة، وفي مقدمتها «حزب الشعب الجمهوري» و«حزب الشعوب الديموقراطي» الكردي، وذلك في الوقت الذي قالت فيه ميرال أكشنار، زعيمة «الحزب الجيد» المنشق عن حزب «الحركة القومية» المتحالف مع أردوغان، إنها ستترشح نفسها للانتخابات. وكانت العديد من استطلاعات الرأي قد استبعدت أن يحصل أردوغان على الأغلبية الكافية للفوز في الجولة الأولى من الانتخابات، وتوقعت لمرشح أحزاب المعارضة، إن اتفقت في ما بينها، أن يفوز في الجولة الأولى أو الثانية بنسبة قد تصل إلى 54% من الأصوات، مقابل 46% لأردوغان. وتستبعد الاستطلاعات أن يحقق حزب «العدالة والتنمية» الأغلبية في البرلمان في حال تحالُف أحزاب المعارضة. وكل ذلك في وقت يستمر فيه الرهان على موقف حزب «الشعوب الديموقراطي» الذي يتوقع أن يحصل على ما لا يقل عن

> لن يمكن مرشح المعارضة الفوز من دون دعم «الشعوب الديموقراطي»

10% من الأصوات، ومن دون تلك النسبة، لن يحالف الحظ مرشح المعارضة للفوز في الانتخابات. ولا يزال الرئيسان المشتركان للحزب، صلاح الدين دميرتاش وفيغين يوكسك داغ، ومعهما عشرة من ممثليه في البرلمان، في السجن منذ 18 شهراً. ويتوقع كثيرون للمرحلة القادمة أن تشهد تطورات وأحداثاً مثيرة، إذ سيسعى الرئيس أردوغان إلى منع أحزاب المعارضة من تحقيق أي انتصار في انتخابات الرئاسة والانتخابات البرلمانية. وتتوقع أوساط معارضة للرئيس أردوغان أن يستنفر الأخير كل إمكاناته وإمكانات الدولة وأجهزتها المختلفة، وخاصة الأمن والمخابرات والقضاء، ضمن الحملة الانتخابية، وسيعمل على منع قيادات المعارضة من الحديث للشعب التركي، خاصة أنه يسيطر على جميع وسائل الإعلام الحكومية و90% من الإعلام الخاص، ما سيجعل جميع القنوات التلفزيونية مجبرة على بث خطابات أردوغان على الهواء مباشرة، مع إهمال تغطية نشاط أحزاب المعارضة. وقد تتعرض الأخيرة ومرشحوها لحملة تنكيل واتهامات ملفّقة من الإعلام الموالي للرئيس المرشّح.

تونس

«الاتحاد» وقطاع التعليم: منازلة كادت تقطع الأنفاس

في وقت متأخر من مساء أمس، قررت نقابة التعليم الثانوي التابعة لـ«الاتحاد العام التونسي للشغل» وضع حدّ للخلافات مع المركزية النقابية، وبالتالي قطع الطريق على مساعي يوسف الشاهد

تونس ـ **مجدي الورفلي**

حين انطلقت أعمال الهيئة الإدارية للاتحاد العام التونسي للشغل، يوم الإثنين الماضي، افتتحها أمين عام المركزية النقابية نور الدين الطبوبي، بالتشديد على أنّ النقابيين «يعرفون كيف يديرون خلافاتهم الداخلية، ويفقهون إدارة الأزمات وردّ الصاع صاعين». وحين انتهت أعمال الهيئة، كان الاعتقاد بأنّ المنظمة العمّالية القوية في تونس ستردّ «الصاعين» لرئيس الحكومة يوسف الشاهد، بعدما نجحت في الابتعاد عن الزاوية التي حشرها فيها إثر إحسانه توظيف الإضراب المفتوح من التدريس في التعليم الثانوي والامتناع عن تسليم أعداد الامتحانات الذي تنفّذه نقابة الثانوي التابعة للاتحاد.

جدير بالذكر أنّ الهيئة الإدارية لاتحاد الشغل تتكون أساساً من المكتب التنفيذي الوطني (أو المركزية النقابية) ومن «الكتّاب العامين» للنقابات القطاعية، إضافة إلى «الكتّاب العامين» لفروع الاتحاد في محافظات تونس الـ24.

أفق التمرد... المحدود

رغم رفض المركزية النقابية منذ البداية للإضراب، فإنّها احتضنته حتى مساء يوم الإثنين الماضي حين قررت هيئتها الإدارية دعوة نقابة التعليم الثانوي إلى استئناف الدروس في التعليم بعد تنفيذها الإضراب المفتوح لأسبوع، وإلى تسليم أعداد الامتحانات للإدارة بعد حجبها منذ بداية السنة.

كانت القصة ستنتهي عند هذا الحد، لكن حدث ما لم يكن متوقّعاً. فبعد نحو ساعة من قرار الهيئة، أعلنت نقابة الثانوي أنّ الإضراب المفتوح سيبقى ساريا، مضيفة أيضاً أنّ أعداد الامتحانات لن يتم تسليمها، وهذا إعلانٌ كانت له تداعيات بمثابة الصدمة داخل «الاتحاد» وخارجه، ولكن تواصل الإضراب عن التدريس في اليوم التالي وأثبتت النقابة أنّها تُمسك بـ«ماكينتها» جيّداً. ساعات بعد ذلك، عقدت نقابة الثانوي نفسها اجتماعاً موسعاً وقررت استئناف التدريس، لكن من دون تسليم أعداد الامتحانات، وهو ما يعني أنّ المواجهة التي كانت بين النقابة ووزارة التربية، ومن خلفها حكومة يوسف الشاهد، تحوّلت إلى مواجهة بين نقابة الثانوي والمركزية النقابية، وهذا ما اعتُبر نجاحاً للشاهد في تصدير الأزمة إلى داخل «الاتحاد» والبقاء متفرّجاً.

المركزية النقابية التي عملت على إفشال تصدير الأزمة إلى داخل الاتحاد من خلال عدم اللجوء إلى تطبيق النظام الداخلي رغم تجاوزه عدة مرات من نقابة التعليم الثانوي، وجدت نفسها مضطرة إلى التلويح بتطبيقه. فلم يحصل في اتحاد الشغل أن جرت مخالفة قرار للهيئة الإدارية الوطنية التي تُمثل سلطة القرار الثالثة بعد المؤتمر العام والمجلس الوطني، وهو باب يجب عدم فتحه، وإلا فالعقد بين النقابات المنضوية تحت سقف الاتحاد سيتفكك وستحصل تجاوزات في قطاعات أخرى سبق أن كانت المركزية تقف أمامها بالمرصاد.

على سبيل المثال، في نهاية سنة 2017، ذهب قطاع المالية في إضراب لسبعة أيام متتالية، رغم رفضه من قبل المركزية النقابية. كانت النتيجة على الصعيد الداخلي تجميد النشاط النقابي لعدد من «الكتّاب العامين» للقطاع في المحافظات، ومن ثمّ التخلي عنهم. أمّا على مستوى وزارة المالية، فقد خضع العديد من المضربين للمساءلة الإدارية، نظراً إلى أنّ الإضراب اعتُبر غير قانوني بسبب عدم توقيع المركزية النقابية عليه، كما اجتماع النقابة الذي امتدّ لنحو 10 ساعات، كان أمام احتماليْن: إمّا الخضوع لقرارات الهيئة الإدارية الوطنية لاتحاد الشغل، وبالتالي إفشال ما تعتبره المركزية النقابية مسعى رئيس الحكومة يوسف الشاهد لإحداث تصدّع داخل الاتحاد بغية إضعافه (خاصة في ظل مطلبها بتغيير الشاهد)، أو مواصلة رفض تسليم أعداد الإحتحانات والتعرّض للعقوبات التي ينصّ عليها النظام الداخلي للاتحاد، من تجميد النشاط وطرد، ولكن سيكون الشاهد في حينه قد نجح في ما فشل فيه العديدون من قبله، لكن في وقت متأخر من مساء أمس، انتهى الاجتماع الطويل بتبني الاحتمال الأول، لتُنهي نقابة التعليم «الأزمة»، معلنةً إرجاع أعداد الامتحانات، وبالتالي الاحتماء بخيمة «اتحاد الشغل» تحضيراً للمعارك المقبلة مع حكومة الشاهد.

لعلّ ما يجدر التذكير به هنا، هو تصريح أخير لأمين عام اتحاد الشغل، قال فيه: «الحكومة تُوظّف أزمة التعليم الثانوي لتشويه صورة الاتحاد، وتستعملها كمطية للضغط من أجل تسوية ملفات كبرى نتيجة اختلافات جوهرية وعميقة مع الإتحاد حول الخيارات التي يتم التلويح بها بخصوص التفويت (البيع) في القطاع العام».

خيارات لا ثالث لهما

حتى مساء أمس، كان أكيداً أنّ مجمل تلك الحسابات في التعامل مع قطاع الثانوي، ممثلاً بالنقابة (من كاتبها العام لسعد اليعقوبي، إلى أعضاء هيئتها الإدارية)، قد سقط، لتجاوز نقابة القطاع كل الخطوط الحمراء، بداية بحجب أعداد الامتحانات، ومن ثمّ الدخول في إضراب مفتوح من دون موافقة «المركزية»، وأخيراً الضرب بقرارات الهيئة الإدارية الوطنية عرض الحائط. وتدرك قيادات التعليم الثانوي جيداً أنّ الحصانة التي يوفّرها تاريخ قطاعهم، وضخامته، لن تصمد أمام ما يُعرف بـ«ماكينة الاتحاد» التي لوّحت المركزية النقابية باستخدامها ضدّهم.

> **اجتماع النقابة الذي امتدّ لنحو 10 ساعات، كان أمام احتمالين**

كان موقف امين عام اتحاد الشغل حازما (عن الويب)

مصر

سكان «العشوائيات المتطورة» يتظاهرون... والدولة حائرة

القاهرة ـ **الأخبار**

للجمعة الثانية على التوالي، خرجت تظاهرات محدودة في منطقة حي الأسمرات ضد الحكومة المصرية، وقد ارتبطت بالاعتراض على الإجراءات المتبعة مع سكان المنطقة واستمرار سداد هم إيجار، رغم معاناتهم من مشكلات مادية طاحنة، وسط تهديد متزايد من مسؤولي الحيّ بإخلاء الشقق التي لم يسدد أصحابها الإيجارات المتأخرة.

وحي الأسمرات هو المنطقة التي نقل إليها سكان منطقة الدويقة العشوائية وعدد من سكان المناطق الخطيرة بعد إعادة بناء الأرض لتتحول من مقلب قمامة إلى منطقة سكنية مبنية على أساس سليم ومخططة بما يسمح لسكانها الجدد بالإقامة على نحو لائق بعدما كانوا يقيمون في مناطق عشوائية لا تتوافر فيها الخدمات الأساسية.

وتعرضت المنطقة لمشكلات عدة بعد نقل السكان إليها عقب أيام من افتتاحها منها: إفساد عدد من الحدائق والمتنزهات المفتوحة مجاناً، إضافة إلى تحويل عدد من الشقق السكنية في الأدوار الأرضية، لتكون محلات بقالة صغيرة لزيادة دخل أصحابها الذين يعانون عجزاً في الحصول على فرصة عمل مناسبة. مع ذلك، لم تتخل الدولة إلا على استحياء في مرات محدودة لتجنب الصدام مع الأهالي الذين لا يزال بعضهم يطلب عودته إلى مكانه الأصلي بسبب بُعد المكان الجديد عن أشغالهم.

وتصاعدت أزمة المنطقة منذ بداية الشهر الجاري مع إرسال مسؤولي وزارة الإسكان خطابات إلى الأهالي المتعثرين في سداد القيمة الإيجارية للوحدات السكنية، وفيها تهديد بالطرد من الوحدات السكنية وإخلائهم بالقوة، وهو ما أثار غضب عدد كبير منهم، خاصة أن غالبيتهم من كبار السن غير القادرين على الكسب. جراء ذلك، عقد الأهالي في المنطقة أكثر من اجتماع، متفقين على التفاوض مع الوزارة لخفض قيمة الإيجار للأسر غير القادرة، ولا سيما أنهم كانوا يقيمون في مناطقهم السابقة دون دفع إيجارات، فضلاً عن أن طبيعة المنطقة الجديدة فرضت عليهم أعباءً إضافية في التنقل والعيشة مع ارتفاع الأسعار نسبياً مقارنة بالمنطقة القديمة.

ورغم أن «الإسكان» باشرت في بناء منطقة الأسمرات 3، وتنفيذها، المقرر افتتاحها نهاية حزيران المقبل، فإن مسؤولين تجنبوا الدخول خلال الأيام الماضية إلى حيث يسكن الأهالي الغاضبون الذين نظموا تظاهرتين: الأولى الأسبوع الماضي، والثانية يوم أمس، مطالبين الرئيس عبد الفتاح السيسي بالتدخل. كذلك انتقدوا الحكومة بهتافات انتقد فيها بعض الشباب السيسي نفسه، وأكدوا أنه تخلى عن المنطقة بعد الانتهاء من المباني التي يواجه عدد منها مشكلات في توصيلات الصرف، بالإضافة إلى غياب الخدمات، رغم توافر البنية الأساسية في المنطقة.

وفرضت أجهزة سيادية على مختلف وسائل الإعلام حالة من التكتيم حول التظاهرات لتجنب نقلها والحديث عن المنطقة بأكملها، في وقت تحاول فيه هذه الجهات الوصول إلى صيغة لإنهاء الأزمة مع الأهالي دون أن تخسر الدولة القيمة الإيجارية تخوفاً من انتقال العدوى إلى مناطق أخرى في المحافظات التي تبنى فيها بيوت لسكان العشوائيات. ومن بين الحلول المقترحة الآن إدخال وزارة التضامن لإجراء بحوث اجتماعية على جميع الحالات الموجودة كي تحدد ببرامجها المختلفة للحماية الاجتماعية قيمة العقود الإيجارية، على أن تلتزم باقي الأسر التي لديها قدرة مالية السداد بانتظام.

استراحة

كلمات متقاطعة 2857

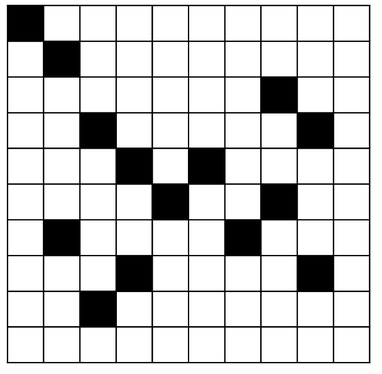

أفقيا

1- شخصية خيالية من شخصيات كتاب ألف ليلة وليلة – 2- ملكة أشورية أسطورية يُنسب إليها تأسيس بابل وحدائقها المعلقة – 3- بحر – شعوب تعيش في بعض دول الشرق الأوسط بإيران والعراق وسوريا وتركيا – 4- عائلة فنانة فرنسية كانت السيدة الأولى – إحسان – 5- برج مائل في إيطاليا – رجل أسطوري تنسب إليه نوادر وفكاهات – 6- عاصفة بحرية – قطع الشيء – إسم حمله سبعة من أباطرة جرمانيا والنمسا – 7- بيعه الجزّار – حسن الوجه – 8- من أجود أنواع الورد – آلة موسيقية – 9- مثلث ومنطقة عقارية معروفة في عاليه – إسم بوذا في الصين – 10- فيلم مصري كوميدي بطولة محمد هنيدي وشيرين عادل

عمودياً

1- طبيب وفيلسوف ورياضي يعلبكي عاش في أيام المقتدر العبّاسي وتوفي في أرمينيا – 2- أحرف متشابهة – من أسماء الشمس – أغلظ أوتار العود – 3- سقي النبات – غلب وتفوّق على الشخص – نسبة الى مواطن من بلد أوروبي – 4- جبلٌ إستقرت عليه سفينة نوح بعد الطوفان كما جاء في التوراة – حدة ورقّ الأسنان – 5- عائلة موسيقي فرنسي راحل – إسم دولة ميانمار – 6- عصره أو وقته – عاصمة أسيوية – 7- إحدى شخصيات الفار في الرسوم المتحركة – حرف نصب – صاح التيس – 8- قبض على الشخص خلال الحرب – مسجد – 9- انطلق بسفينتي – وكالة أنباء عربية – 10- شخصية خيالية من شخصيات ألف ليلة وليلة

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- طريف – صوفيا – 2- ابل – أت – ريال – 3- رغم – أسبا – 4- قاسيون – تحلّ – 5- هوندا – في – 6- نا – ياريم – 7- زهد – ما – وفا – 8- التنين – 9- أزمور – أزلي – 10- دراز – سلامة

عمودياً

1- طارق بن زياد – 2- ربغا – أو – أه – زر – 3- مسه – داما – 4- فا – يوح – لوز – 5- تاون – متر – 6- سنديان – 7- وُري – 11 – يال – 8- فيات – رونزا – 9- يا – حفيف – لم – 10- السليمانية

2857 sudoku

9			4		2			
	3	4		5				9
	6		3	7			2	
6		7		1		8		3
	4	3	2			5		
8							4	1
			9	4			7	
	8				1			2
	9				3		1	

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 2856

7	1	9	4	5	2	8	6	3
5	3	8	7	1	6	9	2	4
6	2	4	3	8	9	5	7	1
3	5	7	9	6	1	2	4	8
2	8	1	5	7	4	6	3	9
9	4	6	8	2	3	7	1	5
1	7	5	2	3	8	4	9	6
8	9	3	6	4	7	1	5	2
4	6	2	1	9	5	3	8	7

مشاهير 2857

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

والدة المستشار الألماني أدولف هتلر (1860-1907) وُلدت في قرية في شمال النمسا من أسرة كاثوليكية وتزوجت باكراً من الويس هتلر وأنجبت من سبغير وجه الكرة الأرضية

6+4+1+2+5 = الحزن والغمّ ■ 9+8+3+11 = مرتفعات من الأرض ■ 11+7+10 = شجر مثمر

حل الشبكة الماضية: **خلدون النقيب**

إعداد
نعوم مسعود

وفيات

إنتقل الى رحمته تعالى المرحوم
الحاج نايف شاكر شحرور

أولاده: المرحوم محمد، أحمد، محمود، عرفات وبلال
أصهرته: موسى شحرور، عدنان شحرور، حسين شهاب وبسام شريحة
تقبل التعازي اليوم السبت 28 نيسان 2018 في مجمع هونين، طريق المطار ابتداءً من الساعة الخامسة بعد الظهر حتى السابعة مساءً.
ويصادف غداً الأحد 29 نيسان ذكرى اسبوع. وبهذه المناسبة ستتلى ايات من الذكر الحكيم ومجلس عزاء عن روحه الطاهرة الساعة الحادية عشرة قبل الظهر في مجمع هونين، طريق المطار.
الآسفون: آل شحرور وعموم أهالي بلدة هونين.

انتقلت الى رحمته تعالى المرحومة الحاجة
لطيفة محمد شقير
زوجة المرحوم الحاج حسن محمد علي عواضة
أولادها: الاستاذ محمد عواضة، الحاج توفيق، الحاج يوسف، الحاج حسان
بناتها: الحاجة حسينه، الحاجة سعاد، الحاجة ليلى، مريم، الحاجة زينب، فاطمة
شقيقاها: المرحوم علي شقير، الحاج عبد شقير
أختاها: المرحومة الحاجة رسمية، الحاجة خيرية.
اصهرتها: الحاج حبيب عباس، سمير جهير، المرحوم محمد جمعة، أحمد جمعة، حيمور حيمور
يصادف نهار غد الاحد الواقع في 2018/4/29 ذكرى مرور اسبوع في مجمع المجتبى – الصفير – حي الأميركان، عند الساعة الحادية عشرة صباحاً.
تقبل التعازي في منزل ولدها الحاج حسان في الصفير – قرب ملعب الراية – خلف محطة الإيتام شارع مكرزل – خلف مكتبة شنغهاي – بناية شاهين – الطابق العاشر.
للفقيدة الرحمة ولكم الاجر والثواب
الراضون بقضاء الله وقدره: آل الفقيدة

ولدا الفقيد: بسام وزوجته ماريسا ماروكين
منى زوجة غادي الخوري
وولداهما: يارا وجورج
ولدا شقيقه المرحوم منير الحداد: سيلفيا الحداد وعائلتها
رامز الحداد
ولدا شقيقته المرحومة منى الحداد جرجس:
واكيم جرجس وزوجته غاده الغريّب
دنيا جرجس
وعموم عائلات: الحداد، مغبغب، الخوري، ماروكين، رزق الله، جرجس، الغريّب وأنسباؤهم في الوطن والمهجر ينعون إليكم بمزيد الحزن والأسى فقيدهم الغالي المأسوف عليه المرحوم
حنا رامز الحداد
(جونى)
المنتقل إلى رحمته تعالى يوم أمس الجمعة الواقع فيه 27 نيسان 2018، متمماً واجباته الدينية.
يقام تشح جناز لراحة نفسه الساعة الثانية عشرة والنصف من بعد ظهر اليوم السبت 28 الجاري في مطرانية الروم الملكيين الكاثوليك، طريق الشام.
لكم من بعده طول البقاء
تقبل التعازي قبل الصلاة وبعدها في صالون مطرانية الروم الملكيين الكاثوليك، طريق الشام اليوم السبت، ابتداءً من الساعة الحادية عشرة قبل الظهر ولغاية الساعة السادسة مساءً. ويوم غد الأحد 29 الجاري في صالون المطرانية ابتداءً من الساعة الثالثة بعد الظهر ولغاية الساعة السابعة مساءً.
الرجاء إبدال الأكاليل بالتبرع للكنيسة واعتبار هذه النشرة إشعاراً خاصاً

لإعلاناتكم الرسمية والمعيوبة والوفيات
الأخبار
هاتف: 759555 ـ 01
فاكس: 759597 ـ 01

إعلانات رسمية

إعلان
تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض العائد لشراء شاحنات صهاريج لنقل المحروقات الى معامل الانتاج، موضوع استدراج العروض رقم ث4د/11950 تاريخ 2017/11/7، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2018/6/1 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ امانة السر ـ الطابق 12 (غرفة 1223)، مبنى كهرباء لبنان ـ طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 250/ ل.ل.
علما بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان ـ طريق النهر ـ الطابق «12» ـ المبنى المركزي.
بيروت في 2018/4/24
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس وصف حنيني
التكليف 899

إعلان
تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض العائد لصيانة واستثمار الخط البحري في معمل الذوق الحراري، موضوع استدراج العروض رقم ث4د/2995 تاريخ 2018/3/19، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2018/5/18 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ امانة السر ـ الطابق 12 (غرفة 1223)، مبنى كهرباء لبنان ـ طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 200/ ل.ل.
علما بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان ـ طريق النهر ـ الطابق «12» ـ المبنى المركزي.
بيروت في 2018/4/25
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس وصف حنيني
التكليف 912

مبوب

خرج ولم يعد

غادرت العاملة البنغلادشية
Selina khatun
من عند مخدومها، الرجاء ممن يعرف عنها شيئا الإتصال على الرقم 76/660940

غادرت العاملة الفيليبينية
Gazzingan vilama roque
من عند مخدومها، الرجاء ممن يعرف عنها شيئا الإتصال على الرقم 03/155722

CONCERN worldwide
CWL/LVH/0418/2524
مرجع المناقصة :
بناء قناة ري في منطقة وادي خالد-عكار
تعزم كونسيرن ورلد وايد انشاء قناة ري لتخديم الأراضي في منطقة وادي خالد – عكار
ويمكن الحصول على ملف المناقصة عبر الإنترنت على العنوان التالي :
www.daleel-madani.org
أو عن طريق البريد الإلكتروني :
lebanon.tenders@concern.net
ويمكن أيضا أخذ ملف المناقصة من مكتب التنسير التابع لـ "كونسرن وولد وايد" في العنوان التالي
بناية خالد حسن (مقابل محطة عبد الكريم الرفاعي للبترول)، حلبا، عكار
آخر موعد لتقديم المناقصة: هو الساعة 13.00 بتوقيت لبنان المحلي في 18 أيار-2018
جميع المهتمين بالتقديم للمناقصة يجب عليهم القيام بزيارة موقع القناة في احد الأيام التالية :يوم 8 أيار ،9أيار و 15 أيار لعام 2018 من 9:00 حتى 13:00 بنيها اجتماع لمناقشة المناقصة وتقديم توضيحات على الاستفسارات اذا طرحت
(تتحفظ كونسيرن بحق قبول أو رفض أي عرض / اقتراح قبل منح العقد والغاء عملية المناقصة ورفض جميع العروض في أي وقت)

فكر

الفيلسوف الوجودي في الضاحية الجنوبية

«معهد المعارف الحكمية» أمام امتحان سارتر

حلّ الفيلسوف الفرنسي ضيفاً أول من أمس على «معهد المعارف الحكمية»، إذ ألقى الباحث يوسف أبو خليل محاضرة عن «الوعي في فلسفة جان بول سارتر». حضرها مهتمون ومتابعون. لكن اللقاء ركّز على جوانب من شخصية الفيلسوف الوجودي، أكثر من تركيزه على العنوان نفسه

أحمد محسن

انطلق الباحث يوسف أبو خليل، في محاضرته، من جملة أفكار، اعتبرها مرتكزات قامت عليها الوجودية السارترية، أبرزها أنّ القلق كان المحرّك الأبرز لمذهبه. وهذه نقطة سجالية، إذ إن كثيرين لن يوافقوه، وسيفضّلون أن تستقيم الحرية في مكان القلق. ببساطة، كان يمكن الانطلاق من كليشيه سارتري مفاده أن الوجود يسبق الماهية، وأن مبدأ الوجود الأول ـ عينياً ـ هو الاختيار. وهذا يعني الحرية، ولا يعني القلق. ذلك أن الحرية هي من الثوابت في وجودية الرجل، ولا تحتمل اجتهاداً ينسف المدخل، أو يعيد ترتيب العقل السارتري. النقطة الثانية، هي أن سارتر ـ حسب الباحث ـ هو الوحيد الذي سمّى نفسه وجودياً، ولم يُفهم إن كان القصد هو العرض، أو الاعتراف لسارتر بتفوق بين أهل الوجودية، إن كان بين هؤلاء كيركغارد أو حتى هايدغر. وإذ يقول أبو خليل إن هدف الوجودية لم يكن «الابتعاد عن الدين»، كان عليه التمييز هنا بأنه يتحدث عن كيركغارد، ولا يتحدث عن سارتر. وإن كانت وجودية الأخير مذهباً إنسانياً، فما يميّزه فعلاً كما ورد في اللقاء، أنه أديب أيضاً وسياسي. أما هايدغر، فسيظهر في مكان آخر. خلال اللقاء، عندما قارب أحد الحاضرين علاقة سارتر به بخفة موصوفة. صحيح أن سارتر لم يخرج من عباءة هايدغر كما خرج هايدغر نفسه من عباءة هوسرل، أو كما استقل كارل ماركس من هيغليته، إلا أن «الوجود والعدم» لا يعني إطلاقاً أن سارتر هو نسخة فرنسية مترجمة عن المانية هايدغر، كما اتفق الحاضرون بلا تدقيق. وللتمييز بين هايدغر، الذي يتجاوز سارتر في الموقع الفلسفي، وبين سارتر صاحب المواقف السياسية من منطلقات فلسفية، يمكن قراءة «فينومينولوجيا الحياة الدينية» (نقلها جان غريش للفرنسية). من شأن هذه القراءة، أن تفضّ شبهاً مبالغاً فيه بين آراء الرجلين، لأن «فينومينولوجيا الحياة الدينية» كانت تسمية هايدغر نفسه لمحاضراته في فلسفة الدين. أما موقف سارتر من فلسفة الدين، فهو معروف، ذلك أنه كان على عكس ديكارت، من أنصار إثبات الذات، بينما كان ديكارت يرى أن الذات امتداد لمتعال في الفلسفة هو الله.

النقطة الثالثة، من حيث انتهينا. المنهج الفينومينولوجي، أو الظواهري، الذي يعتمده سارتر، وما يجعله «استعارة» من هايدغر، أو من خلفهما كلاهما، هوسرل. نقطة أصاب فيها العرض بلا شك، إلا أن الفينومينولوجيا لم تكن الدافع الحقيقي لمواقف سارتر السياسية، كما ذهب البحث. كان من الممكن الإشارة إلى أن الوجودية عند سارتر كانت حركة اعتراضية ومضادة للفلسفات البورجوازية، ولا تتوقف على تقسيم الموجودات على أساسها الظواهري. لقد كان سارتر ماركسياً أيضاً، ومنتسباً إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، وتالياً، رفض الفلسفة البورجوازية، كان جزءاً أساسياً من شخصيته وإفكاره. وإذ نتحدث عن سارتر السياسي، يجب أن ننتبه إلى ماركسيته، التي انطلق منها لرفض أي منحى بورجوازي. وهناك أمثلة كثيرة على ذلك، بالتأكيد ليس خلافه مع كامو الذي خضع لقراءات تبسيطية، أحدأ منها، إنما يمكن بالتأكيد أن يكون خلافه مع ميرلوبونتي بسبب قبوله المنصب التعليمي في «الكوليج دو فرانس»، بحيث وضع سارتر التقدم المهني على حساب النزاهة في مصاف البورجوازية. كان هذا موقفاً ماركسياً، وكان موقفه الرافض للقبول بجائزة «نوبل» موقفاً وجودياً، بحيث أعلن عن حريته في الرفض. وفي أي حال، الخلط بين مواقف سارتر في السياسة وفي الفلسفة ليس جديداً، بل إن

> **يجب أن ننتبه إلى ماركسيته، التي انطلق منها لرفض أي منحى بورجوازي**

الفيلسوف الفرنسي نفسه صعّب الأمر كثيراً على غير عارفيه. لكن أبو خليل، أجاد التقاط التلازم بين «الوجود والعدم» من جهة، و«الغثيان»، كعمل أدبي خالص، من جهةٍ أخرى، وكان مصيباً، في أن الوجود، كما يراه هايدغر: موجود هناك. ومن النقاط الأخرى التي تناولتها المحاضرة، هي رفض سارتر للكليات أيضاً، وإصراره على إجبارية الحرية، ذلك بما أن الإنسان موجود لذاته، وليس موجوداً لغيره، وما يتبع هذا من شهية إلحادية، تفادى أبو خليل الحديث عنها، واستعاض عنها بتلميح موفق من المدونة السارترية، بحيث أشار إلى أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي سبب مجيء العدم إلى الوجود.

في الخلاصة، كان البحث في بيئة «المعارف» وبين أهلها بادرة مميزة، وإن لم يحضر عنوان المحاضرة في اللقاء، أكثر من الحديث عن سارتر الإشكالي نفسه. وهذا ما خلص إليه الباحث عندما ختم أن مذهب سارتر «الإلحادي» هو آخر المذاهب الجدية في هذا الإطار، لأن المذاهب الأخرى لا تنفي بقدر ما تشكك. الوعي الذي هو نوع من أنواع اليأس يكون عالقاً في الداخل، وسببه هو نفسه ـ أي سببه أن صاحب الوعي يعرف ما يظهر أنه يعرفه وحسب ـ مرّ عابراً في المحاضرة عند الحديث عن الآخر بصورتيه الاعتبارية والحقيقية.

في هذه النقطة، أوضح أبو خليل ما يجب إيضاحه، أي التناقض مع ديكارت، بحيث كان سارتر قلقاً دائماً من وجود الآخر. ذلك لأن الالتقاء مع الآخر، لا يكون ضمن موقع تاويلي يوضع الآخر فيه، بل هو قبل ذلك التقاء معه من موقع تاويلي نضع أنفسنا فيه. وما لم يكن واضحاً، هو علاقة سارتر بهوسرل، حيث كان من الإنصاف، التذكير بالوعي عن هوسرل، أي أن الوعي هو وعي بشيء ما، له وجهة محددة، تماماً مثل الضوء عندما يحل على الأشياء فتتضح. وكان من الأجدر، هنا، تعريف، ولو بسيط، للوعي في فلسفة جان بول سارتر، كما يشي عنوان المحاضرة. في الواقع، اعترض سارتر على رؤية هوسرل للأنا المتعالية، لأنه كان يخشى انقسامات الوعي على نفسه، وتالياً موته. وكما يتضح في «الوجود والعدم»، لا يوفر سارتر جهداً لإفراغ الوعي من كل ما يعتبر أنه ليس وعياً أو متعلقاً بالوعي، في الواقع لقد رغب سارتر بتحويل الوعي إلى صحراء.

المازق الفلسطيني

لم يتطرق بحث يوسف أبو خليل إلى الإرث، أو الموروث، المتداول بين المثقفين الأوروبيين، الذي «دشنه» جان بول سارتر، أو دشن حملة الدفاع عنه، ومفاده أن اليهود الأوروبيين هم مجرد ضحايا للهولوكوست، وليسوا مستمعرين بيض، بدأوا حملاتهم مع الاستعمار الإنكليزي وفي صفوفه قبل الاضطهاد النازي. وفي الندوة «المحلية» أول من أمس، وبالتطرق إلى مواقف سارتر السياسية (بمعزل عن الجزء المشرف منها والمتعلق بالاستعمار في الجزائر مثلاً)، كان واضحاً أن سطوة الفيلسوف الفرنسي، التي كانت سارية على أبناء جيله، مستمرة في الزمن، على أبناء جيلنا. فكما كان ريمون آرون، تحت سارتر دائماً في زمانه، بحيث كانت ماركسيته فوق كل شيء، يبدو واضحاً أن جيلاً عريضاً من المهتمين في الفلسفة هنا، لا يزال يخشى الحديث عن مأزق السارترية في فلسطين، وأن هناك مزجاً بين «المسألة اليهودية» كما يراها سارتر، وبين آرائه المؤيدة للصهيونية.

جائزة نواة

إخراجُ المقاومة

محمد مهدي عيسى

«ضربة عنيفة مستقيمة بعصا عوجاء» (قول رقيق جامايكي)

يعود الفضل إلى فرانز فانون في إفهامنا قيمة العنف ودوره الحاسم في دفع الحراك التحرري إلى نهايته المرجوة وهي أن يصبح الأواخر الأوائل؛ أي أن تكون الغلبة للمستعمَر على المستعمِر. لكن إضافة فانون الثرية والمتحصلة من خبرته واشتغاله بالطب النفسي في الجزائر المستعمَر حينذاك، تكمن في لحظه للدور العلاجي للعنف بوصفه خياراً تطهّرياً من ندبات الذل والمهانة التي يحدثها الاستعمار في نفسه. لكن ما ينبغي التنبه له أن هذا العنف المطهّر لا ينفجر كما لو أنه فعل انعكاسي، فهو ليس ردة الفعل «الطبيعية» على الاحتلال، ورشّ الأرز على المحتّل هو تعبير له ما يماثله في جميع الحروب. أما تشبيه فعل المقاومة بالانفعالات والانعكاسات الجسدية نتيجة الألم، فما هي إلا استعارة مضللة. إن المقاومة لا تقوم على مرجعية طبيعية بقدر ما تقوم على مرجعية ثقافية قد نجدها خارج السياسات الظاهرة والخطابات المعلنة، لكنها حتماً حاضرة في ما وراءها. وما يجعل المقاومة ممكنة ويفجرها لاحقاً هو ذلك المحرّك المكون من أدوات واستراتيجيات وتكتيكات ثقافية تشكل البنية التحتية لأي فعل مقاومة، بحيث لا يشكل العنف المادي إلا مرحلة متأخرة عن العنف الثقافي والرمزي الذي يمارسه المغلوب تجاه الغالب.

فلتفسير وضعه ومعرفة ما ينبغي فعله والتنبُّؤ بمستقبله، يستعين المستعمَر بحقيبة من الأدوات الثقافية (الشعر، الخرافة، الأسطورة، والطقوس..) المصانة في ذاكرة الشعب الجمعية. هذه الأدوات وتأويلها قد تؤدي إلى تأجيج الصراع أو تبريده كأن تصبح هذه الأدوات وسيلة لتفريغ الحنق الداخلي بدلاً من أن تكون منطلقاً لإثارة الغضب ودفع الرغبة بالانتقام إلى مداها الأقصى. وسواء أكانت الحكاية (راجع كتاب إيريك سيليين، «قوة الحكاية: الثورة والتمرد والمقاومة») أم المسرحية أم غيرها من الأدوات والخطابات المصاغة بإتقان خلف مسرح الأحداث، هي التي تؤدي إلى خلق مجتمع واحد مشترك، تؤمّن فيه رموز وثيمات وشخوص، الإدراك والمعرفة وخطط العمل اللازمة للانتقال نحو عالم أفضل.. فإننا، في الحالات جميعها، نجد أنفسنا إزاء عنفٍ ثقافيٍ مؤسسٍ لأي «تدافع» مادي لاحق.

ليست صدفة أبداً أن تكون الفئة «الأقل تثقيفاً» من الشعب، هي الفئة التي تقف في مقدمة الحراك الاجتماعي والسياسي، والأكثر إمداداً لأي نشاط ثوري أو مقاوم. نقول «الأقل تثقيفاً» بمقاييس الثقافة النخبوية، لكن نظراً إلى ما تملكه هذه الفئة من ثقافة شعبية زاخرة، فإنها تعدّ الأغنى والأكثر قدرة على تقويض الثقافة الرسمية والسرديات المهيمنة التي ينتجها الغالب. فهؤلاء، ونظراً إلى ذاكرتهم الجمعية الثرية ولتراثهم الشفوي المليء بحكايات الأبطال والمُلهمين والملاحم والمأثورات والخرافات والشعر الحماسي التي يستطيعون تكييفها وعصرنتها وشحنها بالمزيد من الدلالات، هم الأقدر على تحدي التواطؤ الرسمي وعلى الإشارة إلى طرق أخرى أمست متجاوَزة.

المسرح العاشورائي: «ضد الطغاة»

إنه عام 1982، اليوم الأول من شهر محرم. مجموعة صغيرة مؤلفة من تسعة شبان يلبسون الأسود، ويحملون لافتةً خُطّ عليها: «ثورة الحسين مدرسة الثائرين ضد الطغاة»، يعبرون أحياء قرية مجدل سلم باللطم وترديد الشعارات الحسينية. لاحقاً، خلال الأيام الأولى من محرم، تضاعف عدد المشاركين الذين توافدوا من قرى مجاورة، فألبسوا ثياباً خاصة كانت تخيطها النساء. إحداها بيضاء كالكفن طبع عليها شعار «عشّاق الشهادة» مخصص للرجال، وآخر للشباب طبع عليه شعار «هيهات منا الذلة». كان الحشد الأكبر في اليوم العاشر من محرم، حيث رُفعت صور للسيد الخميني ولافتات كتب عليها «الموت لإسرائيل» وغيرها.. كانت أولى نتائج هذه التحركات: مصادمات شعبية مع الجيش الإسرائيلي، ترهيب السائرين بتحليق طائرة مروحية فوقهم، محاولة قوات الطوارئ الدولية إيقاف المسيرات، قصف المسرح، وفي وقت آخر محاولة اغتيال أحد المؤسسين للحراك العاشورائي هو الشيخ علي ياسين. لكن كيف واجه الأهالي ذلك؟ لقد كان تحدي المواصلة أكثر تحفيزاً: لم يرضخوا للتهديدات، عبّروا عن رفضهم لإيقاف المسيرات بشعارات خطّوها على الجدران، ورفعوا قبضاتهم حين حوّمت المروحية فوق رؤوسهم. أما قصف أرض المسرح، فلم يمنع الأم من اصطحاب ابنها لمشاهدة المسرحية.

في عامي 1983-1984، صار النشاط أكثر تنظيماً؛ زاد عدد الأهالي المتطوعين بالتنظيم والإطعام، وعرضت بعض اللوحات المسرحية العاشورائية بشكل يومي. وهنا يجدر التوقف قليلاً. لا يذكر أيٌّ من محدثيَّ: محمد ياسين (منظم مؤسس) وموسى ياسين (مخرج مؤسس) الزمن الذي كانت تُعرض فيه المسرحيات العاشورائية، لكنهما يؤكدان أن انقطاعاً طويلاً أصاب هذا التراث الذي بدأه الأجداد. لكن، لماذا أعيد إحياء المسرح العاشورائي في هذه الفترة تحديداً؟ أليس ذلك استجابة ومواجهة للاحتلال؟

هذه اللوحات المسرحية تطورت على يد خضر وهب وآخرين، حيث جرى الإعداد لمسرحية كبيرة عرضت في 1985. وهيّ هذا، هو واحد من الشبان التسعة الذين أطلقوا هذا الحراك، والذي لا تزال الفرقة المسرحية تحمل اسمه بعد استشهاده. وبدءاً من هذا العام، صار المسرح العاشورائي مسرحاً سنوياً، يشارك في إعداده وتنظيمه مئات الأشخاص.

يذكر محمد ياسين أن المشاركين في التمثيل

> **التحدي الأكبر أمام أي حركة تحرير ومقاومة هو تحويل القضية الجماعية إلى مسألة فردية**

والتنظيم هم غالباً من المقاتلين على الجبهات. بعضهم كان يختار إجازته في عاشوراء ليشارك في العمل، ويسرد قصصاً عن معونة الأهالي وحرصهم في تثبيت هذا المشروع، كقصة المرأة التي تنتج أرضها مقدار غالونَي زيت، تحتفظ بواحد وتبيع الآخر لتسهم معهم بثمنه، وأخرى تصر على أن تمد المسرح من بستانها بسعف شجر النخل كديكور. أما بشأن الانطباعات والمشاعر التي تخلفها المسرحية بمشاهديها، فيُذكر أنه جرى تخليص ممثل دور «الشمر» (قاتل الحسين) غير مرة من بين أيديهم، كما أطلق الأهالي على الوادي الذي تقام فيها المسرحية اسم «كربلا».

في العام نفسه - أي 1985 - عرضت الفرقة مسرحية «أبو علي في ظل الاحتلال» وهي المسرحية الأولى التي تطرح موضوع المقاومة والصمود بشكل مباشر. يقول موسى ياسين: «في هذه السنة، كنا نعرض مسرحية حسينية يومياً بعد المسيرة، وكانت هذه المسرحية إحداها، تتحدث عن أب يستشهد ابنه وعن معاناته مع الاحتلال، وعن الصمود والثورة والنصر». انطلاقاً من هذه المسرحية، عملت الفرقة على إنتاج أعمال أخرى تحاكي صمود الشعب ومقاومته للمحتل كمسرحية «جرح أرض» التي عرضت في قرى ومناطق مختلفة في الجنوب وفي بيروت قبل التحرير وبعده، و«أشرف الناس» التي تروي قصصاً عن صمود الناس في حرب تموز 2006، كان قد جمعها المخرج موسى ياسين من ذاكرة الجنوبيين.

«أحرارا في دنياكم»

التحدي الأكبر أمام أي حركة تحرير ومقاومة، هو تحويل القضية الجماعية إلى مسألة فردية وهم شخصي. والطريقة الأنجع لتحقيق ذلك هو الموالفة بين السياسة والثقافة، وهذا ما استطاع حزب الله إنجازه ونجح فيه. فالقضية لا تصان بالنظرية أو بالخطاب والاستعراض السياسي، وإنما يصونه الركن الحرام والمقدس القائم في قلب الشعب، والوعي الفطري الذي لم تشوشه المراوغات الإعلامية والسياسية. لكن الثقة بالشعوب بعيداً عن التبجح الخطابي، ليست مهمة سهلة للطامعين بتصميم الشعوب على مقاسات أفكارهم. وتثبيت أي حراك تحرري في عمق وجدان الناس، ليس الوجهة البديهية لنخبنا الذين يتأنفون من مخالطتهم أصلاً! لذا كان الانتصار الأهم الذي حققته المقاومة هو في انبثاقها من الشعب، وفي إعادته إلى المقدمة.

إن هزيمة الحسين التي انتهت بمقتله، هي التي جعلت مقتل الجنوبيين فاتحة لانتصارهم. لقد حددت لهم الاستعادة للملحمة التاريخية خطة العمل وشكل الصراع والقيم الأخلاقية الواجب عليهم حفظها. «لأن فكر الناس صافي، فإن قول الإمام الحسين: كونوا أحراراً في دنياكم، يضحي كافياً لدعوة الناس إلى الثورة» يقول موسى ياسين الذي يربط بين العدد الكبير لمقاتلي وشهداء مجدل سلم ووجود المسرح العاشورائي في البلدة. فالرمز للشعب وإن كان في أقاصي التاريخ هو حي . في كل لحظة . فيهم، بوجوه أخرى ومعان خضراء. يخوض حروبهم. يصد القنابل ويسدد الرمايات. وسواء في مجدل سلم أو النبطية أو أي قرية أخرى، فهم الشعب التاريخ في حاضره جيداً، مثلما عبّر الراوي في فيلم «زهرة القندول» عن تصدي المشاركين في المسرح العاشورائي للصهاينة: «بدل ما يطلع عبد الله من المسرح إجا من خلف الجموع.. بدل الرجالة رجع بالدبابات وبدل الخيالة رجع بالطيارات.. يا أبا عبد الله، اليوم يوم ثورتك مش يوم عزاك».

فرانز فانون

المقالة الفائزة في «جائزة نواة للأفكار الإبداعية 2017» التي ترعاها «الأخبار»، وقد فتح أخيراً باب المشاركة في دورة 2018

الأخبار
al-akhbar
السبت 28 نيسان 2018 العدد 3454

جوائز «بي. بي. سي. عربي للأفلام والوثائقيات»

سوريا الرابح الأكبر... وإليان الراهب نجمة الوثائقي

لندن ـ **زينب حاوي**

يقف بضعة زوار أجانب بلا كلل ولا ملل أمام البوابة الخلفية لمقرّ bbc في وسط لندن. يعلمون أن الوقت مبكر لدخول «مهرجان بي. بي. سي. عربي للأفلام والوثائقيات» لكنهم يفضّلون الانتظار ولو لساعة كاملة في الخارج. أما في الداخل، فالأنظار مشدوهة نحو الشاشة العملاقة، التي وضعت في مسرح الإذاعة هناك. وجوه غير عربية، تنتظر مشاهدة إنتاجات شباب وشابات عرب، أفسح لهم المجال، للتعبير عن قضاياهم الملحّة والراهنة بعدساتهم عبر بوابة الشبكة البريطانية العريقة، على أن يحظى الرابحون/ ات، لا سيما الشباب، بدعم لمشاريعهم الجديدة، وبتدريب وتوجيه من قبل bbc.

في الدورة الرابعة من المهرجان التي اختتمت قبل يومين، طغى لون الدم والحرب، توسطهما: الإنسان. شرائط تناولت الجماعات الإرهابية الدموية، أكان في سوريا أو العراق. كذلك، خصصّ حيّز للأزمة السورية، عبر إفراد نهار كامل لعرض خمسة أفلام تتوزع فئاتها بين الوثائقي الطويل، والقصير، والتقرير الصحافي. ولم تغب القضايا الحيوّية التي شغلت الشارع العربي أخيراً، وتنقلت بين بلدان عدّة من ضمنها: مصر التي تحدثت بعدسات شبابها عن الأساليب الوحشية للشرطة المصرية، والحواجز اليومية التي تعيق مصائر المواطنين، والمرأة ومواجهتها للمجتمع بعد الطلاق، لا سيّما في المناطق النائية. أكثر من 17 شريطاً، عرضت في المهرجان، الذي امتدّ على ستة أيام، وسط مشاركة من سوريا، والجزائر، وتونس، ومصر، وفلسطين، وبلدان غربية عدة. تخللت الحدث، طاولات نقاش تلت عرض كل فيلم، إذ فتح المجال أمام الجمهور الحاضر، لطرح أسئلته على صنّاع الأفلام. وللمرة الأولى، طرح على طاولة البحث، مستقبل الصحافة الرقمية، والتمظهر الجديد لها، والتفاعل العالي الذي تلقاه على الشبكة العنكبوتية، من شرائح عمرية مختلفة، مع منتجين رقميين ومراسلين، أكان في bbc، أو cnn.

من شريط «ميك يا غزيل» الذي حاز جائزة «افضل فيلم وثائقي طويل»

إذاً، مروحة متنوعة شملت جوانب حياتية اجتماعية، سياسية، وإنسانية، خيّمت على مهرجان «بي بي سي. عربي للأفلام والوثائقيات»، مع تنافس أفلام تعرض للمرة الأولى، وأخرى عرضت أخيراً، تحت أعين لجنة تحكيم، تضم خبراء وإعلاميين/ات مخضرمين/ات، وزعوا أحكامهم على هذه الشرائط، ومنحوا الجوائز للفائزين/ات عن ستّ فئات.

على مسرح الإذاعة في bbc، أعلن أول من أمس عن الفائزين بجوائز المهرجان السنوي. ستّ جوائز، وزعت عليهم، تبعاً للفئات المتنافس عليها. الحصة الأكبر كانت من نصيب سوريا. إذ حصد فيلم «يوم في حلب» (24 د ـ 2017) لعلي الإبراهيم فئة «الصحافي الشاب». فيلم صامت، يصوّر بكاميرا حيّة، وأخرى جوية متقدمة، جوانب الحياة المعيشية في مدينة حلب السورية. قصف عنيف، وجثث وضحايا بلا أسماء، وأصوات سيارات الإسعاف والإنقاذ، نشاهدها في فيلم الإبراهيم، من دون أن نرى بشكل علني أي طيف سياسي. 24 دقيقة صامتة، تتخللها موسيقى حزينة، تقرّب المشاهد/ة، من أفظع صور الحرب السورية، وأشدّها فتكاً. وعن فئة «أفضل وثائقي حواري»، حاز الجائزة الثلاثي أيوب القاسم، أحمد الذيابات، ومروان البياري عن عملهما «ليش؟ 6) «why? د). الشريط سرد لمعاناة لاجئين سوريين، يعملون في الأردن، ليعيلوا عوائلهم، مع بقاء حلمهم الأساس بدخول المدارس كباقي جيلهم.

على غلاف الملصق الخاص بالمهرجان، صورة لـ «هيكل»، بطل فيلم «ميّل يا غزّيل» (51 دقيقة)، للمخرجة اللبنانية إليان الراهب، التي حصدت بدورها جائزة «أفضل فيلم وثائقي طويل». تلاحق كاميرا الراهب هيكل الرجل الستيني في منطقة «الشمبوق» الواقعة في أعالي جرود منطقة عكار، والقريبة من الحدود السورية-اللبنانية. عبر لغة سينمائية توثيقية بسيطة، ترسم المخرجة اللبنانية، جملة معضلات تخيم على المنطقة جراء الأزمة السورية، وأخرى ما زالت راسخة منذ زمن الحرب الأهلية، الا وهي الحدود الديموغرافية والطائفية. عبر «هيكل» الرجل المتشبث بأرضه، والرافض لمنطق التقسيم، تطل الراهب على تلك المنطقة الوعرة والآسرة في آن، لتلتقط أحوال السكان، وتخرج ما في نفوسهم عن الآخر، أكان السوري أو «ابن البلد». الجوانب المتعددة لقضية اللجوء السوري تحطّ في فيلم «الصمت» للمخرجين الايرانيين فرنوش صمدي، وعلي أصغري. شريط نال جائزة «أفضل فيلم قصير». 14 دقيقة يحاكي فيها المخرجان معاناة لاجئتين كرديتين، تصلان الى إيطاليا، ويصعب على الطرفين فهم الآخر. الجائزتان الأخيرتان، كانتا من حصة المحروسة: الوثائقي الطويل «بلد مين؟» للمخرج محمد صيام الذي يصوّر ويوثق بعدسته أحوال الفساد والاهتراء داخل أجهزة الأمن المصرية. أما الجائزة الأخيرة، فقد حظي بها فيلم «المدينة التي هجرها الرجال» للمخرجة حنان يوسف عبد الله، عن فئة «أفضل وثائقي قصير». هنا، تأخذنا المخرجة المصرية، الى النوبة، وأسوان. تعرّفنا الى نساء، تركهنّ أزواجهنّ وسط كمّ هائل من المسؤوليات ومشاكل الانفصال وإعالة الأطفال. تروي عبد الله، التحديات التي تقع على عاتق النساء هناك، والأعباء الاجتماعية، التي تودي بهن الى عيش ظروف صعبة، لكنّهن يبرهن عن قوة جبارة رغم النظرة السلبية التي يرمقها بهنّ المجتمع.

تخليد ذكرى رحيلها الأربعين على جدار «صوت الشعب»

تانيا صالح: هدية الوفاء إلى ريم بنّا

على حائط الاستديو الذي سجّلت فيه ريم بنّا (1996 ـ 2018) مقابلتها مع فاتن حموي عبر أثير «صوت الشعب» قبل سنوات، رسمت الفنانة اللبنانية تانيا صالح غرافيتي، خلّدت من خلاله ذكرى صديقتها وزميلتها الفلسطينية التي خسرت معركتها الطويلة مع السرطان. «الموت كالتاريخ فصل مزيّف»، عبارة كتبتها ابنة الناصرة على السوشال ميديا قبل أيّام من وفاتها في آذار (مارس) الماضي، وأرادت صالح أن تجمّل بها الجدارية المهداة إلى ريم في ذكرى مرور أربعين يوماً على رحيلها. «أردت أن أفعل شيئاً في هذه المناسبة، ولا سيّما أنّني لا أستطيع أن أكون إلى جانب أسرتها ومحبيها في فلسطين المحتلة»، تقول تانيا في اتصال مع «الأخبار». وتوضح أنّ هذه الكلمات «تختصر شخصية ريم وطريقة تفكيرها... هذه كانت رسالتها الأخيرة القوية التي تركت في نفسي أثراً بالغاً»، مضيفة أنّ الرسمة كانت جاهزة، و«كنت أريد إنجازها في مكان ما في بيروت، لكنّني فضّلت أن تبقى في مكان تحبّه ريم لأطول فترة ممكنة، فوقع الخيار على «صوت الشعب» التي أشكرها على تعاونها وعلى منحي هذه الفرصة».

الفن العربي الحديث: وثائق أولية

بالتعاون مع «متحف الفن الحديث»، يشهد «متحف سرسق» اليوم السبت إطلاق كتاب «الفن الحديث في العالم العربي: وثائق أولية» بالإنكليزية (تحرير: أنيكا لينسن، سارة رودجرز وندى شبوط)، يسبقه نقاش مع المحرّرات، تديره زينة عريضة، مع مقدمة لغلين د. لوري. يضم الإصدار الجديد كتابات فنية ونقدية لمفكّرين وفنانين عرب من القرن العشرين، يُنشر بعضها للمرّة الأولى، وتتناول على اختلافها قضايا «تشكيل الحداثة، والفن، والروحانية، والأصالة، وسياسة معارض الفنون بعد الاستعمار، والقومية العربية، وغيرها»، وفق المنظمين.

اليوم ـ الساعة الخامسة بعد الظهر ـ «متحف سرسق» (الأوديتوريوم ـ الطبقة السفلية الثانية ـ الأشرفية/ بيروت). الدخول المجاني. للاستعلام:01/202001

معاناة «المقعدين» بعدسة ماهر أبي سمرا

يدعو «نادي لكل الناس» وجمعية «السبيل»، بعد غدٍ الاثنين إلى حضور الفيلم اللبناني القصير «هيك قالوا» (26 د ـ 2016) في المكتبة العامة لبلدية بيروت (الباشورة)، يليه حوار مع مخرجه ماهر أبي سمرا (53 عاماً ـ الصورة). الشريط الذي أنتجه «اتحاد المقعدين اللبنانيين»، يسلّط الضوء على مختلف أشكال المعاناة التي يواجهها ذوو الاحتياجات الخاصة في لبنان، والتفاصيل التي تعرقل تحقيقهم لطموحاتهم، بدءاً من العائلة، وصولاً إلى مكان الدراسة والعمل.

عرض فيلم «هيك قالوا»: الاثنين 30 نيسان (أبريل) الحالي ـ الساعة السابعة مساءً ـ المكتبة العامة لبلدية بيروت (الباشورة ـ بناية الدفاع المدني ـ الطبقة الثالثة). الدعوة عامة. للاستعلام: 01/667701 أو 03/888763

الأركيولوجيون الصغار في «دار النمر»

بدءاً من اليوم السبت، وعلى مدى 4 مواعيد، تدعو «دار النمر للفن والثقافة» إلى المشاركة في ورشة عمل للأطفال (بين 8 و13 عاماً) بعنوان «بحْبَشة»، تنظّمها جمعية «موزيولاب»، يتمكّن من خلالها الصغار من اكتشاف علم الآثار ليوم واحد بواسطة 3 أنشطة «تفاعلية وعلمية وتطبيقية». يأتي هذا الحدث ضمن برنامج معرض «ثلاثي الخيال العلمي»، ويمكّن الصغار من أن يعيشوا تجربة عالِم آثار ليوم واحد، ويدرسوا القطع الأثرية المستخرجة في المختبر، ويتفحّصوا عن قرب العلامات الموجودة على بقايا الحيوانات...

اليوم، 5 و12 و19 أيّار (مايو) المقبل ـ الساعة الحادية عشرة قبل الظهر ـ «دار النمر للفن والثقافة» (كليمنصو ـ بيروت/ ط 3). للاستعلام: 01/367013 أو activities@darelnimer.org

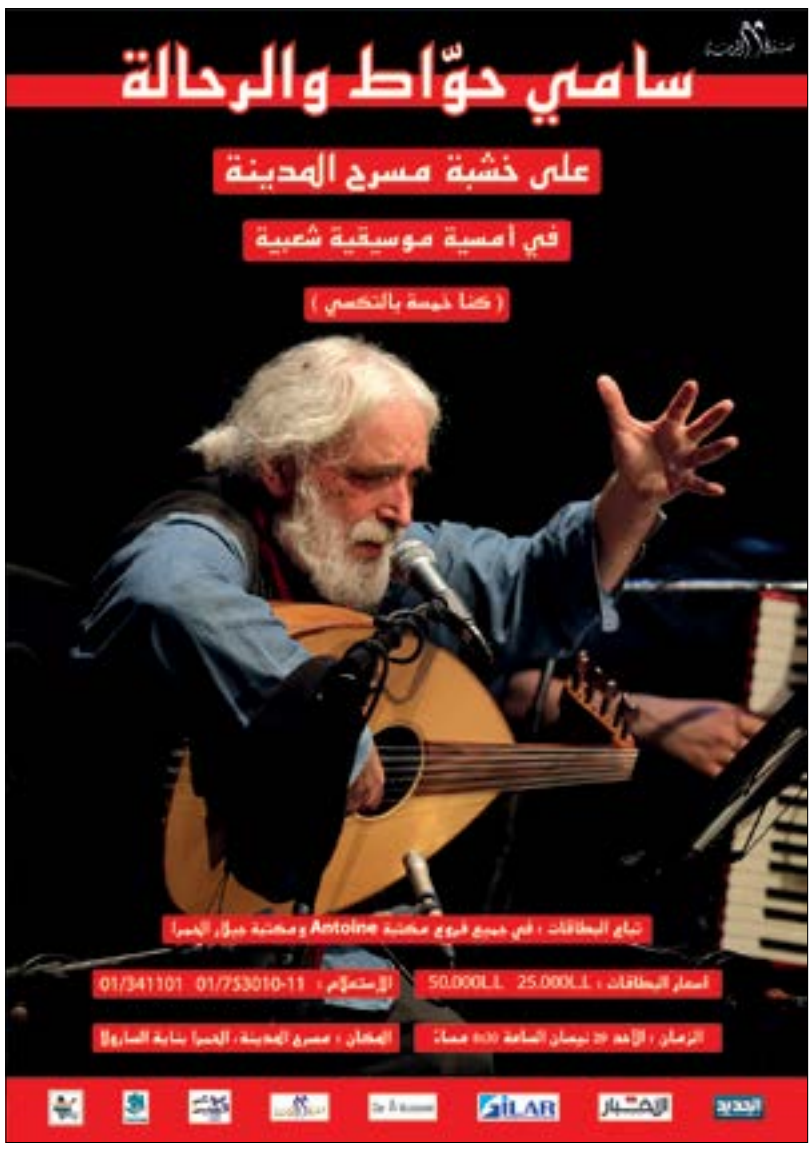

كلمات

الأخبار al-akhbar

www.al-akhbar.com

السبت 28 نيسان 2018 العدد 3454

(اون فريمان)

يو نيسبو
ماكبث الأزمنة الصناعية

ليست المرة الأولى التي تجد فيها مسرحيات وليم شكسبير (1564 ــ 1616) طريقها إلى الخيال المعاصر، حتى بعد أربعة قرون على رحيله. لحظات الذروة وحبس الأنفاس لدى الكاتب الإنكليزي دفعت جيمس ثيربر إلى البحث عن ماكبث في إحدى روايات أغاثا كريستي في قصته «لغز جريمة ماكبث». لكن ما بدأه الكاتب الأميركي في ثلاثينيات القرن الماضي، رسّخته دار «هوغارث برس» كتقليد دائم ضمن مبادرة بعنوان «هوغارث شكسبير» عام 2012. وفيها، تدعو دار النشر العريقة روائيين معاصرين إلى إعادة إحياء أشهر مسرحيات شكسبير في روايات خيالية، ووضع شخصياتها وأفكارها الخالدة في مناخات الراهن. البريطاني هوارد جاكوبسون اقتبس روايته عن «تاجر البندقية»، وآخرون استعادوا «الملك لير» و«هاملت». أما التجربة الجديدة، فهي للكاتب النرويجي يو نيسبو (1960)، الذي يدعو ماكبث هذه المرة. لدى أشهر كتّاب الرواية البوليسية فائض من الخيال الإجرامي لنَقل هذه التراجيديا الدموية التي تدور أحداثها في اسكتلندا، إلى مدينة صناعية في سبعينيات القرن الماضي. يثير نيسبو صراع السلطة في مدينة مصابة بالبطالة، لا يتوقّف فيها المطر عن السقوط. قد تبدو كمدينة غلاسكو الاسكتلندية بعض الشيء، إلى أن يأتي الوقت الذي تقفل فيه المصانع أبوابها، وتتوقّف حركة النقل على سكك القطارات. البطل ماكبث هو محقق في فرع الشرطة التي ليست سوى عصابة مسلّحة أخرى. بين الحين والآخر، تُواجِه تاجرَين صينيين يسيطران على سوق المخدّرات بأكمله. يكثّف نيسبو لحظات التشويق الموجودة أصلاً في مسرحية «ماكبث»... هذه السمة التي استفاض الناقد البريطاني توماس دي كوينسي في الكتابة عنها في أشهر مقالة له نشرت عام 1823، وظهّر فيها أيضاً قدرة شكسبير الهائلة على النفاذ إلى الجانب المظلم من العقل البشري؛ أبرزها الجريمة.

ملف

الإعلامي الذي أخذته «ثورة يناير» إلى الأدب

أحمد خير الدين: التاريخ بلسان الشعب

مع بداية شهر شباط (فبراير) من العام المنصرم، أعلنت «دار الشروق» إصدار كتاب بعنوان «من الشباك»، كُتبَ عليه «كتاب قصصي». غلاف أحمر عليه اسم الكاتب أحمد خير الدين، الذي اقترن بالصحافة والإعلام التلفزيوني في السنوات السابقة. بدأ مسيرته الصحافية في جريدة «الدستور» عام 2008 في قسم الفن. بعدها انتقل للعمل كمراسل في أحد البرامج التلفزيونية، وشارك في تغطية أحداث الثورة المصرية من داخل ميدان التحرير. ثم انتقل إلى واحد من أهم البرامج التلفزيونية بعد الثورة، «آخر كلام»، للإعلامي يسري فودة، قبل أن يصبح مذيعاً للأخبار. اقترن اسم الكاتب في السنوات السابقة ببعض المقالات في الصحف المصرية. هذه الخلفية الصحافية جعلت بعضهم يتوقع أنّ الكتاب جمع لمقالاته المنشورة في الصحف، خصوصاً أنّها ظاهرة انتشرت لكتّاب الصحافة بعد الثورة. مع صدور الكتاب، فوجئ بعضهم بأنّه قصص قد تصنَّف ضمن أدب السجون، لأن أحداثها تدور في سيارة الترحيلات، التي بدأ الحديث عنها بقوة في الصحف المصرية بعد تكاثر الحوادث داخلها بعد الثورة. أشهر تلك الحوادث، كانت سيارة ترحيلات «أبو زعبل» التي راح ضحيتها 37 سجيناً مصرياً في سيارة شرطة خارج «سجن أبو زعبل»، مختنقين بالغاز بعد احتجاز ست ساعات في سيارة الترحيلات. حاول الكاتب الثلاثيني التقاط الخط الإنساني وراء الأحداث، والبحث عن الرواية الشعبية وراء الحكايات التي تدور داخل سيارة الترحيلات. التقيناه فكان هذا الحوار:

أجرى الحوار **مازن حلمي**

■ كيف نشأت لديك فكرة الكتاب؟

كان لديّ انشغال تاريخي بفكرة سيارة الترحيلات، تحديداً عندما بدأت الاهتمام بالمشهد السياسي. بدأت القصة عندما علمت بموت سجين من مدينتي «دمياط» داخل سيارة الترحيلات. من وقتها بدأ الحديث عن التعامل الأمني مع المواطنين داخل السجون وضعف الإمكانات. بقيت تلك القصة في ذاكرتي إلى أن اندلعت «ثورة يناير» وسمعت قصة أحد أصدقائي الذي حكى أنه لم يعش أجواء 28 يناير 2011 بسبب القبض عليه صباح ذلك اليوم وخروجه ليلاً. أصبحت تفاصيل ذلك اليوم هو ما رآه من داخل سيارة الترحيلات. بعد ذلك بسنوات، وقعت حادثة أبو زعبل، التي راح ضحيتها 37 سجيناً داخل سيارة الترحيلات.

بدأت تتكون لديّ قصص وصور مختلفة لأناس داخل سيارة الترحيلات. بدأت أهتم بكيفية خوض الناس لتلك التجربة بأشكالها المختلفة، سواء بالنسبة إلى الشخص الذي تكون وسيلته لرؤية العالم، أو ذاك الذي قضى بداخلها يوماً واحداً فقط، أو حتى الشخص الذي تكون سيارة الترحيلات أولى محطاته في تجربة السجن.

■ هل شعرت بالتخوف من الكتابة في هذا النوع من الأدب؟

نعم، كان لديّ بعض المخاوف. حتى الآن، تطرح عليَّ أحياناً أسئلة حول طبيعة الكتاب الأدبية. الأسئلة ذاتها طرحت بعد فوز سفيتلانا ألكسيفيتش بجائزة «نوبل للآداب»، وحول الطبيعة الأدبية لهذا الشكل من الكتابة. لكن عكس ذلك هو ما حدث معي، منذ اللحظة الأولى التي قرأت فيها كتاب «أصوات من تشيرنوبل»، شعرت أن هذا عمل أدبي، وأحب كتابة هذا الشكل.

■ لماذا هذا النوع من الأدب بالتحديد؟

أنا رجل أعمل في مهنة الأخبار، وكثيراً ما يمرّ عليَّ خبر من قبيل موت 15 شخصاً وإصابة العشرات، وهذا ما دفعني إلى التفكير في خلفية هؤلاء الضحايا وطبيعة حياتهم قبل ذلك الحادث. في إحدى المرات، توقفت عند جملة أحد الأصدقاء، حِينَ قال: «أسوأ ما في تجربتنا في الثورة، أن كل ما نعيشه من أسى ومعاناة، سيختصر مستقبلاً في كتب التاريخ كالآتي: وسادت مصر فترة من القلق». كنت منزعجاً من فكرة تلخيص كل تلك المعاناة التي يمر بها جيل كامل في جملة واحدة. مع تكاثر الحوادث، تأكدت بداخلي فكرة كتابة هذا النوع، ولست منشغلاً بطبيعة تصنيفه الأدبي. في إحدى المرات، تناقشت مع الدكتورة سحر الموجي حول تصنيف هذا الشكل على أنه أدبي، وأخبرتني أن فكرة اختيار الزاوية بحدّ ذاتها عمل أدبي. أرى أن ذلك مناسب لي، ولا أقارنه بتجربة سفيتلانا ألكسيفيتش، رغم امتناني لها على عثوري على هذا النوع من الكتابة، لكنها كانت منشغلة بحوادث أكبر من تلك التي تناولتها في كتابي. لكن في النهاية، المشترك بيننا هو الاهتمام بالخط الانساني خلف أي حادثة كبرى.

■ ما الفارق بين أن تكتب هذا النوع من الأدب وأن تكتب الشكل العادي من الأدب؟

لم أجرّب النوع الآخر من الكتابة. صحيح أنا متلقٍّ وقارئ جيد له، لكن حتى الآن لم أجرب هذا النوع من الكتابة، ربما يحدث ذلك في المستقبل، لكن الآن أنا مهتم أكثر بالرواية الشعبية للحوادث التي مرَّ بها الناس.

■ هل ترى أنه مرّ وقت كاف للكتابة عن الأحداث التي تبعت الثورة؟

هذا ربما يكون مأخذ بعض الناس الذين يرون أن الحادث لم يبتعد عنّا تاريخياً بالقدر الكافي، حتى نكون قادرين على الكتابة عنه. لكن في الوقت نفسه، أشعر أنه يجب تسجيل هذا الأمر بمشاعره الحالية لأجيال قادمة، قد تسألنا عن دورنا داخل تلك الأحداث. السؤال نفسه يشغل أي شخص مرَّ بذلك، وكنا نحنُ نسأله لجيل السبعينيات، وقد صرنا نخاف من أن يطرح علينا السؤال نفسه في المستقبل.

■ كيف استقررت على طبيعة اللغة التي تكتب بها هذا النوع من الأدب؟

أظن أنّ ذلك مرتبط بالخلفية الصحافية والهدف الذي هو توثيق الأحداث التي رواها أصحابها، لا نقلها كما هي، لكن التدخل في حدود ضيق.

■ هل القصص الموجودة حقيقية؟

كل تلك القصص حقيقية، من لقاءات تمت على مدار عامين.

■ هل تسربت إليك الغواية الأدبية وأنت تكتب وحاولت أحياناً استخدام الخيال؟

ما سمعته كان أصعب من الخيال، مثل تركيبة المواقف والمشاعر عند السجانين. لو استخدمت خيالي، لما وجدت هذا الشخص الذي يتعامل أحياناً بأذية وقسوة، وفي أوقاتٍ أخرى يحاول التعامل بلطف. قصة ذلك الضابط داخل سيارة الترحيلات وهو يشاهد العالم، وليس مجرد ضابط عادي، لكنه متهم بقضية تعذيب. ليس الأمر تسخيفاً من فكرة الخيال، لكن أظن أن هناك أناساً أفضل منيّ في هذا المجال.

■ هل حاولت البحث عن الوجه الآخر للسجان وأبعاد حياته وأن يكون له تمثيل داخل قصصك؟

لم أتعمّد أن يكون هناك تمثيل لفكرة الضابط وراء القضبان أو داخل سيارة الترحيلات، لكن القصص جاءت في طريقي بالمصادفة من خلال رحلة البحث. وهناك بعض الناس الذين شعروا أن هذا الأمر خارج السياق. أظن أن أصحاب القصص كان لديهم هذا الوعي أيضاً؛ أن هذا الضابط أو الشخص المسؤول عن الترحيلات لديه أبعاد حياتية ونفسية. ولديهم هذا الوعي من خلال طرح أسئلة، مثل: لماذا هذا الشخص يعاملنا أحياناً بطريقة جيدة وأحياناً أخرى يكون شديد القسوة؟ المساجين أنفسهم يكتشفون هذا العالم أكثر منيّ من خلال رحلتهم.

■ هل التقاط المفارقات وتسجيل اللحظة الزمنية كانا الهاجس الأكبر لديك أثناء الكتابة؟

أنا كنت معنيّاً بالحكاية الشخصية التي يمكن أن تختفي مع تكاثر القصص والتجارب. كنت مهتماً بتسجيل تلك اللحظة الزمنية والمشاعر، ولو تبعتها بعد ذلك لحظات أكثر قسوة داخل السجن. أنا مشغول بالراوية الشعبية للأحداث، أو رواية الشخص نفسه للأحداث. الفضاء المصري العام ممتلئ بالرواية الرسمية للأحداث، وهو المسيطر على كُل شيء. في الصحافة وفي هذا الشكل من الكتابة، مجرد محاولة نقل أصواتٍ أخرى غير رسمية، أو شعبية، لا أعرف تسميتها بالتحديد.

■ كيف تعاملت مع المكان باعتباره الركيزة الأساسية في بنية أدب السجون؟

المكان هنا بطل، المكان هنا سيارة الترحيلات، مسرح الأفكار التي تدور في عقول الأشخاص. تنقلهم إلى أماكن مختلفة، وتستقبلهم وهم قادمون من أماكن مختلفة. في أدب السجون، المكان واضح المعالم، مثلاً في كتاب «الأوردي: مذكرات سجين» لسعدي زهران، المكان واضح المعالم، السجن سيّئ السمعة. في «يوميات الواحات» لصنع الله إبراهيم، السجن واضح المعالم أيضاً من خلال الأشخاص الموجودين فيه. في «بالخلاص يا شباب» لياسين الحاج صالح، هناك أيضاً سجن واضح المعالم. أما هنا، فالأحداث تجري في سيارة الترحيلات، تتجول ما بين سجون مختلفة، ما بين محاكم وسيارات ترحيل مختلفة. لذلك أنا غير متأكد من تصنيف كتابي على أنه أدب سجون بالمعنى الحرفي.

■ كتبت في مقدمة كتابك جملة «التذكر صعب، والنسيان ممنوع» من كتاب «بالخلاص يا شباب» لياسين الحاج صالح.. هل كانت تلك الجملة نقطة ارتكاز أو انطلاق لكتابك؟

ليست نقطة ارتكاز، لكن أثناء الكتابة، مرّت علي تلك الجملة، وشعرت أن هذا الأمر هو نفسه الذي أفكر فيه، خصوصاً أنني أثناء فترة الكتابة، كثيراً ما كنت أقابل أشياء تشبه الأمور التي أفكر فيها. وهذا ما حدث لي أيضاً في كتاب «الأوردي: مذكرات سجين»، لكن أكثر في كتاب «بالخلاص يا شباب» بالتحديد لأنه أقرب تجارب السجن لجيلنا، من حيث الفترة الزمنية، ليس قديماً مثل «الأوردي» أو «يوميات الواحات».

■ ما سبب غياب الزمن في أغلب القصص؟

هذا الأمر له علاقة بفكرة السجن، حيث يكون الزمن غير واضح، خصوصاً في تلك التجربة داخل سيارة الترحيلات. بعد ذلك، حِينَ يدخل الشخص السجن، يبدأ بحسبان الوقت، لكن هنا في سيارة الترحيلات، الزمن يبدو غائباً، مثل مصير الشخص.

■ هل شعرت بالخوف أو الحذر أحياناً أثناء الكتابة؟

بالعكس، لو أن هناك خوفاً مسيطراً على الشخص، لن يختار الكتابة، خصوصاً في هذا الموضوع. لا يمكن اختيار موضوع كذلك والوقوف على البر. لا يمكن أن يكتب شخص عن سيارة الترحيلات في السنوات العشرين الأخيرة، من دون أن يتوقف عند قصة مثل أبو زعبل.

■ منذ اللحظة الأولى، كان واضحاً أن الأحداث تدور داخل سيارة الترحيلات.. ما سبب خروجك عن المكان في بعض القصص؟

لأنها سيارة ترحيلات، وهي نفسها تتحرك، والشخص بداخلها يتماهى مع ذلك العالم. أحياناً لا يحب رؤية المكان خارج سيارة الترحيلات، وهناك شخص آخر كانت الفترة التي يقضيها داخل السيارة فرصة ليرى من خلالها العالم الخارجي. سيارة الترحيلات حاضرة بقوة، ولو كان الشخص خارجها، مثل القصة الرئيسية «من الشباك» حيث تكون الشخصية قد مرّت بتلك التجربة من قبل، وتحاول أحياناً تجنبها، أو مساعدة الأشخاص بداخلها. ليس شرطاً أن تكون سيارة الترحيلات حاضرة بذاتها، لكن الفكرة نفسها أو الحالة دليل على سطوة المكان.

■ هل كان اختيار القصص مبنياً على دوافع ايديولوجية؟

لو أنّ هناك دوافع ايديولوجية، لكنت تجاهلت قصص الإخوان المسلمين، لكن على العكس تماماً، حضورهم كان كبيراً داخل الكتاب، لأن لديهم تجربة سجون كبيرة وضخمة خلال السنوات الأخيرة. الفكرة في النهاية هي أن التجربة وسيارة الترحيلات لا تفرقان بين المعتقلين.

■ ما هي الأسئلة التي كانت تشغلك أثناء الكتابة؟

كيف تبدو التجربة التي تبدو لنا أخف وأصغر من تجربة السجن؟ أو كيف ينظرون ويستقبلون العالم من خلال شباك سيارة الترحيلات؟

■ لماذا تخشى تقديمك على أنك كاتب أدبي؟

لأنني لا أملك إلا كتاباً واحداً، وتصنيفه الأدبي غير محسوم.

■ هل المرجعية الصحافية تؤثر على كتابة الأدب؟

لا أشعر بفصل كبير بين الأدب والصحافة، خصوصاً في تاريخنا. فتحي غانم كان صحافياً وأديباً. الأمر نفسه بالنسبة إلى إحسان عبد القدوس. وجزء كبير ممّا يكتبه محمد حسنين هيكل، يصنف على أنه كتابة أدبية لوقائع وأحداث تاريخية. وهناك روائيون عالميون لهم خلفية صحافية أيضاً مثل ماركيز.

■ هل واجهت مشاكل في النشر، أم أن عملك كمذيع يتمتع بشهرة لا بأس بها سهّل عليك النشر؟

لم أواجه مشكلة في النشر. هناك جزء إيجابي، وآخر سلبي. الجزء السلبي أن الناس توقعوا أن أجمع مقالاتي التي نشرت في الجرائد، وأصدرها في كتاب، سواء دار النشر أو القراء. الجزء الإيجابي أنني لا أشعر بمشكلة نشر في مصر من الأساس. لا أقول ذلك لأن الأمور كانت سهلة أمامي، لكن نحن لدينا في السنوات الأخيرة حركة نشر قوية.

■ ما هو أبرز ردّ فعل جاءك من معتقل على الكتاب؟

لم يتبرّأ أحد من قصته. لكن أبرز ردّ فعل كان لشخص كتب على مواقع التواصل الاجتماعي أنه حزين جداً من عدم تجاوبه معي في أسئلتي وأثناء شغلي على جمع القصص. وحِينَ قرأ الكتاب، شعر أن قصته كانت يجب أن تروى هكذا.

■ لماذا الإهداء كان لثلاثة أدباء: نجيب محفوظ وإبراهيم أصلان ورضوى عشور؟

أحب تجربة نجيب محفوظ، لأنه مخلص لمشروعه، وأول كاتب أقرأ له في حياتي. أحب إبراهيم أصلان لتجربته المختلفة تماماً، بحيث لديه مساحة شاسعة من التجريب طوال الوقت. رضوى عاشور لأنها أحد مكوّنات جيلنا، وأعتبر نفسي من أبنائها الذين اكتشفوا عوالم جديدة من خلال عالمها.

■ إذا كان عليك اختيار ثلاثة كتب... ماذا تختار؟

«الحرافيش» لنجيب محفوظ، و«صياد القصص» لإدواردو غاليانو، و«الطنطورية» لرضوى عاشور.

تجربة السجن في الأدب المصري

تخليد الديكتاتور من باب الفضيحة

القاهرة ــ **أحمد شوكت**

يسرد الشاعر الفلسطيني محمود درويش ما يستحق الحياةَ على هذه الأرض. يذكر من ضمن ما يذكر «ساعة الشمس في السجن». الشمس أقصى طموحات السجين الذي تواجهه عذابات نفسية وجسدية وروحية يحاول التغلب عليها بالعديد من الوسائل، بينها الفن والكتابة. في محاولة لتوسيع الزنزانة بالخيال، أسس المعتقلون المصريون في الستينيات مسرحاً في سجن الواحات. وفي محاولة لتوسيع الزنزانة، تحول السجن نفسه إلى متحف مفتوح عبر الرسومات التي أنجزها السجناء. بل إنّه في أول أيامه في سجن الواحات عام 1959، حوّل الفنان حسن فؤاد بوابة الزنزانة إلى لوحة تشكيلية، كأنّه يؤكد أن الفن للحياة والنجاة والمقاومة!

قبل سنوات، كنت أبحث عن وثائق خاصة بسجناء الرأي. اقترح أحد الأصدقاء اسم ألبير اريه المناضل المصري الذي تردد على سجون مصر في عهود مختلفة، بتهمة واحدة هي الانتماء إلى تنظيمات يسارية. عند ألبير وجدنا الكثير: شقته تشبه متحفاً صغيراً، لوحات، عصافير محنطة، ألبومات لصور من داخل السجن بعدما نجح في تهريب كاميرا صغيرة، راديو ترانزستور من بقايا تجربة السجن.. عشرات التماثيل الصغيرة والكبيرة (عمل صبياً لفنانين كبار في مدرسة النحت في السجن). لوحات رسمها كبار الفنانين، ألبوم كامل يضم لوحات رسمت على علب السجائر وأوراق البفرة. كتب قطعت هوامشها ببراعة لأنها حملت يوماً ما بعضاً من رسائل التنظيم السرية. نحن أمام متحف كامل لتاريخ مصر السري. وفوق ذلك حكايات. يرينا لوحات حسن فؤاد التي رسمها بعناية، وبإمكانيات محدودة: ميكركروم؛ أو فحم؛ أو بأقلام مهربة، لوحات للسجناء أنفسهم، وللزهور، ولسيدات يرقصن. كأنه يقاوم النسيان بالفن، يحاول أن يتذكر الخارج عبر استحضار هذه الألوان والوجوه، «حيث ينسى السجين الرائحة والألوان» كما يقول علي الشوباشي في كتابه «مدرسة الثوار: الحياة الثقافية في سجن الواحات».

«العشاء الأخير» للمصري حسن سليمان (زيت على كانفاس ــ 198,5×120,5 سنتم ــ 1967)

رغم تصور الأدباء والكُتّاب أن العالم أو الوطن أو المجتمع رمز لسجن كبير، إلا أن ممارسة الحياة بين أربعة جدران تظل تجربة خاصة للمسجونين. بين المساحة المكانية الضيقة والمساحة الزمانية الممتدة، يمكن أن يعاد تشكيل الإنسان. ربما لهذا يعتبر السجن أحد الموضوعات الأثيرة لدى الكتاب المصريين، باعتباره إحدى التجارب التي خاضها معظمهم. عشرات المذكرات والكتابات، والإبداعات التي تناولت التجربة. ربما كانت البداية عام 1936، حين أصدر محمد شكري الكرداوي كتابه «55 شهراً في مخبئي». كتاب يعتبره النقاد أول مساهمة في أدب السجون. حاول الكرداوي اغتيال السلطان حسين كامل عام 1915، وفشلت المحاولة، وفشل البوليس في القبض عليه، لكنه تنكر في زي شيخ «مبروك» يتنقل بين القرى المصرية، خمس سنوات كاملة حتى صدر قرار بالعفو عن المعتقلين والمطلوبين السياسيين.

مر يوسف إدريس على السجن لأشهر عدة، كي يكتب بعدها قصصاً عدة عن التجربة من بينها «مسحوق الهمس»، حيث يعيش البطل في زنزانة يلاصق جدارها زنزانة للنساء. يحاول أن يتصل بالساكنات فيها عبر دق الجدار بواسطة آنية الطعام المعدنية، فيأتيه الرد على شكل همهمة، تكون بداية لقصة حب مع حبيبة متوهمة، يمنحها اسماً وينحت لها رسماً. لكنه سيفيق من هذا الحلم حين يخبره الحارس أن الزنزانة التي كان يتخاطب معها عبر الدق على الحائط، تقع في سجن الرجال نفسه، وإن الذين يبادلونه الطرق على الجدران، كانوا رجالاً مثله!

أما تجربة الستينيات المصرية، فيمكن اعتبارها ابنة السجن. بدأ معظم رموز هذا الجيل الكتابة في السجن. في 1959، قُبض على صنع الله إبراهيم، وعبد الحكيم قاسم، كمال القلش، ورؤوف مسعد. بعد تنقلات بين سجون مختلفة، اجتمع الأربعة في سجن واحد خمس سنوات، لم يكونوا قبلها قد مارسوا الكتابة. بعد خروجهم، اختاروا الكتابة بديلاً من العمل السياسي المباشر، واختاروا أيضاً السفر في رحلات منفى طالت عند بعضهم، وكانت عابرة عند بعضهم الآخر. تجربة السجن اعتبرها صنع الله «أخطر واهم تجربة في حياتي. عايشتُ القهر والموت، ورأيتُ بعضَ الوجوه النادرة للإنسان، وتعلّمتُ الكثير عن عالمه الداخلي وحيواتِه المتنوِّعَة، ومارستُ الاستِبطان والتأمُّل، وقرأت في مجالات متباينة، وفيه أيضاً قررت أن أكون كاتباً». في السجن، كان صنع الله في «كلابش» واحد مع شهدي عطية الشافعي. تعرضا للتعذيب، ومات شهدي. كانت الصدمة الأولى في حياة صنع الله الذي اكتشف مع هذه التجربة أن «الكتابة» قد تكون شكلاً من أشكال التعبير: «بدأت أشعر أني سأكون أكثر حرية لو كتبت (...) وكان في ذهني أن أحكي لحظة بلحظة عندما مات شهدي عطية وبدأت أفكر أن ممارسة الكتابة هي الشيء الذي يمكن أن أركز عليه». بعد الافراج عنه، كتب روايته الأولى «تلك الرائحة» التي تصدرها مقتطف لجيمس جويس «أنا ابن هذا المجتمع وابن هذه الحياة وسأعبر عن نفسي كما أنا». أثارت الرواية ضجة ليس فقط سياسية وفنية، بل عائلية أيضاً. وبعد سنوات، كتب حكاية سجين آخر في روايته «شرف».

أما عبد الحكيم قاسم، فاعتبر السجن «تجربة فادحة». وصف «جدران السجن» في كتابه «قدر الغرف المقبضة»: «المؤكد أن الزنزانة شيء مختلف، ليس ذلك لأنها أكثر قذارة أو أقل أناقة، بل لأن الرعب الكامن في جدرانها وشباكها وبابها شيء لا يحتمله قلب إنسان. إن الذل والإهانة في هذا المكان، كائنان يحولان الإنسان إلى شيء مهيض يمكن سحقه في أي لحظة، بدون أن يكون في وسعه الفرار أو المناورة أو الدفاع عن نفسه». داخل السجن، تفجرت الطاقات الإبداعية لرؤوف مسعد، فأخرج عمله المسرحي الأول داخل السجن ومن ثم توالت أعماله من بينها «بيضة النعام» التي تحدثت عن تجربة السجن. أما كمال القلش، فكتب في السجن قصته الأولى التي فازت بالجائزة الأولى في مسابقة للقصة القصيرة نظمها المساجين في معتقل الواحات الصحراوي، وكان بين أعضاء لجنة التحكيم نقاد من وزن محمود أمين العالم وعبدالعظيم أنيس. وكانت الجائزة الثانية من نصيب صنع الله إبراهيم. بعد عامين من الافراج عن هؤلاء، كان المعتقل على موعد مع أسماء أخرى، جمال الغيطاني، صلاح عيسى، سيد حجاب، عبد الرحمن الأبنودي، محمد العزبي، سيد خميس وآخرين. كانوا جميعاً قد بدأوا الكتابة، حتى إن قصص الغيطاني الأولى تحدثت عن تجربة الاعتقال ولم يكن قد اعتقل بعد. كانت الخطوة الأولى في السجن أن يفقد الشخص اسمه، يصبح مجرد رقم. كان الغيطاني يحمل رقم 34، والأبنودي 21. ثم تبدأ بعد ذلك وجبة التعذيب التي وصفها الغيطاني بدقة في روايتيه «الزيني بركات»، و«التجليات».

لم يجرب نجيب محفوظ أو فتحي غانم السجن، لكنهما تحمسا للكتابة عن هذه التجربة إيماناً منهما أن الروائي صوت من لا صوت له. كتب محفوظ «الكرنك» عن فساد أجهزة الأمن المصرية وتلفيقها القضايا، كما كتب فتحي غانم «حكاية تو» عن اغتيال شهدي عطية الشافعي.

مصر الآن، تمتلئ سجونها بالمعتقلين، يمتلك بعضهم قدرة على كتابة تجربته، ويحكي البعض لآخرين قادرين على منح صوت لمن لا يملكون القدرة على الكتابة. لكن حكاية السجن في هذه المرحلة لم تكتب إلا عابراً، كما فعل أحمد خير الدين في «من الشباك». وحده الديكتاتور قادر أن يدخل التاريخ من باب الفضيحة. يخلده الكتاب والأدباء دائماً في كتاباتهم كوحش يلتهم حيواتهم!

هذه رسالة كتبها محمود درويش في تموز (يوليو) 1965 إلى شقيقه أحمد من سجن «معسياهو»، بعد نقله من سجن عكا، فسجن «الجلمة». الرسالة شخصية في المعنى الأول، لكنّها تظهر شخصيّة محمود درويش «المبدع». إذ تكتب أسوأ الظروف بأحسن الكلام. نثر يغتلي بروح الشعر، قد يغري بالمقارنة بين البدايات والنهايات. ويغتني بالكبرياء فتغالب دواعي الحزن بالسخرية. وتقرأ كل شيء بوعي جدلي ويقظة حاضرة. وتفضح تناقض دعاوى الآخر «المتحضر» الذي يتساوى لديه القاتل والشاعر، فيقيدهما بسلسلة واحدة. وتنأى «حتى في هذا النصّ العائلي» عن العادي والكتابة عند درجة الصفر. فإذا قال: أحبكم أكبر حب، استدرك بأن ذلك «اعتراف» لا لزوم له. وتقرن العادي بالدعابة لتكسر عاديته. فإذا أشار إلى ديْنٍ شخصي مستحق، قرنه بذكر «الفائدة» تظرُّفاً، وتحمل نبرته الخاصة الاستدراكية (بالمناسبة). وتنبئ عن ولعه بالرواية. خصوصاً أنه يفتقد القراءة كما يفتقد أشياءه الشخصية اليومية. وتفيض بروح حميمية خاصة نحو الأسرة والجيران وروح جماعية والتزام ثابت نحو الأصدقاء والزملاء. إنها رسالة من البدايات التي تملك مفتاح تفسير كثير من النهايات

رسالة من زمن السجن

محمود درويش: الشاعر «المجرم»... أنا

عزيزي أحمد:

لا أدرى إذا كان أحد يعرف أني مسجون في سجن معسياهو منذ يوم الخميس، فالاتصال مقطوع، بالطبع، بيني وبين العالم خارج الأسلاك والجدران. ومنذ خمسة أيام، لم أسمع أخباراً ولم أقرأ صحفاً، ولا يصلني شيء من أخبار العالم. نمت لليلة واحدة في سجن عكا لعلّها من أسوأ ليالي عمري. وقد منعني منظر الطعام الذي قدموه لي من الاقتراب منه. شبعت قرفاً! وفي الليل، اضطررت إلى خلع ملابسي لعلّنى أغري النوم بمعانقتي ساعة واحدة على الأقل! وفي الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي، أيقظنى البوليس. لم أغسل وجهي لأني لا أحمل منشفة تنشف الماء والعرق! وضعوا سلسلة حديدية حول زندي.. ونقلوني مقيداً إلى سجن «الجلمة». بقيت هناك أربعة أيام، لم أحلق ذقني ولم أغسل أسناني، ولم أقرأ إلاّ كتاباً واحداً سُمِحَ لي بإدخاله معي هو كتاب «همس الجنون» لنجيب محفوظ،- بالمناسبة، لم يعجبني-! يوم الخميس ظهراً، نقلوني مع عشرات السجناء بزنزانة متجولة إلى هنا.. «معسياهو». ولعلّ هذا السفر، حتى الآن على الأقل، أتعس سفر في حياتي، حيث يربط كل سجينين بسلسلة واحدة، ويتساوى القاتل والسارق والمجرم والعرص والشاعر!

كنت أتصور، على ضوء ما قيل لي عن هذا السجن، أني سأكون في كيبوتس. أوهام! أخذوا ملابسي المدنية، وأعطوني ملابس خاصة بالسجن ليست على قياسي بالطبع، وحذاء كبيراً يرغمني على المشي ببطء وصعوبة. باختصار، إن منظري في بدلتي الآن قد يثير الحزن أكثر من السخرية، ولكني أحاول، بدافع الكبرياء، أن أسخر أكثر مما أحزن. لا أدري لماذا تذكرت هيئة تشارلي شابلن في فيلم «الأزمنة الحديثة»!

هنا، أستطيع أن أسمع الأخبار من «صوت إسرائيل» باللغة العبرية بواسطة مكبر الصوت. وأستطيع قراءة بعض الصحف. وأقطع الوقت بالقراءة، فقد سمحوا لي بإدخال جميع الكتب والأدوات الخاصة. الطعام نظيف وجيّد ولكن النوم متعب. وأسوأ ما في الأمر أن الظروف تحول دوني ودون الكتابة. حتى الآن لم أكتب إلا هذه الرسالة وأنا أجلس القرفصاء وصيحات السجناء من حولي. ولكني أفكّر كثيراً وعميقاً، وأحياناً أغرق في التفكير خاصة حين أودّع الشمس الغاربة. بالمناسبة لأول مرة أشهد ميلاد الشمس لأنني أفيق باكراً! أشتاق إليكم كثيراً كثيراً، وكل شيء صغير عندكم يحمل الآن معنًى كبيراً كبيراً. لا أستطيع إلا أن أقول لكم إني أحبكم أكبر حب، وإن كان هذا «الاعتراف» لا لزوم له! وشوقي للبيت يفوق كل حدّ. وأتصور أن عودتي إليكم بعد 54 يوماً سيكون عيدي الأول تموت أمامه جميع «أعيادي» التي أراها الآن في غاية التفاهة.

طمئنوا سهام أن ديونها ستسدد حال عودتي مع الفائدة! وأرجو من أحدكم أن يسافر إلى حيفا ويتصل بتوفيق فياض وسائر الأصدقاء والزملاء ويعتذر لهم عن عدم كتابتي لهم لأنه لا يسمح لي بكتابة أكثر من رسالة كل أسبوعين. أخبروا الجميع أن أجمل هدية تصلني هي الرسائل. فأرجو أن يكتبوا لي.

لديَّ الكثير مما أقول.. فلنرجئه إلى مناسبة أخرى. وتحيات قلبية إلى جميع الأهل والأقارب والجيران والأصدقاء. لا أستطيع أن أعدد أسماء الجميع، لأن الأمر يحتاج إلى كتاب كبير جداً.

ملاحظة: الزيارة مرة في الأسبوعين.

وإلى اللقاء

محمود

تموز (يوليو) 65

وثيقة حصلت عليها «الأخبار» من أحمد درويش أخ الشاعر الراحل

ترجمة

صوت خطى الماء

يعتبر سهراب سپهري (1928ـ1980) من ابرز وجوه الشعر الإيراني المعاصر الى جانب فروغ فرخزاد، واحمد شاملو، ومهدي إخوان ثالث، وسيميين بهبهاني وغيرهم. صمن داروافي فلك نيمايوشيج، الاب الاول للقصيدة الإيرانية، وطبعوا النصف الاول من القرن الحاضي بتجاربهم المميزة وانقلابهم على الرباعيات ومطولات الشعر الوعظي والاشكال الجامدة للشعر الإيراني الكلاسيكي. كان سهراب شاعراً ورساماً في الوقت نفسه، بحيث تسرب الشعر بوضوح الى لوحاته. واحتوت قفزاته الشعرية روحاً حساسة ملونة. ميزته الاساسية هو هذا المسار المتقابل بين عالم الطبيعة وعالم الافكار. ماسيميشنا على فهم كتابته الصوفية المتوترة حيث فكرة ما تتمثل في صورة شجرة، او مفهوم فلسفي ياخذ شكل زقاق حجري صغير. شعر سهراب سپهري في رمزيته المكثفة واستعاراته الكثيرة الاشبه باحلام الاطفال، لم يترجم في مجمله الى لغة الضاد. هنا ترجمة لبعض مقاطع «خطى الماء»، التي تعتبر جوهرة شعرية مميزة في كنز الصائع الإيراني الكبير.

ترجمة عن الفارسية:
مريم ميرزاده (شاعرة وروائية إيرانية)

سهراب سپهري

أنا من أهلِ كاشان
أيامي ليست سيئة
لي كسرةُ خبزٍ، بعضُ ذكاءٍ، ذوقٌ بحجمِ طرفِ إبرةٍ
لي أمٌّ، أحلى من ورقِ الشجر.
وأصدقاء، أحلى من مياهٍ تَجري.
وربٌّ على مقربة:
بينَ هذا المنْثورِ، أسفلَ الصنوبرةِ العالية
فوقَ وعيِ الماء، فوقَ قانونِ النبات.

قبلتي جوريةٌ.
سجّادتي نافورةٌ، تربتي نور.
سهلٌ هي سجادتي.
أنا اتوضّأُ بنَبْضِ النوافذ.
في صلاتي، يجري القمر، والطيفُ يجري.
صلاتي من خلالِها يُرى الحجر:
كلّ ذرّاتِ صلاتي تبلورت
أنا أصلي،
حينما يؤذّنُ الريح، فوقَ مئذنةِ السرو.
أنا أصلّي، بعد «تكبيرةِ إحرامِ» العشب،
بعد «قد قامت» الموج.
كعبتي شفاهُ الماء
كعبتي أسفلُ أشجارِ السنط.
كعبتي مثلُ النسيم، ترحلُ غابةً غابة، ترحلُ مدينةً مدينة...
«حجرُ الأسود» نورُ حديقتي

أنا من أهلِ كاشان.
مهنتي الرسمُ:
تارةً أصنعُ باللونِ قفصاً، أبيعُه لكم
ليحيا قلبُ وحدتِكم
مع أغنيةِ الشقائقِ المحبوسةِ فيه.
كم خيالي، كم خيالي... أعرف.
سأتارتي بلا روح.
أعرف جيداً، حوضُ لوحتي لا سمكَ فيه.

أنا من أهلِ كاشان.
لعلّ نَسَبي يصل
إلى عشيبةٍ في الهند، إلى آنيةٍ فخاريةٍ من رمادِ الدّر.
لعلّ نَسَبي، يصل إلى عاهرةٍ في مدينةِ بخارى.
أبي خلفَ مجرى السنونواتِ الثاني،
خلفَ ثلجين.
أبي خلفَ رقدتَين تحت القمر.
أبي ماتَ خلفَ الأزمنة.
عندما ماتَ أبي، كانت السماءُ زرقاء.
أمي قفزت من نومها لا تعرف شقيقتي صارت حسناء.
عندما ماتَ أبي، كل رجال الشرطة كانوا شعراء.
سألني الرجل المقّال: كم كيلوغراماً من الشمام تريد؟
وسألتُه: كم سعر أوقيةٍ من قلبٍ سعيد؟

أبي كان يرسم.
كانَ يصنعُ القيثار أيضاً، يعزف القيثار أيضاً.
وكان خطُّه جميلاً.

حديقتُنا كانت على أطرافِ ظلّ الحكمة.
حديقتُنا مكانُ انعقادِ الإحساسِ والنبات.
حديقتُنا نقطةُ التقاءِ النظرة والقفص والمرآة.
ربما كانت حديقتُنا قوساً من دائرة السعادة الخضراء.
كنتُ أمضغُ في ذاك اليوم فاكهةَ اللهِ الغضّة في النوم.
أشربُ ماءً يخلو من الفلسفة.
أقطفُ توتاً يخلو من العلم.
ما إن تنفطر رمانةٌ، كانت تستحيلُ بدءاً لسيلِ الرغبة.
ما إن يغنّي الطائر، يحترقُ الصدرُ من فرحِ السماع.
تارةً تُلصِقُ الوحدة وجهَها على زجاجِ النافذة.
يُقبلُ الشوق، يلفّ ذراعيه حول عنق الحَسّ.
كان يلعبُ الفكر.
كانت الحياةُ شيئاً، مثل انهمار العبد، مثل جَمّيزةٍ، تماماً كالزرازير.
الحياة آنذاك، كانت صفّاً من نورٍ ودَمي.
حضناً من حريّة.
الحياةُ آنذاك، كانت حوضاً من موسيقى.

الطفلُ ابتعدَ على رؤوسِ أصابعه شيئاً فشيئاً في زقاقِ البعاسيب.
جمعتُ امتعتي، رحلتُ من مدينة الأوهامِ خفيفاً.
مليئاً قلبي من غربة اليعسوب.

أنا لَبِثتُ دعوةَ الدنيا:
رحلتُ إلى سهلِ الحزن
إلى حديقةِ العرفان
إلى شرفةِ العلم المضيئة.
وصعدتُ سلالمَ المذهب.
حتى انتهاءِ زقاقِ الشك.
حتى نسيمِ الاستغناءِ البارد.
رحلتُ إلى ليلِ الحبِّ الندي.
وعبورِ ذبابةٍ من زقاقِ الوحدة.
رغبةٍ عصفورٍ واضحة، حينَ يهبطُ من شجرةِ البلّوط فوقَ الأرض.
وبلوغِ الشمس.
واحتضانِ الدمية الحلوِ لوجه الصبح.

سلالمَ تصل حتى مشتلِ الشهوة.
سلالمَ تصلُ حتى سردابِ الخمر.
سلالمَ إلى قانونِ فسادِ الجوري
وإلى الإدراكِ الرقمي للحياة،
سلالمَ حتى سطحِ الإشراق،
سلالمَ تصلُ حتى منصّةِ التجلّي.

أمي هناك...
كانت تغسلُ الفناجينَ بخواطرِ الشطّ.
كانت المدينة ظاهرة:
نموّ الإسمنتِ الهندسي، الحديد، الحجر.
سقفٌ مئاتِ الحافلاتِ الخالي من الحمام
بائعاً للوردِ يعرضُ ورودَه بثمنٍ بخس.
بينَ شجرتَي ياسمين، يربطُ شاعرٌ أرجوحتَه.
ولدٌ يرمي جدارَ المدرسة، بالحجارة.
طفلٌ يبصقُ نواةَ المشمش، فوقَ سجّادةِ أبيه الشاحبة.
ومعزاةٌ تشربُ الماء، من «قزوينِ» الخارطة الجغرافية.

كانَ حبلُ غسيلٍ: حمّالةُ صدرٍ، ولهى، عجلةٌ عربةٌ، في حسرةِ تعبِ الحصان، حصاناً، في حسرةِ نومِ السائق، رجلاً سائقاً، في حسرةِ الموت.

كان الحب، كانَ الموج،
كان الثلج، كانَ صديق.

أنا رأيتُ قطاراً يقلّ سياسةً، وكم مضى خالياً.
أنا رأيتُ قطاراً، يقلّ بذورَ الزنبق وشدوَ الكناري.
وطائرةً، في أوجِ الافاقِ هناك يظهر التراب من خلال نوافذها:
غُرفٌ هدهد
رقعُ جناحاتٍ فراشة
صورةٌ ضفدعٍ في حوض
وعبورُ ذبابةٍ من زقاقِ الوحدة.
رغبةٌ عصفورٍ واضحة، حينَ يهبطُ من شجرةِ البلّوط فوقَ الأرض.
وبلوغُ الشمس.
واحتضانُ الدميةِ الحلوِ لوجه الصبح.

سلالمَ تصل حتى مشتلِ الشهوة.
سلالمَ تصلُ حتى سردابِ الخمر.
سلالمَ، إلى قانونِ فسادِ الجوري
وإلى الإدراكِ الرقمي للحياة،
سلالمَ حتى سطحِ الإشراق،
سلالمَ تصلُ حتى منصّةِ التجلّي.

أمي هناك...
كانت تغسلُ الفناجينَ بخواطرِ الشطّ.
كانت المدينة ظاهرة:
نموّ الإسمنتِ الهندسي، الحديد، الحجر.
سقفٌ مئاتِ الحافلاتِ الخالي من الحمام
بائعاً للوردِ يعرضُ ورودَه بثمنٍ بخس.
بينَ شجرتَي ياسمين، يربطُ شاعرٌ أرجوحتَه.
ولدٌ يرمي جدارَ المدرسة، بالحجارة.
طفلٌ يبصقُ نواةَ المشمش، فوقَ سجّادةِ أبيه الشاحبة.
ومعزاةٌ تشربُ الماء، من «قزوينِ» الخارطة الجغرافية.

كانَ حبلُ غسيلٍ: حمّالةُ صدرٍ، ولهى، عجلةٌ عربةٌ، في حسرةِ تعبِ الحصان، حصاناً، في حسرةِ نومِ السائق، رجلاً سائقاً، في حسرةِ الموت.

كان الحب، كانَ الموج،
كان الثلج، كانَ صديق.

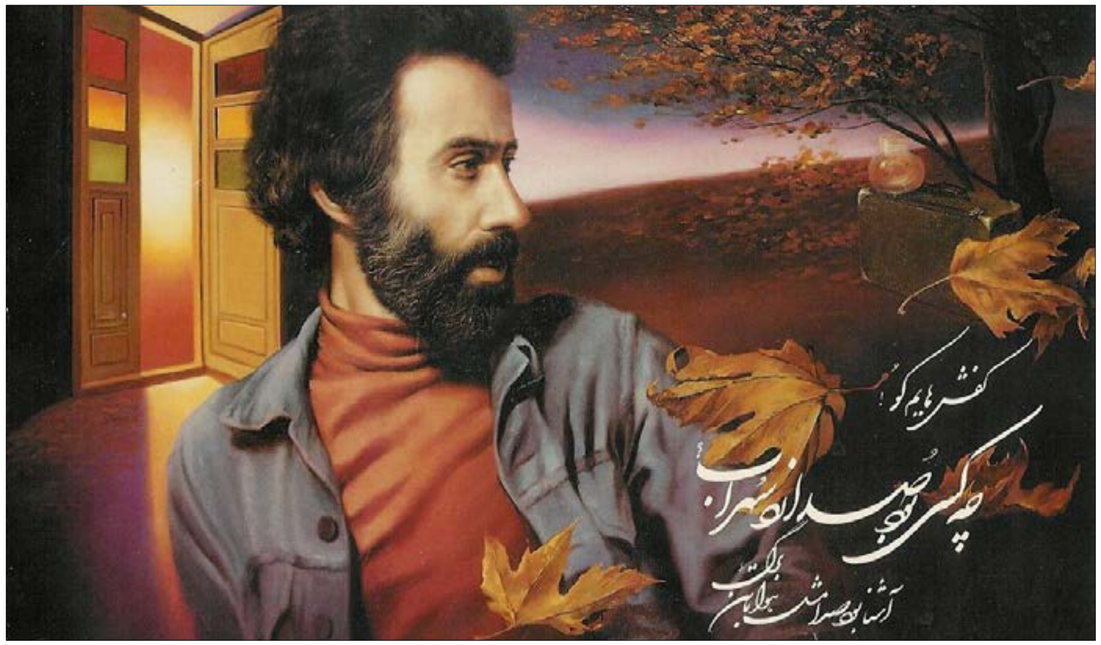

صفحات الإبداع من تنسيق:
احلام الطاهر

كانت الكلمة.
كان الماء، صورُ الأشياءِ في الماء.
مظلةُ الخلايا الباردة، في دفقِ الدم.
الناحيةُ الرطبة من الحياة.
شرقُ حزنِ الصنفِ البشري.
فصلُ التشرّد في زقاقِ المرآة.
رائحةُ الوحدة في زقاقِ الفصل.

في يدِ الصيف، كانت مروحةٌ يدوية.
سفرُ البذرةِ إلى الزهرة.
سفرُ البلّوطِ من هذي الدار، إلى تلك الدار.
سفرِ القمر إلى الحوض.
فورةُ زهرةِ الحسرة من التراب.
سقوطُ الكرمة الشابّة عن الجدار.
انهمارُ الندى على جسرِ النوم.
قفزةُ البهجةِ عن خندقِ الموت.
عبورِ الحدث من خلفِ الكلام.

أنا قريبٌ من بدايةِ الأرض.
أقبسُ نبضَ الزهور.
على معرفةٍ أنا، بقدرِ الماءِ الرطب، وعادةِ الشجرةِ الخضراء.
روحي جاريةٌ في الاتجاهِ الجديد للأشياء.
روحي صغيرة.
روحي أحياناً لفرطِ الشوق، تُصابُ بالسعال.
روحي لا تعمل:
تحصي قطراتِ المطر، شوقِ الطُّوب.
روحي أحياناً، حقيقيّةٌ مثلَ حجرٍ عثرة.

أنا لم أرَ صنوبرتَين في عداء.
أنا لم أرَ صفصافةً، تبيعُ ظلَّها للأرض.
يا لمجّان، يمنحُ الدورانُ غصنَهُ للغراب.
حيثما كانت الأوراقُ، شغفي ينكسر.
شجيرةُ الخشخاش، غسلتني في مجرى الوجود.

كجناحِ حشرة، أعرفُ وزنَ السحر.
مثلُ مزهريةٍ، أصغي لموسيقى النمو.
مثلَ سلةٍ تملأها الفاكهة، عندي حُمّى شوقِ الوصول.
مثلَ حانةٍ أنا، على حاشيةِ الخمول.
مثلَ مبنى على تخومِ ساحل، يُقلقُني المدّ العالي الأبدي.
شمسٌ بقدرِ ما تشاء، وصالٌ بقدرِ ما تشاء، تكاثرٌ بقدرِ ما تشاء.

أنا تسعدُني تفاحة.
أو أن أشتمَّ شجيرةَ بابونج.
أنا لي مع المرآة، تعلّقٌ قناعةٌ طاهر.
أنا لا أضحكُ إذا فقعَ البالون.
ولا أضحكُ إذا شقّت فلسفةٌ وجهَ القمر.
أنا أعرفُ صوتَ ريشِ السمّان.
ألوانَ بطونِ الحُبارى، أثرَ أقدامِ الماعز.
أعرفُ تماماً أينَ ينمو الراوند،
متى يُقبلُ الزرزور، متى يشدو الحجل، متى يموتُ الصقر،
ما القمرُ في حلمِ الصحراء،
الموتُ في جذعِ الرغبة،
وتوتُ اللّذة، تحتَ أسنانِ الاحتضار.

الحياةُ عرفٌ لطيف.
للحياةِ أجنحةٌ بوسعِ الموت،
لها تحليقٌ بحجمِ الحب.
ليست الحياةُ شيئاً، ننساهُ أنا وأنت على رفوفِ الاعتياد.
الحياةُ إرادةُ يدٍ للقطاف.
الحياةُ تينٌ غضٌّ أسود، في فمِ الصيفِ الجاف.
الحياة، بُعدُ شجرةٍ في عينِ حشرة.
الحياةُ تجربةُ فراشةِ الليل، في الظلام.
الحياةُ إحساسٌ غريب، لطيرٍ مهاجر.
الحياةُ صفّارةُ قطار، تنتشرُ في حلمِ جسر.
الحياةُ رؤيةٌ حديقةٍ، من نافذةٍ موصدةٍ لطائرة.
خبزٌ ذهابٌ صاروخٍ إلى الفضاء،
لمسُ وحدةِ «القمر»،
فكرةُ شمٍّ وردةٍ، في كوكبٍ آخر.

الحياةُ غسلٌ طبَق.
الحياةُ عثورٌ على عملة معدنية، في جدولِ الشارع.
الحياةُ «جذرٌ» للمرآة.
الحياةُ «تربيعٌ» أبديٌ للورد،
الحياةُ «ضربٌ» الحياةِ بدقاتِ قلبنا،
الحياةُ «هندسةٌ» الأنفاس، البسيطة الثابتة.
أينما كنتُ، أكون،
السماءُ لي.
ماذا يهمُّ بعد
إذا، في يوم، نفت
طفيليّاتُ الغربة؟

أنا لا أعرف
لمَ يقولون: الحصانُ حيوانٌ نبيل،
الحمامُ جميل؟
ولمَ ليس في قفصِ أيّ أحد، نسرٌ؟
ماذا ينقصُ البرسيمَ عن الخُزامى الحمراء؟
ينبغي غسلُ العيون، الرؤية بطريقة أخرى.
ينبغي غسلُ الكلمات.
على الكلمة أن تكونَ هي الريح، على الكلمة أن تكونَ هي الغيث.

ينبغي إغلاقُ المظلات،
السيرُ تحت المطر.
اصطحابُ الفكر، الذكرى، إلى المطر.
المشيُ مع كل سكان المدينة، في المطر.
لقاءُ الصديق، تحت المطر.
البحثُ عن الحبّ، تحت المطر.
النومُ مع المرآة، تحت المطر.
اللعبُ تحت المطر.
كتابةُ شيءٍ تحت المطر، قولُ شيء، غرسُ زنبقة.
الحياةُ انتعاشٌ متوالٍ،
الحياةُ سباحةٌ في حوض «الآن» الصغير.

فلنخلع ثيابنا:
الماءُ على بُعدِ خطوة.

فلنذُقِ النور.
فلنَرَنّ ليلَ قرية، حلمَ غزال.
فلندرك دفءَ عشّ اللقلق.
ولا ندوسُ على قانونِ العشب.
فلنحلَّ في الكرم عقدةَ الاستطعام.
ونُطلقْ أفواهَنا إذا طلع القمر.
فلا نقولُ بأنّ الليلَ سيئ.
ولا نقولُ بأنّ البراعةَ لا علمَ لها بإبصارِ الحديقة.

فلنرفع الستار:
لنترك الهواءَ يلامس الإحساس.
نترك البلوغ، يمرّ من تحت أيّ شجيرةٍ يختارها.
نترك الغريزةَ تذهب للعب.
نخلع حذاءها، ونقفزُ من فوقِ رؤوسِ الورد، في إثرِ الفصول.
فلنترك الوحدةَ تغني.
تكتب شيئاً.
تخرج إلى الشارع.

لنكن بسطاء.
بسطاءَ في قسمِ الحسابات المصرفية، أو تحت شجرة.

ليس مهمتَنا كشفُ «لغز» الجوري، ربما مهمتنا
أن نعومَ في «سحر» الورد الأحمر.
ننظّم رحلةً خلف الحكمة.
نغسل أيدينا في حضرةِ الورق، ثم نجلس إلى المائدة.
في الصباح، عندما تطلع الشمس، نولَد.
نطلق عنان العواطف.
نرشّ إدراك الفضاء، اللون، الصوت، النافذة، الورد، بالماء.
نضع السماءَ بين هجاءَي «الوجود».
نملأ الرئةَ ثم نفرغُها، أبدية.
نرفع وزنَ الحكمة عن ظهرِ السنونو.
نستعيد من الغيمِ الأسماء،
من الدلب، من البعوض، من الصيف.
على قدمِ الغيث الرطبة، نصعد إلى ذروة الحب.
نفتح الأبوابَ في وجه البشر والنور والنبات والحشرات.
ربما هذه مهمتنا
أن نركضَ خلالَ الزنابق والعصر خلف أغنية الحقيقة.

قصة

قلق جغرافي

منى كريم*

كان البرد يتسرسب من النافذة الخلفية لغرفة التلفاز. وكانت أوتوكو تجلس إلى جانب صديق العائلة يتبادلان ملخص السنوات الأخيرة. يسجلان التغيرات والتحولات ويختلفان المصالحات أو يبديان الاعتراضات الأليفة. بالرغم من أنهما ينحدران من المكان ذاته، إلا أنهما لم يلتقيا سوى في مناطق ثالثة. أما ساكامي التي انتقلت حديثاً مع والدها البيولوجي إلى شقة في شارع فاندربلت، فاستمرت في انشغالها بتجهيز المشاريب: حليب بالقرفة، ومرة شاي بالزنجبيل، أو عصير جزر. هكذا توزع طاقتها المشعة في المكان وتتفادى الجلوس الساكن. وحينما بدأ الصمت يحل للحظات، بادر صديق العائلة بالحديث.

«هل هذه ريح فبراير تدوي في الخارج محدثة هذا الرنين؟ ولمن تقرع هذه الأجراس؟»

كان الولد في بداية رجولته. التقى بها للمرة الأولى برفقة والدته قبل سنتين من وفاتها. ويبدو أن هذه الحقيقة تضفي غيمة على اللقاء، فلا هو عارف كيف يتحدث مع البنت ولا هو قادر على إهمال الحوار برمته.

ابتسمت أوتوكو وهي تستعد لشرح محيط الضوضاء الذي تعيش فيه. كثيراً ما ظنت أن نومها الخفيف صار جثة هامدة بعد انتقالها إلى المدينة أو لربما نتيجة مواظبتها على التدخين الليلي. كانت قد شكلت خريطة صوتية في دماغها، وتخيلت باباً خشبياً عليه إكليل صناعي ويطل على باحة مهملة، فلم تستبعد احتمال أن تكون هذه الأجراس في بيت مهجور. يقال إن الرنين يطرد الأرواح الشريرة عن البيت، لكن المراد أن يطرد الأجساد قبل الأرواح.

«زينة تافهة على باب أحدهم»

انتصتت بصمت جنائزي لصخب المدينة يمر من خلفها. مصادفة مرور سيارة البوليس وسيارة الإطفاء سوية. الأسئلة المعتادة عن أهمية الصافرة في حالات الجرائم والطوارئ. فكرت في دولوز وكلامه عن الأصوات واحتلال الحيز. عند انعطافة الشارع، ضجة متعاطي الكراك يتجادلون على شكل توائم. صوت جارتها المراهقة محاولة فرض سلطتها على «البيبي» بترديد اسمه بطريقة مربكة. وهنالك المترو من بعيد يهز المدى وتتصادم عرباته بعضها ببعض كما صرير الأسنان حين تبرد بشدة.

التفت نحوها بالجزء الأعلى من جسده ليعرض استنتاجه:

«أظن أنها أجراس الزينة الصينية اللعينة! مزعجة وتافهة»

«نعم الصينية»

- «على أحدكم مواجهة صاحب بيت الأجراس»

تمهل في حديثه ببعض من الضيق. ما كان عليه أن يقدم اقتراحات غير مناسبة وهو في ضيافة أحدهم. ألقت عليه أوتوكو نظرة مختصرة وهي تقفل شفتيها بتأمل. سيطر عليه الشعور المعتاد بأنه محاور لا يعرف موازنة اندفاعه بما يتناسب والحدث. لم يعد يتوقع ردة فعلها.

- أحد يواجهه لينزل الأجراس ويخليها في طيزه

- أظن أن الجيران يرون...»

- يرون ماذا؟ أن الأمر لا يستدعي العناء؟

- فكر في الأمر. التخلص من مصدر إزعاج واحد لن يغير الكثير.

- أعتقد أنهم جميعاً كسالى

تلقفت أوتوكو الأكواب من ساكامي التي جاءت تجلس إلى جانبها. ستقوم بلف ما يمكن تدخينه حتى يبرد الشراب كفاية. كانت المدينة تخلو من الأحداث ليلتها. وقد عاد «الغروب» قبل قليل من محل قريب نظم أمسية بعنوان «ارسم واشرب بقدر ما تشاء». يدعى المكان «الخنزير البرجوازي» وهي حانة صغيرة تعطي رفيعي الذوق حقهم في التمتع والإمتاع. وجدت أوتوكو قيمة مجردة في تمثيلات الخنزير ضمن النظام الطبقي. عادة لا يحتاج الواحد إلى نداء أو رفاق في مثل هذه الأماكن، فجمالياتها تدور وتجول بغاية شغل فراغك. في الحافة اليمنى من الحانة، تقبع مرآة ضخمة بإطار ذهبي ينعكس عليها نيون أحمر. لا تقف المرآة في مواجهة أحد، بل إنها على علو واضح كأن عليك كضيف أن تعرف سلفاً ما يبدو شكلك عليه أمام العامة. وهناك أيضاً معاون الساقية الذي يبدو أليفاً وخاضعاً. كما تجد شباب الطبقة الوسطى ونساء غير شريفات وعشاق السوريالية العلمية أو محبي بورتريهات القطط وغيرهم.

كانت أوتوكو سعيدة بتجاهلها الأجراس الصينية طوال هذه السنين، حتى إنها فسرت هذه القوة في اختلافها الثقافي. فكرت من قبل أن هذا الرنين يدوي في رأسها هي فقط، واستمتعت كثيراً بهذه الفكرة حتى اللحظة. لم تستبعد احتمال لجوء الجيران إلى مستشاريهم النفسيين من أجل حبوب مهدئة. لن يستطيع صوت اختراق سكينتك إلا إذا كنت قد أخضعت نفسك له. كبر الموضوع في رأسها حتى وصل إلى مواضيع مثل قوة الإرادة وقدرة التشافي من كدمات الماضي.

تقدمت ساكامي بظهرها إلى مقدمة القعدة، لتشرح لهم بعض المعلومات عن هذا الشاي الذي وجدته صدفة في قسم الكافينيات. مكتوب أنه يساعد على تبديد الذبذبات الفاسدة من حولك. بدأت تستدعي حكاية حصلت معها في سن العاشرة خلال إجازة عائلية شمال منطقة كيوتو حين قامت بتجربة لتحريك قطعة كريستال باستعمال قوتها الذهنية. كانت قد اشترت القطعة من محل للهدايا في بلدة توقفوا عندها. وكانت القطعة محاطة بسلك جلدي، ما جعل منها تذكاراً من رواية فنتازية سليق بمنضدتها. شعرت ساكامي بأن الكريستال يتحرك في يدها حين تحدق فيه بما يكفي. سيطر عليها الفضول وتحمست لاحتمال أن تصبح الإجازة غير تافهة.

هذا يعود بنا إلى سيرة الشاي. كانت صديقة لساكامي قد حدثتها عن «القلق الجغرافي»، وهو مزيج من الضيجان وسوء تناغم العناصر. الفكرة أن للأرض ذبذباتها الطبيعية، لكن أشياء مثل المياه الدفينة وأنابيب الصرف الصحي والأنفاق وغيرها من الأخطاء الجيولوجية تؤثر عليها. وحين تتعثر هذه الذبذبات أكثر من اللازم، فإن الواحد تتأثر صحته وتصرفاته. حتى غضب سائقو السيارات والعنف ضد الأطفال وموت الجنين أو الرضيع كلها نتائج جانبية.

ارتدت ساكامي تعبير التعجب على وجهها وهي تحكي:

«هي حياة واحدة علينا اكتشافها. فأي الحيوات ستكون؟ حياة الصغائر، من ذا الذي تعمق لحظة بهذه الأخرى، بتلك؟ أنا عن نفسي كرست شبابي لها. عرفت أنها تستهويني ومن يومها عشت في هذه الذكرى التي لا تفارقني... هذه الحياة الأخرى - وهي من علو وسمو - أدعي بأني وجدتها؛ فما أن أروح في تقضيتها حتى أشعر بانقباض في جوهري»

* شاعرة وكاتبة عراقية

«الضفة الاخرى» للصيني جونغ بياو (زيت على كانفاس ـ 280×600 سنتم ـ 2015)

المساهمات الابداعية في ملحق «كلمات»

يمكن ارسال المساهمات الإبداعيّة (من قصص وقصائد ونصوص حرّة وترجمات وصور فنيّة ورسوم) الى ملحق «كلمات» في جريدة «الأخبار» على العنوان الإلكتروني الآتي:
KALIMAT@al-akhbar.com

على ان يرفق كل ارسال بالإسم الكامل لصاحبه او صاحبته وعنوان الإقامة ورقم هاتفي لاي تواصل محتمل.

بالنسبة إلى الترجمات الأدبيّة تعطى الأولويّة لنصوص خضعت لاتفاق مسبق مع التحرير. ويستحسن ان يكون التعريب عن اللغة الاصليّة التي كتب فيها النص. مع تعريف وافٍ بالكاتب (ة) والمترجم (ة).

تحتفظ إدارة التحرير لنفسها بقرار نشر المساهمات المقترحة او عدمه. من دون اي شرح او تبرير او مراجعة.

تاريخ

غي ميتان مشرّحاً جذور «الروسيافوبيا»

إعداد **زياد منى**

أي متابع للعلاقات الدولية، خصوصاً تلك القائمة بين روسيا ودول الغرب الاستعماري ممثلة بكلّ من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة، لا بد من أن يلاحظ أنّ مواقف الأخيرة تجاه جارتها الشرقية تتسم بعداء شديد لامنطقي، حتى ليظن المرء أنها تتميز بجين فريد هو جين معاداة الشرق وكراهيته. المعسكر الاستعماري الغربي الرئيس، يكاد لا يترك مناسبة للتشهير بروسيا ورئيسها، تماماً كما كانت الحال أيام الاتحاد السوفياتي، الذي كثيراً ما ألصق بها نعتاً لاهوتياً هو «مملكة الشر». بل إن معاداة الغرب الاستعماري للاتحاد السوفياتي والتحريض عليه، وصلت أيام رونالد ريغان إلى مستويات غير مسبوقة استدعت أن يقوم الاتحاد باستنفار قواته ظاناً أن واشنطن تعدّ لعدوان عليه، ما اضطر وزير خارجيتها إلى التخفيف من لهجته، بناء على نصيحة من «وكالة الاستخبارات المركزية».

الحملات الغربية الاستعمارية على روسيا تكاد لا تتوقف، آخرها المتعلق بالهجوم الأخير على جاسوس روسي مزدوج في لندن. ما كاد الخبر ينتشر حتى سارعت الحكومة البريطانية إلى تلقفه واتهام موسكو بأنها مسؤولة عنه، حتى ليظن المرء أنها كانت في انتظار هكذا هجوم لإحياء الحملة على روسيا في مناسبة الانتخابات الرئاسية الأخيرة، ما يُشيّد، في ظننا، جدرانا من الشكوك حول العملية برمتها. بل إن وزير خارجية الحكومة البريطانية بوريس جونسون اتهم الرئيس بوتين شخصياً بأنه يقف وراء محاولة الاغتيال تلك. «صحافة الكذب الداعرة» (Presstitute) الغربية، مثل صحافة البترودولار الأعرابية في القارة، سارعت إلى تلقّي التهمة غير المدعومة بأيّ دليل، مع أن مطلقها كان من أكثر الساسة البريطانيين عرضة للانتقاد، بل حتى الكراهية، بسبب كونه من قادة تجمع «بريكست» الذي قاد للخروج من الاتحاد الأوروبي.

المقصود هنا ليس الدفاع عن روسيا أو مهاجمة الغرب الاستعماري بمناسبة ومن دون أي مناسبة، فليس ثمة طرف في هذا العالم من دون خطيئة: «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر». لكن المطلوب هو تفادي رمي الاتهامات مبنية وميسرة، من دون تقديم دليل. هكذا يقول المنطق السليم.

يتناول الكاتب والسياسي السويسري غي ميتان موضوع معاداة روسيا والتحريض عليها وكراهيتها من نواح عدة، وفق منهاج متسق ومطرد قسّمه إلى ثلاثة أقسام في مؤلفه المثير «اختلاق الروسيافوبيا: من الصدع الديني الكبير إلى هستيريا شيطنة بوتين» Creating Russophobia: From the) Great Religious Schism to Anti-Putin Hysteria, Clarity Press، 2017). في القسم الأول، عرض الكاتب مدى تأصل الروسيافوبيا في الغرب عبر تقديم أربعة أمثلة حديثة هي حادث الصدام في الجو بين طائرة ركاب روسية، وأخرى تجارية بالقرب من مدينة أوبلنغن، وجريمة أخذ الرهائن في بيسلان والحرب في أوسيتيا والألعاب الأولمبية في سوتشي. في القسم الثاني، يقدم الكاتب الجذور التاريخية والدينية والعقدية والجغراسياسية لكراهية الغرب الأوروبي روسيا عبر عرض خمسة أشكال من الروسيافوبيا. ويتابع هذا القسم أصل معاداة روسيا وكراهيتها هي وأهلها بين أمم أوروبية عدة في القرون الثلاثة عشر الماضية، بدءاً من منافسة شرلمان لبيزنطة على لقب وريث الإمبراطورية الرومانية الغربية، وانتهاءً بمعاداة روسيا في كل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا والولايات المتحدة.

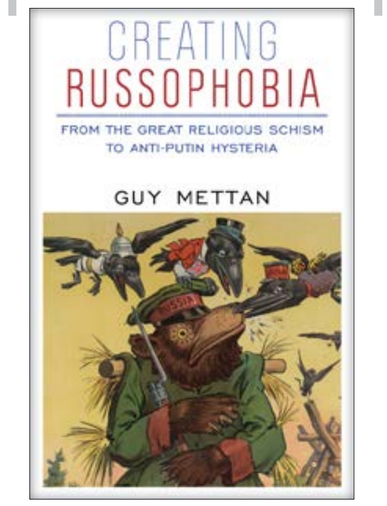

منح الكاتب القسم الثالث عنوان «تضليل إدراكي»، يصف فيه كيفية عمل الروسيافوبيا في أيامنا هذه، حتى تاريخ وضع المؤلف، وكيفية بناء خطاب معاد لها في ساحتي الإعلام/ التضليل والدبلوماسية، واختلاق الشخص السيئ وصولاً إلى شيطنة الرئيس بوتين، على خلفية أحداث أوكرانيا وعودة شبه جزيرة القرم من أوكرانيا إلى أهلها ووطنها الروسي.

يقول الكاتب إن الاستنتاجات من تلك الاستعراضات السلبية عن روسيا ما هي إلا جزء من سلة تشكيل الهوية الأوروبية التي لم تتحقق. ويضيف: «إن أوروبا المقسمة تحتاج إلى عدوّ روسي لتحقق لحمتها، ويشبهها بزوجة الملك في قصة «حسناء الثلوج»، التي كانت تسأل مرآتها يومياً عن أجمل امرأة في العالم، لكن المرآة الروسية عصية وتظهر أن الغرب الاستعماري ليس الأجمل في العالم، وأنه ثمة في الشرق البعيد من هو أجمل منه، أو على الأقل، بمستوى جماله».

أورد الكاتب السويسري في مقدمة مؤلفه أن العديد من الأشخاص الذين اقتبس منهم بعض الروايات والأحداث، صرّحوا له بأنهم غير قادرين على الاستمرار في أبحاثهم عن غرق الغرب الاستعماري في الروسيافوبيا لأن مواليهم توقفوا عن تزويدهم بالأموال اللازمة لمتابعتها. ولذلك فإنه ينفذ مؤلفه هذا بأسلوب صحافي، خصوصاً أنه عمل لسنوات طويلة رئيساً لتحرير «جورنال دو جينيف» السويسرية. وذكر الكاتب أن هدفه من وضع هذا المؤلف، المنشور أصلاً بالفرنسية، هو هدم جدران معاداة روسيا وكراهيتها، أو خفض الإجحاف بحق روسيا، السائد في الأوساط الحاكمة في الغرب. هذا ما استدعى منه الخوض في تواريخ أوروبا، من القرن العاشر، بحثاً عن جذور الروسيافوبيا، حتى ما قبل ولادة روسيا نفسها. بحثه التاريخي أوصله إلى قناعة بأن جنون معاداة روسيا (Russomadness) المسمك بمقار حكام الغرب وإعلامه التضليلي، ليس أمراً حتمياً بل خيار إدراكي مقصود. ولذا، فإن هذا العمل يحاول إقناع القراء بأنه ليس ثمة من مسوّغ لمعاداة روسيا، وأنه يمكن إقامة علاقات طبيعية وشراكة معها؛ ويستطرد بالقول: «إن انتقاد موقف الغرب من روسيا لا يعني إعفاءها من أخطائها».

يوضح الكاتب أن معاداة روسيا وكراهيتها، ليستا مرتبطتين دوماً بتصرفات الأخيرة، مما يؤكد أنهما متجذرتان في عمق الوعي الجماعي الغربي، الاستعماري. هذا تحديداً ما استدعى منه الخوض في تاريخ أوروبا بحثاً عن جذور هذه المعاداة والكراهية. وقد أعادها ـ كما أسلفنا ـ إلى الصراع على وراثة الإمبراطورية الرومانية، متذكرين أن شارلمان أعلن نفسه إمبراطوراً على الإمبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة. اما المسيحية الشرقية الأقدم، التي حمت الديانة الجديدة، فلم تعترف به، وإن لم تنكر يوماً بابا روما. هكذا يؤكد الكاتب أن معاداة روسيا لا تشبه معاداة بريطانيا في فرنسا، أو معاداة ألمانيا، بل هي أقرب إلى معاداة الاشتكناز في أوروبا، شرقاً وغرباً، ومعاداة الإسلام المعاصرة. هذه المعاداة ليست مرتبطة بحدث تاريخي ما أو بأي شعوب، بل هي أسلوب من أساليب تطويع أحداث ما وإجبارها على السير في بعد ذي قيم أحادية هي البربرية والاستبداد والتوسع، وما إلى ذلك من النعوت المخصصة لروسيا والإسلام. هناك جذور دينية لازمنية للروسيافوبيا كما يقول الكاتب، وقد ظهرت في قرون عدة، ولا تزال تطل برأسها بين الحين والآخر. فما إن تخفضه هنا، حتى يظهر هناك، وما إلى ذلك. لا يعثر المرء في روسيا على أي تقدم علمي، روسيا بلاد تحكمها مافيا مشكلة من مجموعة من الأوليغارش، وما إلى ذلك من مصطلحات الكراهية. بالمناسبة، فإن المصطلح «روسيافوبيا» اجترحه الشاعر فيودور تيوتشيف، المغرم بالسافلية في عام 1867، ليتبين من رسالته إلى ابنته بأن أوائل الروسيافوبيا كانوا من الروس!

يعرّف الكاتب الروسيافوبيا بأنها طيف من المشاعر السلبية المتباينة، والبغض والخوف والإعراض والسخرية والتحامل ضد روسيا والروس والثقافة الروسية. لكنها ليست مجموعة من المشاعر والأحاسيس فقط. إنها أيضاً، وفي المقام الأول، تعبير عن ميزان حساسية قوى. هي ليست حكم سلبي فقط، وليست مجموعة من الكليشيهات والإجحاف فحسب، وإنما أيضاً انحياز قصدي بهدف التقليل من قيمة الآخر مقارنة بالذات. من هذا المنظور، فإن الروسيافوبيا عنصرية مكشوفة هدفها الإنقاص من قيمة الآخر بهدف السيطرة عليه والتحكم به، وهذا تحديداً ما يجعلها ظاهرة غربية إذ لا نعثر على أثر لها في الشرق أو في الجنوب. وهذا يتطابق إليهم فريدريش مايينيكي (1862-1954) وهانز ديلبروك، وتيودور شيمان وبول روراخ وفريدرش راتزل (1844-1904) الذي صاغ المبدأ النازي «المجال الحيوي». ننهي عرضنا هذا بتأكيد أهمية الكتاب الذي يبلغ حجمه 500 صفحة، ذلك أن العرض لا يمكنه تغطية كافة الموضوعات التي تناولها بالعرض والبحث.

أنه كلما ازدادت روسيا قوة وتعافياً، ارتفعت حمى الروسيافوبيا في الغرب الاستعماري لتتاخم حدود الجنون المنفلت العقال.

علينا ألا ننسى أن وسائل التضليل الغربية الاستعمارية تستعمل أقبح النعوت بحق روسيا والروس والرئيس بوتين. فروسيا، في منظورهم، بلاد متخلفة، يتسم حكامها بالوحشية والاستبداد، والروس هم شعب بليد وهمجي ومتخلف وغير قابل للتطور. ولذلك لا يعثر المرء في روسيا على أي تقدم علمي، روسيا بلاد تحكمها مافيا مشكلة من مجموعة من الأوليغارش، وما إلى ذلك من مصطلحات الكراهية. بالمناسبة، فإن المصطلح «روسيافوبيا» اجترحه الشاعر فيودور تيوتشيف، المغرم بالسافلية في عام 1867، ليتبين من رسالته إلى ابنته بأن أوائل الروسيافوبيا كانوا من الروس!

يعرّف الكاتب الروسيافوبيا بأنها طيف من المشاعر السلبية المتباينة، والبغض والخوف والإعراض والسخرية والتحامل ضد روسيا والروس والثقافة الروسية. لكنها ليست مجموعة من المشاعر والأحاسيس فقط. إنها أيضاً، وفي المقام الأول، تعبير عن ميزان حساسية قوى. هي ليست حكم سلبي فقط، وليست مجموعة من الكليشيهات والإجحاف فحسب، وإنما أيضاً انحياز قصدي بهدف التقليل من قيمة الآخر مقارنة بالذات. من هذا المنظور، فإن الروسيافوبيا عنصرية مكشوفة هدفها الإنقاص من قيمة الآخر بهدف السيطرة عليه والتحكم به، وهذا تحديداً ما يجعلها ظاهرة غربية إذ لا نعثر على أثر لها في الشرق أو في الجنوب. وهذا يتطابق إليهم فريدريش مايينيكي (1862-1954) وهانز ديلبروك، وتيودور شيمان وبول روراخ وفريدرش راتزل (1844-1904) الذي صاغ المبدأ النازي «المجال الحيوي». ننهي عرضنا هذا بتأكيد أهمية الكتاب الذي يبلغ حجمه 500 صفحة، ذلك أن العرض لا يمكنه تغطية كافة الموضوعات التي تناولها بالعرض والبحث.

دراسة

اللاجئون العرب في أميركا... المعاناة الصامتة

يتحدّث «اللاجئون العرب في الولايات المتحدة - ضحايا الإعوار، والوضع الصحي المهمش» (America's Arab Refugees: Vulnerability and Health on the Margins, Stanford University Press، 2018) عن مصير كثير من اللاجئين العرب في الغرب، وتحديداً في الولايات المتحدة الأميركية التي وصل إليها عدد محدود للغاية من اللاجئين السوريين، فيما استقبلت أعداداً كبيرة من اللاجئين من لبنان والعراق، وأعداداً أقل من اليمن. عدد اللاجئين السوريين في أميركا من المحدود، مع أن الرئيس أوباما وعد باستقبال عشرة آلاف لاجئ سوري في عام 2016، إلا أنه لم يسمح إلا لـ 2647 لاجئاً بدخول البلاد، أي 0,0006 من مجموع اللاجئين البالغ عددهم نحو 4,700,000 فرد. ذكّرت الكاتبة والأكاديمية الأميركيّة مارسيا إنهورن القراء بأنّ دول الخليج الفارسي (التي أسهمت في كوارث العراق وسوريا واليمن وليبيا ومصائب شعوبها وتأجيجها)، لم تستقبل أي لاجئ. لقد أسهم فوز صاحب الدعاية المعادية للعرب والمسلمين الرئيس دونالد ترامب، الذي فرض حظراً على دخول مسلمين من عدة دول عربية وإسلامية في تفاقم أوضاع اللاجئين، والمقيمين هناك من العرب والمسلمين، وأساء إليهم أضعافاً بعد معاناتهم المستديمة منذ أحداث الحادي عشر من أيلول وإعلان مجرم الحرب جورج بوش الابن ما سمّاه «الحرب على الإرهاب».

لم تحظ معاناة اللاجئين العرب والمسلمين في الولايات المتحدة، وفي الغرب عموماً، بأي اهتمام من جانب حكومات الدول العربية والإسلامية. إذ لا نسمع عن أي تحرك من طرفها لتقديم المساعدات لهم، ولا نعثر على أثر لاهتمام إعلامي بمصيرهم، المرتبط ارتباطاً وثيقاً بمعاناتهم جراء حروب الغرب الاستعماري على بلادنا وفيها. إذ إن معاناة العراق الحالية ناتجة على نحو حاسم من العدوان الأميركي عليه، وكذلك اليمن وليبيا حيث انطلقت قوات العدوان من أراضي مشيخات الخليج الكاريكاتورية، إضافة إلى مصر. ضمن هذا الاهتمام الأكاديمي بأحوال اللاجئين العرب ومصائرهم في الولايات المتحدة، يأتي هذا المؤلف الجديد الصادر عن «جامعة ستانفورد» لأستاذة الأنثروبولوجيا والعلاقات الدولية في «جامعة ييل»، والرئيسة السابقة لجمعية الأنثروبولوجيا الطبية ضمن «المؤسسة الأميركية للأنثروبولوجيا».

من المدهش، أو ربما من غير المدهش، رؤية أن اهتمام الناشطين الأكاديميين في مجالات حقوق الإنسان وما يُسمى المجتمع المدني في الدول الغربية، يفوق أضعافاً مضاعفة اهتمام نظرائهم العرب وغير العرب من المسلمين، بمصير أبناء جلدتهم، وهذا أمر محزن فعلاً.

تصف الكاتبة نفسها بأنها أكاديمية ونسوية متأثرة بحركة «حياة السود مهمة»، وتهتم بالنشاط الميداني ضمن مجال الدفاع عن حقوق المظلومين. تلك الحركة التي أطلقها عام 2015 ناشطون سود البشرة على مواقع الميديا الاجتماعية، تطورت أخيراً لتشمل اهتماماً بمعاناة مجمل البشر من مختلف الألوان، وتسعى إلى تنمية الوعي بأهمية تحقيق مساواة اجتماعية في الولايات المتحدة.

يهدف المؤلّف إلى الإضاءة على أوضاع السكان العرب في الولايات المتحدة، وتحديداً في ديترويت/ ميشيغن، حيث كثيراً ما يُحكَم عليهم بأنهم ميالون إلى العنف ولا يستحقون أي ثقة بهم. اختارت الكاتبة مدينة ديترويت مركزاً لأبحاثها، إن غالبية سكانها من سود البشرة، وتضم أكبر تجمع عربي في الولايات المتحدة، حيث يعرف الجزء الأهم منها بالعرب باسم «ديترويت العربية» (جغرافية القنوط)، وأيضاً لأن «أقل من عادية» أو يعملون في وظائف خدماتية، مثل عمال في محطات الوقود أو في غسل الأواني في المطاعم العربية، أو قاطعي تذاكر في الحافلات، أو يعملون في معامل. لذا، ليس مستغرباً أن يصف اللاجئون العرب حيواتهم في الولايات المتحدة بأنها صعبة وقاسية. كذلك، ركّزت الكاتبة على الجانب الصحي التناسلي وانعدام الخصوبة لدى لاجئين عرب مسلمين، من العراق ولبنان، لأن الأمومة والأبوة وتشكيل العائلة هو ما يتوقع اجتماعياً من الزوجين. وقد تبين من اللقاءات الكثيرة التي عقدتها ـ والمقصود هنا مقاطعة ديترْيُوتْ. «عاصمة أميركا المسلمة» بدلاً من «عاصمة أميركا العربية»، تقول إنها ليست أفضل ملجأ آمن، لأن ديترويت الأم أفقر مدن الولايات المتحدة، حيث يعيش أكثر من ثلث سكانها دون خط الفقر المحدد اتحادياً، وثمة ثلث آخر يعيش في حالة «أصول محدودة، دخل مقيد، عمل»، بالإضافة إلى فئة عاملة من السكان، لكنها تستهلك دخلها الشهري بسبب كلفة المعيشة المرتفعة وكلفة رعاية الأطفال ومصاريف المواصلات وغير ذلك.

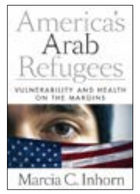

إحصائيات دقيقة عن أوضاعهم ومقابلات معهم

معظم عائلات اللاجئين العرب ينتمي إلى هذه الفئة. على سبيل المثال، 82% من اللاجئين العراقيين المسلمين (والقسم الأكبر منهم، كما اللاجئون المسلمون من لبنان، هم شيعة) يعيشون بدخل سنوي يقل عن ثلاثين ألف دولار سنوياً، و42% منهم يعيشون من دخل سنوي دون عشرة آلاف دولار سنوياً، ما يعني أنهم، 38% تحديداً، مثل ذوي البشرة السوداء في ديترويت، يعيشون تحت خط الفقر المحدد اتحادياً، و44% من البيوت تديرها نساء.

لاحظت الكاتبة في دراستها أن اللاجئين الرجال، الذين لا يعرفون عادة اللغة الإنكليزية، يحصلون على وظائف «أقل من عادية» أو يعملون في وظائف خدماتية، مثل عمال في محطات الوقود أو في غسل الأواني في المطاعم العربية، أو قاطعي تذاكر في الحافلات، أو يعملون في معامل. لذا، ليس مستغرباً أن يصف اللاجئون العرب حيواتهم في الولايات المتحدة بأنها صعبة وقاسية. كذلك، ركّزت الكاتبة على الجانب الصحي التناسلي وانعدام الخصوبة لدى لاجئين عرب مسلمين، من العراق ولبنان، لأن الأمومة والأبوة وتشكيل العائلة هو ما يتوقع اجتماعياً من الزوجين. وقد تبين من اللقاءات الكثيرة التي عقدتها الباحثة مع اللاجئين العرب المسلمين في «ديترويت العربية» امتدت أعواماً ونُشر العديد منها، أن معظم الرجال يُرجعون سبب فقدان الخصوبة إلى الحرب. هكذا، تلفت الدراسة النظر إلى حقيقة أن منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط وجنوبه شهدت بحلول عام 2011 أعلى درجات اللجوء عالمياً.

وعلى المرء تذكر أن اللجوء يعني أيضاً إبعاد اللاجئين عن أوطانهم بالقوة من دون أمل بالعودة، وكذلك حرمان الرعاية الصحية. هنا، تشير الكاتبة إلى ما يسمى «الإعوار البنيوي»، والمقصود هنا وصف تجربة المعاناة البدنية والنفسية كما تتبدى في أقسام محددة من السكان. تضاف المعاناة الصحية إلى أشكال المعاناة الأخرى أمنياً وعرقياً ودينياً ووظيفياً... حيث تؤثر الحروب في صحة السكان بست طرق هي: جسدياً، نفسياً، تناسلياً، وعلى صعيد البنية الاجتماعية، والبنية التحتية، والبيئة.

تتوجّه الدراسة على نحو أساس إلى القراء الأميركيين، لكنها مفيدة لمجمل القراء والعاملين في حقول الإعلام لأنها تتضمّن إحصائيات دقيقة عن أوضاع اللاجئين المسلمين من العرب في الولايات المتحدة، إذ كثيراً ما يقرأ المرء أنهم يعيشون في الجنان الموعودة. عبر سرد أحداث المنطقة، توضح الدراسة دور واشنطن في إشعال الحروب وإثارة العداوات الطائفية والدينية والمذهبية والقومية وتأجيجها، إضافة إلى نشر ملخص بعض لقاءاتها مع لاجئات ولاجئين عرب مسلمين (حتى لا يتحولوا في عرضنا إلى أرقام فحسب، نذكر منهم ومنهن فاطمة وصادق وحسين وحيدر وكريم وكمال وعلي ونادية وإبراهيم ومروة وغفار ورشيد وغازي)، يعيدون أسباب اللجوء إلى الدمار والخراب الذي بلادنا بسبب حروب واشنطن فيها وعليها. مع أن أميركا لا تعير اللاجئين الذين نكبوا بسببها أي اهتمام بعد وصولهم إلى أراضي الدولة.

سياسة

بي بي مالوبا مشرّحاً تاريخ الاستعمار في كينيا

يرتبط موضوع «تشريح الاستعمار الجديد في كِينْيَا - الإمبريالية البريطانية وجومو كِنيَاتَا» (The Anatomy of Neo-Colonialism in Kenya: Britain and Jomo Kenyatta، Palgrave Macmillan، 2017)، بمسألة ما بعد العهد الاستعماري في البلاد التي كانت خاضعة للاستعمار الغربي، وما إذا كانت ستنال استقلالها الحقيقي أم أنها ستغرق في عهد ما بعد الاستعمار، أي في الاستعمار الجديد، حيث لا مخرج لها منه إلا بثورة جديدة؛ تمثل كينيا مثالاً مهماً مرتبطاً بذلك التطور، ذلك أن رئيسها الأول (1964-1975) جومو كينياتا يعدّ أحد أعمدة البلاد، على ما يُقال. وفق الرواية الرسمية والاستعمارية، هو الذي قاد ثورة الماو ماو ضد الاستعمار البريطاني، وبفضل قيادته (الحكيمة!) نالت بلاده الاستقلال عام 1964، وتمكنت من تحقيق تطور اقتصادي في القارة الإفريقية. لكن الصورة التي يرسمها الكاتب والأستاذ في كلية الدراسات الأميركية السوداء ورئيسها، وأستاذ مادة التاريخ في «جامعة دلوير الأميركية» بي بي مالوبا تختلف عن تلك السائدة في وسائل الإعلام/ التضليل. تكمن أهمية هذا المؤلف للقارئ العربي في أنه يعكس تطورات في كينيا تشبه ما يحدث في بعض بلاد العرب والأعراب. فالعديد منها تحولت من معاداة الإمبريالية والاستعمار أثناء حروب التحرير إلى قواعد اقتصادية وسياسية وثقافية وعسكرية متقدمة لها. وهذا ما حدث تماماً في كينيا، دوماً وفق ما يرد في المؤلف.

لعل بعضنا يتذكر كيف أدار الرئيس الكيني ظهره للقوى الصاعدة التي ساعدت ثورة الماو ماو والفلاحية على الاستعمار البريطاني، ومنها ما قدمته له الجمهورية العربية المتحدة، إضافة إلى الدول الشيوعية من الاتحاد السوفياتي والصين وغيرهما، وربط مستقبل بلاده بالاستعمار البريطاني وبكيان العدو الصهيوني حيث أسرع إلى إقامة علاقات معه فور إعلان الاستقلال. من المعروف أن حرب التحرر في كينيا المعروفة باسم ثورة الماو ماو، أضعفت إلى حد كبير قبضة الاستعمار البريطاني عليها وأجبرته على الخضوع والاعتراف بحقها في الاستقلال بعدما كانت تخطط لتحويلها إلى مستعمرة استيطانية مثلما فعلت في فلسطين وروديسيا الجنوبية (زمبابوي) وجنوب إفريقيا. علينا أن نتذكر أن المؤلف يعالج أوضاعاً في ستينيات القرن الماضي وسبعينياته، أي في مرحلة الصراع الفكري بين المعسكرين، الاستعماري الغربي وحلفاؤه من جهة، والمعسكر الشيوعي وحلفاؤه في دول عدم الانحياز من جهة أخرى.

درس رئيس كينيا اللاحق جومو كينياتا في الاتحاد السوفياتي مطلع خمسينيات القرن الماضي، قبل أن ينتقل للدراسة في بريطانيا. في تلك الفترة، كانت الاستخبارات البريطانية تعده من الشيوعيين الخطرين. علماً أن القيادة الكينية اليسارية الراديكالية لم تكن بقيادة القومية المحافظة برئاسة كينياتا، بل كانت بقيادة أغنغا أندغا، الذي كان أحد أعمدة الرأسمالية النامية في بلاده، والمقرّب، في الوقت نفسه، من الفئات الشعبية المحرومة.

أغنغا أندغا كان من حصل على المساعدات المباشرة من الصين والاتحاد السوفياتي والجمهورية العربية المتحدة وغيرها، وكان يسلمها إلى جومو كينياتا لتوزيعها على الأتباع المشاركين في الانتفاضات ضد الاستعمار البريطاني، لكنه عمد إلى الاتصال بالصين وبقية الداعمين طالباً منهم تسليم المساعدات له مباشرة!

فهم كيفية تحول نخب معادية للاستعمار إلى خادمة له

يقول الكاتب إنه كان على الكينيين التعامل مع مسائل حيوية متصلة بمستقبل البلاد ومنها مثلاً العلاقة بين النخب والجماهير. من تلك المسائل: هل القيادات القومية بحاجة للحصول على الشرعية الشعبية شرطاً لحكم البلاد؟ وهل على القيادات القومية تحديد سياسات البلاد الوطنية بناءً على وعودهم الانتخابية قبل الاستقلال؟ إضافة إلى ذلك، كيف يتم تعريف الشرعية السياسية والاحتفاظ بها؟

أي متابع لحركات التحرر في إفريقيا أو في غيرها، يرى أن شعبية أي حركة استقلالية تتناسب طردياً مع توجهاتها المعادية للاستعمار وللغرب الاستعماري، في المراحل الأولى على الأقل، وما يحسب الكاتب، وهو ما أكده العديد من الباحثة الغربيين ذكرهم الكاتب في مؤلفه.

لكن خلال عملية التحرر والاستقلال، كان ثمة رأي يدعي أن النخب المتعلمة هي من يجب أن يقود البلاد، لا الجماهير والفلاحين والعمال والتجار ولا النخب الأخرى. وفق ذلك الرأي، فإن قيادة البلاد حديثة الاستقلال يجب أن تمنح للنخب المتعلمة لأنها هي التي تملك المعارف العلمية والمهارات لقيادة البلاد نحو مستقبل زاهر، وإقامة دولة حديثة حداثية، أي تحديث وفق أوروبا!

يسأل الكاتب ويتساءل: لكن إن كان ذلك صحيحاً، فكيف يمكن شرح عدم الوصول إلى تلك الحداثة والتحديث بعد مرور نصف قرن على حركة «الحرية» (UHURU) في كينيا وغيرها من الدول الإفريقية؟! انطلاقاً من عدم صحة ذلك الرأي عملياً وتطبيقياً، أليس ضرورياً ومشروعاً إعادة النظر في تلك الآراء التي قادت كثيراً من البلاد التي كانت مستعمرات، إلى مزيد من التبعية ومزيد من التدهور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي؟

يتساءل الكاتب مستنكراً: هل المعرفة الأكاديمية الغربية كافية؟ وهل معرفة الغرب ومؤسساته تترجم فوراً إلى للمرء فيه التحدث عن «لعنة الغرب» في أفريقيا!

يحلّل الكاتب تطورات بلاده عبر متابعة نمو زعامة جومو كينياتا وتحليل طبيعتها وأثارها في البلاد، بدءاً من عام الاستقلال حتى وفاته، لافتاً النظر إلى الاضطرابات السياسية المندلعة حالياً في تلك البلاد، وعمليات القمع السياسي واغتيال المعارضين في الماضي وصولاً إلى اضطرار النخب الحاكمة، الفاسدة، إلى طرح دستور جديد لكينيا، يأخذ في الاعتبار حقائق الوضع الإثني والاجتماعي فيها.

إنها دراسة مهمة ومعمقة تفيدنا في فهم التحولات التي تعصف ببلاد مستعمرة بعد استقلالها، وكيفية تحول نخب معادية للاستعمار وللرأسمالية إلى خدم لها.

أوراق

جريمة الفجر في غرناطة

قَتَلة لوركا بالأسماء

ترجمة وتقديم **محمد ناصر الدين**

«إذا متُّ اتركوا الشرفة مفتوحة
الطفل يقضم الليمون (من شرفتي أراه)
الحصّاد يقطع رؤوس سنابله
إذا متّ اتركوا الشرفة مفتوحة».

شهر واحد قبيل وفاته، ووسط نصيحة الأصدقاء له بالفرار من الحرب الأهلية الإسبانية نحو منفى في كولومبيا أو المكسيك، اتخذ فريديريكو غارسيا لوركا (19361898) قراراً متهوراً بالعودة إلى غرناطة. «أنا شاعر ولا أحد يرغب بقتل الشعراء»، أجاب لوركا صديقه أنخيل ديل ريو، الذي استحثه للحاق به إلى أميركا التي كان قد زارها قبلاً وألف فيها «شاعر في نيويورك» كتحية لوالت ويتمان. في 14 تموز (يوليو) 1936، النهار ذاته الذي اغتيل فيه الزعيم اليميني كالفو سوتيلو لتستغل الطغمة العسكرية الحدث فتقوم بانقلابها المخطط مسبقاً، استقلّ لوركا القطار من محطة أتوخا إلى غرناطة، إلى بيت أهله ومسقط رأسه. من رَصَد لوركا في ذلك الشهر الفاصل بين عودته إلى «هورتا دي سان فيسنتي»، أرض العائلة المزروعة بالقمح والذرة والتبغ والفول والفاكهة، وبين تلك الليلة الظلماء في 19 آب (أغسطس)؟ من هم الرجال الستة الذين سحبوه من مخبئه عند أصدقائه آل روزاليس المنتمين بمعظمهم إلى الكتائب اليمينية؟ إلى أين أخذتهم سيارة البويك الحمراء الكرزية ومن كان بداخلها؟ هل دوافع الإعدام سياسية بحت؟ أم أن الخلافات العائلية أودت بالشاعر في ثأر شخصي؟ هل لميول لوركا المثلية دور في تعجيل إعدامه في غرناطة المحافظة؟ وهل استفزت «بيت برناردا ألبا» شخصاً معيناً في وسط لوركا العائلي القريب؟ أسئلة ملغزة لا تني أجوبتها تتكشف بعد أكثر من ثمانين عاماً على «جريمة الفجر».

بيبي رومانو وأنغيستا

«عسكري بنظرة باردة، رجل يمت للشاعر بقرابة بعيدة، جندي يأكله الندم، وثلاثة رجال آخرون لم ينبسوا طيلة حياتهم ببنت شفة حول ما اقترفته أيديهم في تلك الليلة من أغسطس. وضعت رصاصتين اثنين في رأسه» جملة يتيمة قالها زعيم عصابة الستة التي اقترفت الجريمة. كان وجهه منتفخاً، بجبهة عريضة وقسمات تحمل حقداً بعيداً». يقول ميغيل كابالييرو المؤرخ الأندلسي الذي يكشف كتابه «الساعات الثلاث عشرة الأخيرة من حياة فريديريكو غارسيا لوركا» (2014) الكثير من التفاصيل حول تلك الليلة. لم يكن أنطونيو بينافيديس مجهولاً، بل جمعته قرابة بعيدة بالزوجة الأولى لوالد لوركا، وأخرى قريبة بخوسيه بينافيدس، الذي سماه الشاعر «بيبي رومانو»، الشخصية الحاضرة الغائبة التي تطمح إلى الزواج من أنغستيا، الفتاة البكر البشعة لفرناندا ألبا طمعاً بالمال الذي ورثته عن أبيها. بعد أيام قليلة من عودته إلى غرناطة حيث «تتململ البورجوازية الأسوأ في إسبانيا» بحسب تعبيره، قدم لوركا للجمهور قراءة لمسرحيته الجديدة، قصة بيت تعصف به الديانة والأعراف والمال والسلطة. تعرّف بعض الناس على أنفسهم في المسرحية، وسعوا للثأر. فرضية أولى لدوافع القتل تتقاطع مع رواية صديق لوركا المقرب، سلفادور دالي في مذكراته (يوميات عبقري 1964)، التي تقدم الدوافع الشخصية على غيرها: «لقد كان شاعراً نقياً بالكامل، الكائن الأبغض للسياسة ممن أعرفهم. لقد كان ضحية التشفي في مسائل شخصية، شخصية جداً ومحلية».

سيارة البويك الحمراء والعكازة

بعد تحقيق دام أكثر من سنوات ثلاث، يؤكد كابالييرو كشفه للمرة الأولى للهوية الكاملة لخلية الإعدام التي حشرت لوركا في سيارة بويك حمراء كرزية اللون مع مصارعَي ثيران هما فرانسيسكو ميلغار وخوان كابيزاس لمطالبتهما «بالمزيد من العدالة الاجتماعية وانتمائهما للرابطة العمالية الوطنية»، إضافة إلى معلّم مدرسة يدعى ديوسكورو غالينْدو «لتبشيره بالعلمانية». قطعت بهم كيلومترات قليلة في الريف المسمى «غرانادينا» وأنزلتهم في واد بين قريتي الفكار وفنزنار. عند الرابعة فجراً تقريباً، تحت ضوء قمر موشى بالسحب، صفّ الشاويش ماريانو آخينخو مورينو «ذو الأعصاب الباردة والمناسبة للإعدامات» رجاله في وضعية التسديد. مسلّحين ببنادق من طراز «موزر» وبمسدسات «أسترا»، تم وعد الرجال بعلاوة قيمتها 500 بيزيتا وبترقية وظيفية. حين تساقطت الأجساد الأربعة على الأرض، قامت مجموعة الإعدام ذاتها برميهم في حفرة سحيقة، تم حفرها للبحث عن الينابيع الجوفية. «فوق الجثث، قام أحد أعضاء الخلية برمي العكازة التي كان يستخدمها معلم المدرسة». يقول كالابريو استناداً إلى رواية نقلها أحد الجناة لشاهد عيان. يجزم كابالييرو أن بينافيدس كان الوحيد الذي يضغط على الزناد بلذة لا توصف. انتمى بينافيدس إلى «السرية السوداء»، إحدى أقسى الميليشيات اليمينية في غرناطة والتي كانت مؤلفة من عتاة المجرمين. أما الأعضاء الخمسة الباقون في الخلية، فيرجح المؤرخ بأنهم كانوا يتبعون لهرمية عسكرية وينفّذون الأوامر. «سأفقد عقلي من تبعات هذا الأمر»، هذا ما صرح به خوان خيمينيز كاسكاليس، العسكري وبطل الرماية في الأعياد الشعبية، وهو الوحيد من خلية الستة الذي باح بندمه على الملأ.

مصادر كابالييرو

على رغم السجال الكبير الذي أثاره لوركا في النصف الأول من القرن الماضي داخل إسبانيا وخارجها، فإنها المرة الأولى التي نكتشف فيها الهوية الكاملة للقَتَلة. كيف يمكننا تفسير كل تلك المدة الطويلة لبقاء هذه الهوية طي الكتمان؟ بالنسبة لميغيل كابالييرو الذي نبش أحشاء وثائق الولادة وأرشيف الشرطة والجيش و «الحرس الشعبي» من أجل التحقيق، ليست مهمة المؤرخ باليسيرة: «لم يقم أحد على الإطلاق حتى الآن بتحقيق تاريخي علمي حول القضية. كان يتم الاستناد في الغالب إلى شهادات شفهية. لكن في هذه القصة بالذات، فإن أقل الناس معرفة كانوا أكثرهم ثرثرة». الوثيقة الحاسمة التي اعتمد عليها كابالييرو، كانت كتاباً مهملاً معنوناً «الأيام الأخيرة لغارسيا لوركا» مليئاً بالشهادات، كتبه عضو في الكتائب الفاشية الفرانكية اسمه إدواردو مولينا فاخاردو، الذي قاده إلى خلية الستة. «لقد تم تجاهل ما كتبه، يقول كابالييرو، لأنه كان منتمياً إلى اليمين المتطرف. ولكن لأن من يعرفون ما حصل بدقة في تلك الليلة من عام 1936 كانوا مثله في الكتائب، فإن ما جمعه من شهادات هي الأقرب للحقيقة».

الشاعر المكتمل والعاشق المعذب

كان لوركا يفكر قبل وفاته بالسفر إلى المكسيك لملاقاة مارغاريتا زيرغو، شريكته في المسرح. أراد الرحيل مع خوان راميريز دو لوكاس، الفتى الذي كان يطمح ليكون ممثلاً ووقع لوركا في غرامه. خوان الذي لم يبلغ سن الرشد حينها، ذهب إلى ألباثيتي ليأخذ إذناً بالسفر من والديه. من المزرعة في غرناطة، كان لوركا يهاتف خوان ويكتب له: «إني أفكر بك، بين السطور سترى كل الإعجاب الذي أكنّه لك وكل الرقة التي يختزنها قلبي». توجب الانتظار حتى موت خوان عام 2010 عن 93 عاماً ليماط اللثام عن هذه القصة، وليقال بأن لوركا قد توجّه إلى «غلام ألباثيتي الأشقر» بالقصائد الحميمة الـ11 التي تأخرت طباعتها لعام 1980 تحت عنوان «سوناتات الحب المظلم». خوان نفسه الذي تخصص بعدها في النقد الأدبي، نفى هذه الفرضية بالمطلق، ليقول إن ملهم لوركا في هذه السوناتات هو شخص آخر أشار إليه برمز RRR. لم يكن هذا الأخير سوى رافاييل رودريغيز رابون، الذي تقاسم معه لوركا في أواخر حياته علاقة مشحونة بالغيرة والعواصف، وقد كان مديراً لفرقة الباراكا، المسرح الذي أشرف عليه لوركا بتكليف من الجمهورية ليجوب المدن والأرياف الإسبانية ويلعب كلاسيكيات العصر الذهبي بطريقة شعبية. لم تغب علاقات لوركا المثلية عن مرصد البيئة المحافظة في غرناطة: «لقد أطلقوا رصاصتين على دبر ذلك اللوطي». جملة صرح بها صديق أحد الرماة في كتاب فاخاردو.

الفرضية السياسية: المقابلة الأخيرة

«أنا أغني إسبانيا وأشعر بها في عظامي، لكنني أنتمي للكون بأسره وأخ لكل الناس. أمقت الإنسان الذي تستولي عليه فكرة قومية ويذهب إليها معصوب العينين. بالتأكيد لا أؤمن بالحدود السياسية». هذا ما قاله لوركا في حديثه الأخير لصحيفة EL SOL في حزيران (يونيو) 1936. فرضية ثالثة تطرح نفسها بقوة إذن هي «قتل لوركا الشيوعي». على رغم أن كابالييرو يلاقي دالي في فرضيته حول ترجيح الأسباب الشخصية والعائلية في الجريمة، إلا أن التُّهَم التي ألصقت بالثلاثة الذين رافقوا لوركا في البويك الحمراء تعزز الفرضية السياسية، إضافة إلى ما كتبه كالابيرو نفسه حول إيواء عائلة لوركا لمهندس معماري شيوعي ومساعدته في الهرب للانضمام للجمهوريين في ذلك الصيف الملتهب الذي عاثت فيه «السرية السوداء» فساداً في غرناطة. مما ضاعف النقمة على لوركا وعائلته والمزرعة التي تمت مداهمتها ثلاث مرات بداية آب (أغسطس). احتمى لوركا في منزل لويس روزاليس، الصديق والكاتب المنتمي للكتائب، في الطابق الثالث حيث أمّن له روزاليس بيانو بخشب فاخر. في اليوم ذاته الذي تم فيه اغتيال أحد الزعماء اليمينيين، اقتيد لوركا إلى «المحكمة المدنية». لم تنفع تدخلات روزاليس ومانويل دو فالا، المؤلف الموسيقي في الجوقة القومية في منع اقتياد لوركا إلى واد خارج غرناطة لتصفية الحساب الأخير.

أرض جافة مطمئنة تحت الليك العظيم

هذا البيت للوركا يبدو كأنه يصف البقعة التي تم دفنه فيها مع رفاقه الثلاثة. الوادي تغيرت معالمه بين القريتين بفعل حماقة ارتكبها أحد المخاتير بجرفه مساحةً واسعةً بحجة تشييد ملعب لكرة القدم بعد فترة قليلة من زوال حكم فرانكو، إضافة إلى أن الفرانكيين كانوا قد أقاموا فيه مركزاً للتدريب العسكري حينها وحلبة لقيادة الدراجات النارية. بعثات ثلاث باشرت التنقيب عام 2007، و2009 وآخرها عام 2014 قادها كابالييرو بنفسه لم تعثر على أي رفات أو مؤشر يمكن أن يقود لأديب إسبانيا الأعظم بعد ثربانتيس، وسط انقسام بين أهالي الضحايا من مؤيد للبحث كأحفاد الرفاق الثلاثة واعتراض حفيدة لوركا والأمينة على إرثه لورا غارثيا لوركا التي تؤمن بأن مصير هذه التنقيبات سيؤول إلى ثرثرة إعلامية غير مجدية. في وادي فزنار، بين أشجار الوادي الذي تم فيه إعدام أكثر من 400 مناهض للفاشية إضافة إلى لوركا ورفاقه، تنتصب لوحة صغيرة من الغرانيت: «كلهم كانوا لوركا».

القَتَلة بالأسماء:

■ ماريانو أخانخو مورينو، آمر الخلية.
■ أنطونيو بينافيديس، نسيب زوجة والد لوركا الأولى، كان يضغط على الزناد بلذة لا توصف.
■ خوان خيمينيس كاسكاليس، بطل الرماية في الأعياد الشعبية، الوحيد الذي أظهر بعض الندم على الجريمة.
■ فرناندو كوريا كاراسكو، رامٍ ماهر فقد أباه في الحرب مع الجمهوريين.
■ سالفادور فارو ليفا: جندي يتيم الأبوين، من ناحية قادش.
■ أنطونيو هرنانديز مارتان، قضى أيامه الأخيرة في لعب الورق في مقهى في غرناطة، من دون أن يعترف بأي دور في «جريمة الفجر».

المراجع:

■ «الساعات الثلاث عشرة الأخيرة من حياة فريديريكو غارسيا لوركا» (2014)، ميغيل كابالييرو، منشورات إنديجين، مونبولييه، فرنسا.